مقدمـــة

في التربية الإيمانية والدعوية للمرأة المسلمة

الجزء الثاني

المؤلف

جمعة أمين عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ

رقم الإيداع: ١٩٩٣٧ / ٢٠١١
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977 – 6137- 67 – 9

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٠٦٩٦٢٦٤٧

قطر الندى
للنشر والتوزيع

١ شارع مسجد الحكمة
أرض اللواء المهندسين
ت/ ٠٢٣٧٠٩٦٧١ - ٠١٠٠٦٠٩٩٥٣٨
Katrelnada2@yahoo.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلاشك أن التربية الإسلامية لا غنى عنها في كل مكان وزمان؛ إذ إنها تهتم بتربية الفرد من جميع أبعاد شخصيته، فضلاً عن أنها تتناول جوانب حياته في الدنيا والآخرة.

هذا، ولما كانت التربية تعني إعداد الفرد إعدادًا متكاملاً ليتكيف مع البيئة المحيطة به، فيؤثر فيها، ويتأثر بها، فإن أردنا أن نُخضع هذا المفهوم لهوية مجتمعنا الإسلامي، فسنجده يركز أيضًا على تكوين الإنسان الواعي لأمور دينه، المتفهم لرسالته، ومن ثَمَّ يستطيع أن ينهض بدوره كخليفة لله تعالى على هذه الأرض.

ويتضح من هذا المفهوم أن التربية الإسلامية تُعنى بإعداد الإنسان إعدادًا متكاملاً، فتراعي كل جوانب حياته الروحية والعقلية والحسية، حياته في الدنيا وما تتضمنه من علاقات مع الآخرين، وحياته في الآخرة وتأثُرها بما كان في الدنيا. وهذا هو الشمول والتكامل الذي يتميز به ديننا الحنيف على سائر الأنظمة الوضعية الأرضية.

ويُلاحظ أن هذه التربية تدفع بالفرد لأن يكون ذا حركة وفعالية في حياته، أي له دور إيجابي مؤثر، كما يتضح أن هذه التربية تساير قدرة الإنسان لأن يكون مثاليًا يمكنه أن يحقق لنفسه ولمجتمعه ما يعود عليهما بالنفع والخير.

ولكن إذا تساءل البعض: لماذا التركيز على التربية الإسلامية دون غيرها من أساليب التربية الأخرى؟ فيمكننا أن نجيب بأنها التربية الصادرة من عند الله تعالى مصدرًا وغاية، وإذا كان الله عزَّ وجلَّ هو الخالق، فلابد وأن يكون الله وحده- تعالى- المشرع لنا؛ إذ إنه سبحانه هو الذي يعلم طبائع البشر وقدراتهم وغرائزهم وميولهم، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ومن ثَمّ لا يمكن أن يكون مصدرُ التشريع بشرًا يُصيب ويُخطئ، وإنما لابد أن يكون من صنع الخالق الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وهذا يعني أن منهج التربية الإسلامية منهج متكامل شامل متوازن، هدفه النهائي أن يصل بالإنسان إلى معرفة الله تعالى، وابتغاء مرضاته؛ حتى تتحقق العبودية الحقة التي خُلق الإنسان من أجلها.

وإذا كان هذا هو الهدف العام الواسع الذي نسعى لتحقيقه من عملية التربية، فإن ثمّة أهدافًا أخرى مرحلية لابد أن نعمل جميعًا جاهدين على تحقيقها.

وخلاصة القول أن الأهداف بمثابة العنصر الرئيس في العملية التربوية، فيجب على المربي وهو يُعلّم ويُدرس المناهج المختلفة، ويستخدم الوسائل المتنوعة أن يضع الهدف نُصبَ عينيه، ويسعى لتحقيقه، ومن ثَمَّ ينظر إلى العناصر الأخرى باعتبار أنها وسيلة تساعده للوصول إلى ما ينبغي، أي أن المناهج مهما بلغت قيمتها، واستحدثت مكوناتها، فليست هي الهدف، وإنما هي وسيلة تساعد المربي وتهيّئه لأن يكون إنسانًا ربانيًّا كما أمرنا الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران: ٧٩].

ومن أجل تحقيق ذلك تضمن الكتاب الذي بين أيدينا عدة محاور متنوعة، تشمل عددًا من الأبواب، يبدأ كل باب بمجموعة من الأهداف، ثم يتناول المحتوى الذي يساعد في تحقيقها من خلال مجموعة من الدروس، لكل درس أهدافه الخاصة التي تخدم أهداف الباب، وينتهي بمجموعة أسئلة تقويمية يمكن من خلالها أن يقف المربي على مدى ما تم تحقيقه من أهداف.

وهذه المحاور تشمل:

المحور الأول: الإيماني والتعبدي، ويشمل:

الباب الأول: «في رياض القرآن»، ويهدف إلى:

١) استشعار قدرة الله ﷻ وعظمته في خَلْقه للإنسان والكون.

٢) استحضار الجنة ونعيمها، والنار وعذابها.

٣) الاستعداد والعمل من أجل الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

٤) إدراك قيمة الأشياء التي يقسم بها الله تعالى.

٥) استحضار مشاهد يوم القيامة، وما يحدث فيه من نعيم للمؤمن، وعذاب وخزي للكافر.

٦) إدراك أن الله تعالى يقسم بأي شيء، وعلى أي شيء، أما الإنسان فلا يقسم إلا بالله.

٧) المعرفة بحقيقة التوحيد، ومعنى الإخلاص.

ويتم فيه مدارسة سور: (البلد - الليل - الضحى - الشرح - التين - العلق - القدر - البينة - الزلزلة - العاديات - القارعة - التكاثر - العصر - الهمزة - الفيل - قريش - الماعون - الكوثر - الكافرون - النصر - المسد - الإخلاص - الفلق - الناس).

ويبدأ المحتوى بعرض الأهداف الخاصة لكل سورة، والتعريف بها، ومعاني المفردات، وشرح مبسط لمعاني الآيات، والجوانب التطبيقية المستفادة منها، وينتهي بمجموعة أسئلة تقويمية يمكن من خلالها أن تقف على مدى ما تم تحقيقه من أهداف.

الباب الثاني: «في رياض السنة النبوية»، ويهدف إلى:

١ - زيادة الصلة بسنة الرسول ﷺ، والتأسي به.

٢ - التحلي بآداب الإسلام، والالتزام بأحكامه التي تدعو إليها الأحاديث.

ويتم فيه دراسة عدد من أحاديث النبي ﷺ، وفي مقدمة كل حديث الأهداف الخاصة به، وشرح مبسط للحديث ومعاني المفردات، وما نتعلمه من الحديث، وينتهي بأسئلة تقويمية يمكن من خلالها قياس مدى تحقق الأهداف.

الباب الثالث: «في رياض السيرة»، ويهدف إلى:

١ - التعرف على بيت النبوة، من خلال دراسة سيرة أمهات المؤمنين، وبنات النبي ﷺ.

٢ - اتخاذ القدوة الصالحة التي نقتدي بها في حياتنا.

٣ - معايشة الدارسات صورًا من حياة أمهات المؤمنين في العبادة والأخلاق والجهاد والعطاء والصبر.

٤ - غرس حب أمهات المؤمنين، والاعتزاز بهن في نفوس الدارسات.

٥ - التعرف على دور المرأة في الدعوة من خلال دراسة هذه السِّيَر.

٦ - نشر هذه السِّيَر العَطِرة في المجتمع؛ للاقتداء بها.

ويتم ذلك من خلال دراسة سِيَر أمهات المؤمنين، وبنات النبي ﷺ. ومع كل شخصية هناك مجموعة من الأهداف الخاصة لدراسة سيرتها، وعرض لسيرة الشخصية، وأهم الجوانب الإيمانية والأخلاقية والدعوية لها، والدروس المستفادة من دراستها، وكذلك أهم التكاليف العملية التي يجب أن تقوم بها الدارسة، ثم تنتهي الدراسة بتقويم لقياس مدى تحقق الأهداف.

الباب الرابع: «العقيدة»، ويهدف إلى:

١ - توضيح حقيقة التوحيد ومظاهره.

٢ - معرفة بعض الأعمال التي قد تفسد العقيدة.

٤ - استشعار عظمة الله ﷻ، من خلال معرفة ومدارسة بعض أسمائه الحسنى.

٥ - تزكية النفوس من خلال معايشة العبادات القلبية المتعلقة بكل اسم.

ويتم ذلك من خلال فصلين:

***الفصل الأول:** يتناول توضيحًا لحقيقة التوحيد (أنواعه، وبعض مظاهره)، ودرسًا لكل مظهر من مظاهره، يشمل: الأهداف، والأدلة من الكتاب والسنة، والواجبات العملية للتحقق بالمظهر، ثم استبيانًا تقويميًّا لقياس مدى تحققنا بالمظهر.

*** الفصل الثاني: أسماء الله الحسنى.**

ويحتوي على شرح لبعض أسماء الله الحسنى، والأهداف الخاصة بدراسة الاسم،

وذكر الاسم في القرآن، من خلال ورد المعرفة، وآثار الاسم في الكون، والواجبات العملية تجاه الاسم، ثم تقويم لمدى تأثر الدارسة بالاسم.

الباب الخامس: «فقه العبادات»، ويهدف إلى:

- تعلم فقه الصلاة وما يتعلق به من أحكام.

ويتم تقسيمه إلى عدة دروس، لكل درس أهداف خاصة ومحتوى، وفي نهايته تقويم لقياس مدى معرفة الأحكام الفقهية للدرس.

المحور الثاني: الأخلاقي والسلوكي، ويشمل:

الباب السادس: «في رياض الأخلاق والقيم الإسلامية»، ويهدف إلى:

١- أن ترتبط الدارسة في فهمها للإيمان بحسن الخلق.

٢- أن تتمتع الدارسة بحسن الخلق، والسمعة الطيبة، وحسن المعاملة.

٣- غرس بعض القيم الإسلامية في نفس الدارسة.

وينقسم هذا الباب إلى فصلين؛ الأول: يتناول بعض الأخلاق الإسلامية، مثل: (الأمانة – أمانة المجلس– احترام الكبير– ترك الجدال– الجود والكرم– ستر المسلم– العفو).

والثاني: يتناول بعض القيم الإسلامية، مثل: (النظافة – النظام والترتيب– العزة– حسن اختيار الصديق).

ويتم تقسيم كل فصل إلى عدة دروس، كل درس يتناول خلقًا أو قيمة، وكل درس له أهدافه الخاصة، ثم عرض للخلق- أو القيمة- وما يحث عليه من الكتاب والسنة، ومظاهر التحقق به، ثم تقويم لقياس مدى تحقق مظاهر الخلق في الأفراد.

المحور الثالث: الدعوي والحركي، ويشمل:

الباب السابع: «واحة المعرفة»، ويهدف إلى:

١) إدراك علاقة الإسلام بمصدريه الكتاب والسنة.

٢) التعرف على مكانة المرأة في الإسلام.

٣) الإيمان بوجوب العمل للإسلام.

٤) نشر الدارسة هذه المفاهيم في المجتمع.

٥) تطبيق الدارسة لهذه المفاهيم في واقع الحياة.

ويتناول الباب موضوعات: مصادر التشريع- مكانة المرأة في الإسلام- أن أعيش للإسلام.

ولكل درس أهداف خاصة، وعرض للموضوع، ثم تقويم لمدى الاستفادة من الموضوع.

وفي النهاية ندعو الله ﷻ أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يكون هذا الكتاب نافعًا ومفيدًا، وأن يحقق الهدف منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

المحــور الأول

الإيمــاني والتعبدي

الباب الأول

في ريـــاض القرآن

مقدمة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» [رواه البخاري].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ؛ لَهُ أَجْرَانِ» [متفق عليه].

ونحن في هذا الباب نريد أن نكون من أهل القرآن؛ نحسن تلاوته، ونتدبر آياته، ونعيش مع معانيه، ونجعل من هذا القرآن زادًا لنا في قوة الإيمان، وسلامة العقيدة، وصحة العبادة.

وكي تتم لنا الفائدة من هذه الدراسة، فعلينا بالخطوات التالية:

١ - إتقان التلاوة من خلال تعلم أحكامها مع المعلمة في فصل أحكام التلاوة، والحرص على تطبيقها في أثناء الحفظ والتلاوة.

٢ - حفظ السورة المقررة حفظًا جيدًا، ومراجعة الحفظ مع المعلمة، والصلاة بما حفظنا؛ تثبيتًا للحفظ.

٣ - حفظ معاني الكلمات، ومعرفة تفسير الآيات وما يستفاد منها، والعمل على التحقق بما في الآيات من عظات في حياتنا العملية.

٤ - معايشة آيات الله بقلوب تشتاق إلى الجنة، وتخاف من النار، وترجو رحمة الله تعالى.

٥- قياس مدى استفادتنا من دراسة القرآن بالإجابة على الاستبيان المُلحق بكل سورة قبل المدارسة، وبعدها، ومراجعة ذلك مع المعلمة.

أهداف الباب:

١- استشعار قدرة الله ﷻ وعظمته في خَلْقه للإنسان والكون.

٢- استحضار الجنة ونعيمها، والنار وعذابها.

٣- الاستعداد والعمل من أجل الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

٤- إدراك قيمة الأشياء التي يقسم بها الله تعالى.

٥- استحضار مشاهد يوم القيامة، وما يحدث فيه من نعيم للمؤمن، وعذاب وخزي للكافر.

٦- إدراك أن الله تعالى يقسم بأي شيء، وعلى أي شيء، أما الإنسان فلا يقسم إلا بالله ﷻ.

* * *

مقدمة
جزء (عمَّ)

هذا الجزء كله سوره مكية فيما عدا سورتي البيّنة والنصر، وكلها من قِصار السور على تفاوت في القِصَر.

والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة واحدة على وجه التقريب في موضوعها، واتجاهها، وصورها، وظلالها، وأسلوبها العام.

فهي طَرقات وقرعات متوالية على الحس.. طَرقات عنيفة قوية عالية.. وهي صيحات.. صيحات بنُوَّم غارقين في النوم، ونومهم ثقيل، أو بسكارى مخمورين ثقل حسهم الخمار.

تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله بإيقاع واحد، ونذير واحد:

اصحوا.. استيقظوا.. انظروا.. تلفتوا.. تفكروا.. تدبروا..

وهكذا مرة أخرى وثالثة ورابعة وخامسة وعاشرة..

ومع الطرقات والصيحات يد قوية تهزُّ النائمين المخمورين السادرين هزًّا عنيفًا، وهم كأنهم يفتحون أعينهم وينظرون في خمار مرة، ثم يعودون لما كانوا فيه! فتعود اليد القوية تهزهم هزًّا عنيفًا.. ويعود الصوت العالي يصيح بهم من جديد وتعود الطرقات العنيفة على الأسماع والقلوب.

إن هذا الجزء يركز على حقائق معينة، قليلة العدد، عظيمة القدر، ثقيلة الوزن.. وعلى إيقاعات معينة يلمس بها أوتار القلوب.. وعلى مشاهد معينة في الكون والنفس.. وعلى أحداث معينة في يوم الفصل.

في الجزء كله تركيز على:

- النشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان.
- مشاهد الكون وآياته في كتابه المفتوح، ومشاهد القيامة العنيفة: الطامة.. الصاخَّة.. القارعة.. الغاشية.
- مشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقرع وتذهل وتزلزل؛ كمشاهد القيامة الكونية في خاتمتها وهولها.
- اتحاد كل المشاهد السابقة جميعًا دلائل على الخلق والتدبير، والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة، مع التقريع بها والتخويف والتحذير.
- أحيانًا تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين.
- بعض السور تُسرِّي عن الرسول ﷺ، وتواسيه، وتوجهه إلى الاستعاذة بربه من كل شر؛ كسور الضحى والانشراح والكوثر والفلق والناس، وهي سور قليلة على كل حال.
- هناك ظاهرة أخرى في الأداء التعبيري لهذا الجزء، فهناك أناقة واضحة في التعبير مع اللمسات المقصودة لمواطن الجمال في الوجوه والنفوس، واحتضان مبدع في الصور والظلال، والإيقاع الموسيقي والقوافي والفواصل تتناسق كلها مع طبيعته في خطاب الغافلين النائمين السادرين؛ لإيقاظهم، واجتذاب حسهم وحواسهم بشتى الألوان، وشتى الإيقاعات، وشتى المؤثرات.

إن أناقة التعبير واضحة وضوح القصد في اللمسات الجمالية لمشاهد الكون، وخوالج النفس.

- العدول أحيانًا عن اللفظ المباشر إلى الكناية، وعن اللفظ القريب إلى الاشتقاق البعيد؛ لتحقيق التنغيم المقصود، مما يؤكد هذه اللفتة خلال الجزء كله على وجه التقريب.

***

سورة البلد

سورة البلد سورة مكية، وأهدافها أهداف السور المكية نفسها: من تثبيت العقيدة والإيمان، والتركيز على معنى الحساب والجزاء، فابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام، ثم تحدثت عن عدد من الحقائق الإنسانية، وطبيعة وجود العبد في هذا الكون، من اختيار طريق الخير وطريق الشر، ثم تناولت بعض مظاهر سلوك طريق الخير، ثم نتيجة الابتلاء والاختبار الذي يحياه الإنسان إلى: النعيم المقيم، أو العذاب الأليم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۞ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۞ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا ۞ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۞ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۞ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۞ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۞ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ١-٢٠].

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

الْمَشْأَمَةِ: الشؤم، ونار جهنّم.

مُؤْصَدَةٌ: مطبقة مغلقة.

فَلا اقْتَحَمَ: دخل بسرعة وشدة

العَقَبَةَ: ما يعرض من الصعاب.

فَكُّ رَقَبَةٍ: تخليصها من الأسر أو الرق ذَا

مَتْرَبَةٍ: ذا فقر وصاحب حاجة.

مَسْغَبَةٍ: مجاعة.

النَّجْدَيْنِ: الطريقين، طريق الخير وطريق الشر.

كَبَدٍ: شدة ومشقة.

أَهْلَكْتُ: أنفقت.

لُبَدًا: كثيرًا مجتمعًا. لاَ أُقْسِمُ: أي أقسم[١].

البَلَدِ: مكة. حِلٌّ: ساكن ومقيم.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال الآيات:

نتناول في هذا الدرس العناصر التالية: القسم أول السورة، والتكريم به، وطبيعة حياة الإنسان كما بيَّنها جواب القسم، وتذكير برقابة الله وقوته، والتذكير ببعض نعم الله واستخدامها في طاعة الله، ثم عقبات قبل الوصول، وأخيرًا الجزاء بعد الأداء.

١- القَسَم أول السورة، والتكريم به:

يقسم الله سبحانه للدلالة على أهمية المقسم به وشرفه ومكانته، فيقسم بالبلد الحرام الذي فيه الرسول ﷺ، وذلك لكرامته ﷺ على الله سبحانه، وحبه له، فأحل الله له- في المستقبل[٢] كما جاء في فتح مكة- أن يقاتل به، قال الحسن البصري: «أحلَّها الله له ساعةً من نهار»، وهذا المعنى الذي قاله قد ورد في الحديث المتفق على صحته: «... إِنْ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، لا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرًا، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا؛ فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» [رواه البخاري، من الحديث ٣٩٥٧].

ثم يتابع الله ﷻ القسم، فيقسم بالوالد وما ولد على عمومه وإطلاقه- في اختيار شيخ المفسرين الإمام الطبري- وفي هذا بيان لتكريم جنس الإنسان الذي اختاره الله من بين سائر الخلائق، واستخلفه في أرضه، وأسجد له ملائكته، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ [الإسراء: ٧٠].

---

(١) قيل: «لا» زائدة، وقيل: إنها جاءت قبل القسم لتأكيد نفي ما يزعمه المشركون؛ كقوله تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وقيل: إنها كقول العرب: لا والله لا فعلت كذا، ولا والله ما كان كذا.

(٢) وذلك لأن سورة البلد مكية.

كما أن فيه إشارة إلى طبيعة النشأة الإنسانية، واعتمادها على التوالد، تمهيدًا للبحث عن حقيقة الإنسان التي هي مادة السورة الأساسية.

٢- طبيعة حياة الإنسان كما بيّنها جواب القسم:

هذا هو جواب القسم، فقد أقسم الله ﷻ على حقيقة ثابتة في الكائن الإنساني، فهو في مكابدة ومشقة، وجهد وكَدٍّ، وكفاح وكَدْح، كما قال في سورة الانشقاق: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الأنفطار: ٦].

هذا يكابد بعضلاته، وهذا يكابد بفكره، وهذا يكابد بروحه، وهذا يكابد للُقْمة العيش، وهذا يكابد ليجعل الألف ألفين وعشرة آلاف، وهذا يكابد لُملك أو جاه، وهذا يكابد لشهوة ونزوة، وهذا يكابد في سبيل الله، وهذا يكابد لعقيدة ودعوة، وباختصار فريق يكابد إلى الجنة، وفريق يكابد إلى النار، الكل يحمل حِمْلَه، ويواجه نتيجة عمله، فتكون النار للأشقياء، وتكون الراحة الكبرى للسعداء.

٣- تذكير برقابة الله وقوته:

إن هذا الإنسان المخلوق في كبد، الذي لا يكاد يتخلص من عناء الكدح والكد، يَنْسَى حقيقة حاله، فيتصرف تصرف الذي لا يحسب أنه مأخوذ بعمله، ولا يتوقع أن يقدر عليه قادرٌ فيحاسبه، فيطغى ويتجبر، ويسلب وينهب، ويفسق ويفجر..، وإذا دعي للخير والبذل يقول: أنفقت شيئًا كثيرًا، فحسبي ما أنفقت وبذلت، وينسى أن عين الله عليه، وأن علمه محيط به، فهو يرى ما أنفق، ولماذا أنفق[1].

٤- التذكير ببعض نعم الله، واستخدامها في طاعة الله:

إن الإنسان يغتر بقوته، والله هو المنعم عليه بهذه القوة، ويَضِنُّ بالمال، والله هو المنعم عليه بهذا المال، ولا يهتدي أو يشكر، والله قد جعل له ما يهديه في عالم المحسوسات: جعل له عينين على هذا القدر من الدقة في تركيبهما، وفي قدرتهما على الإبصار، ومَيَّزَه بالنطق،

(١) انظر: في ظلال القرآن، جـ٦، صـ٣٩١٠، بتصرف واختصار.

وأعطاه أداته المُحْكَمَة، ثم أودع نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل؛ ليختار أيهما شاء، ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين[1].

والإنسان من منطلق استعداده المزدوج لسلوك أي النجدين، عليه أن يستخدم تلك النعم، التي منَّ الله بها عليه، في طاعة الله ومرضاته، فيمكن للعبد أن يجعل من عينيه سببًا في النجاة من حرِّ جهنَّم، كما قال الرسول ﷺ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله» [رواه الترمذي، الحديث ١٥٦٣][2]، وكذلك اللسان إما أن يرفع صاحبه أو يخفضه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» [رواه البخاري، الحديث٥٩٩٧].

٥- عقباتٌ قبل الوصول:

يتبوأ المؤمن أعلى المنازل في الدنيا من التحلِّي بمقامات العبوديّة والإيمان، وأعلى الدرجات في الآخرة من نيل رضوان المولى تبارك وتعالى، ودون الوصول إلى هذه الغايات عقبات كئود، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾، وعليه أن يتخطّاها، إنه العبور بالنفس إلى شاطئ الأمان، ويتمثَّل في: عتق الرِّقاب، وفي الحرص على إطعام اليتامى من ذوي القربى خاصَّة، وفي أوقات الضِّيق والشدَّة على الأخصِّ.

ويتمثَّل في سدِّ حاجة المساكين الذين لصقت أقدارهم المادِّية بالتراب، وكان فوق هذا الجود والعطاء مؤمنًا، فإن المنفق الكافر لا أجر له؛ بدليل قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

---

(١) وفي هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الآية ٣ من سورة الإنسان.
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤١١٣ .

ثم تُوجِّه الآيات إلى الاتصاف بواجب المؤمن في الجماعة المؤمنة، وهو ألا يكون عنصر إنفاق للمال في الشرور والآثام والأهواء، وإنما يكون داعية بذل وإنفاق للمال في القربات التي تساعده على تخطي العقبات التي تصادفه يوم القيامة، وتحول بينه وبين رضوان الله، وهي: هول الحساب والعذاب الأليم يوم القيامة. كما يجتهد في تخطي عقبة النفس والهوى في حب المال والضَّنِّ به عن الإنفاق على اليتيم والفقير والمسكين وسائر القربات.

٦- الجزاء بعد الأداء:

فإذا تخطَّى المؤمن تلك العقبات، بأدائه لتلك الأعمال، لقي الجزاء الأوفى من الكريم سبحانه، بأن يجعله من أصحاب دار اليُمْنِ والجنَّة، ممن يُؤْتَوْن كتبهم بأيمانهم وهُمْ مَنْ هُمْ في الفضل والمنزلة، فَهُمْ كما قال الحقّ سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۞ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

والذين جحدوا وكذَّبوا، وأنكروا القرآن والآيات الكونية في الآفاق وفي الأنفس هم الذين يُذْهَبُ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى دار الخبال والنَّكال، أو هم أصحاب الشُّؤْم والنحس، مغلَّقة عليهم أبواب النار حتى لا يخبو سعيرها، ولا يخرج منها أصحابها.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- عظّم الله البلد الحرام، لاسيما بحلول النبي ﷺ فيه، وأقسم بالوالد وما ولد. أعيدي قراءة الآيات الأولى من السورة، وعبري بكلماتك عن مكانة ما أقسم الله به.

٢- طالما أن حياتنا مكابدة، فعلينا أن نخرج منها لطاعة الله، وألا تسرقنا دوامة الحياة عن واجباتنا، فجددي عهدك على الدعوة، وتخصيص أوقات لها، وليس فضول الأوقات.

٣- التزمي مراقبة الله، وجددي العهد مع نفسك عليها كل صباح، فبدونها تسوء الأخلاق، وليكن في ورد محاسبتك اليومي سؤال: إلى أي مدى أستشعر مراقبة الله في أعمالي؟

٤- اتفقي مع زميلاتك على الالتزام بما يمكن من وسائل اقتحام العقبة التي ذكرتها الآيات.

٥- على ضوء ما سبق، استعرضي مع زميلاتك مصائر الطغاة من الحكام المستبدين في

العصر الحاضر، وتساقطهم واحدًا تلو الآخر؛ نتيجة فسادهم وتسلطهم، وعدم اتّعاظهم بما جاء في القرآن، وتدارسن سويًّا ما يجب فعله حتى لا تتكرر المأساة.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن ان تكون اكثر من إجابة صحيحة):

١ - أكدت سورة البلد على:

أ- استخدام النعم في طاعة الله. ب- البذل والإنفاق في سبيل الله.

ج- احترام المؤمن مهما كان. د- جميع ما سبق.

٢ - من الأمور التي تناولتها سورة البلد:

أ- التركيز على معنى الحساب والجزاء. ب- بعض الحقائق الإنسانية.

ج- طبيعة وجود الإنسان في الكون. د- جميع ما سبق.

٣- تشير سورة البلد إلى:

أ- عظم مكانة النبي ﷺ. ب- الرخصة للمسلمين في القتال بالحرم.

ج- تكريم الجنس البشري. د- جميع ما سبق.

٤ - من طبيعة الإنسان التي أشارت إليها سورة البلد:

أ- استعداده لسلوك الخير أو الشر. ب- نسيانه لمراقبة الله.

ج- إمساكه عن بذل المال. د- جميع ما سبق.

٥ - «مَالاً لُّبَدًا»:

أ- لُبد= قليل متفرق. ب- لُبد= كثير مجتمع.

٦ - «ذَا مَتْرَبَةٍ» :

أ- ذو متربة = ذو حاجة. ب- ذو متربة = ذو صلة وقرابة.

٧- وضحي كيف تكون مراقبة الله في كل أمورنا.

٨- وضحي - بأمثلة- كيف نشكر نعم الله علينا.

٩- حددي أهمية المقسم به وشرفه.

سورة الشمس

سورة الشمس سورة مكية، وقد تناولت موضوعين اثنين، وهما:

١- موضوع النفس الإنسانية وما جبلها الله عليه من الخير والشر، والهدى والضلال.

٢- موضوع الطغيان مُمَثَّلاً في ثمود الذين عقروا الناقة، فأهلكهم الله ودمرهم.

والصلاة بهذه السورة سُنَّة نبوية، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الآخِرَةِ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَنَحْوِهَا مِنَ السُّوَرِ» [رواه الترمذي، الحديث ٢٨٤].

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ، فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلانُ، قَالَ: لا، وَالله وَلآتِيَنَّ رَسُولَ الله ﷺ فَلأُخْبِرَنَّهُ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ[1] نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى» [رواه مسلم، الحديث ٧٠٩].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله نَاقَةَ الله وَسُقْيَاهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١-١٥].

(١) النواضح: هي الإبل التي يستقى عليها، ويريد أنهم أصحاب عمل.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

وَضُحَاهَا: ضوءها. تَلاهَا: تبعها.

جَلاهَا: كشف ما عليها بضوئه.

يَغْشَاهَا: يذهب ضوءها بعد غيابها في الأفق البعيد.

طَحَاهَا: بسطها.

سَوَّاهَا: أنشأها وأبدع خلقها. فَأَلْهَمَهَا: عَرَّفَها.

فُجُورَهَا: عصيانها. وَتَقْوَاهاَ: طاعتها.

زَكَّاهَا: طهرها وسما بها. دَسَّاهَا:دنسها وأغواها.

ثَمُودُ: القبيلة التي بُعث إليها نبيُّ الله صالح ﷺ.

بِطَغْوَاهَا: أي بطغيانها، وتجاوزها الحد في العصيان.

انْبَعَثَ: نهض. أَشْقَاهَا: أخبثهم وأشدهم فسادًا.

نَاقَةَ الله: أي لا تمسوها بسوء. وَسُقْيَاهَا: اتركوها وحظها من الشرب.

فَعَقَرُوهَا: فذبحوها وقتلوها. فَدَمْدَمَ: أهلك.

فَسَوَّاهَا: عمهم بالعذاب فلم يفلت منهم أحد.

عُقْبَاهَا: عاقبة العذاب وتبعته.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال الآيات:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: القسم أول السورة وخصائصه، طبيعة النفس واستعدادها للخير والشر، اختصاص البشر بالقدرة على التمييز، طغيان ثمود وعموم العقاب على الجناة والساكتين.

١- القَسَم أول السورة وخصائصه:

ذكر المفسرون أن لله أن يقسم بما شاء على ما يشاء، وأما الخلق فليس عليهم أن يقسموا إلا بالله ﷻ.

لم يقسم الله ﷻ بمثل هذا العدد من الأقسام في القرآن الكريم، فقد أقسم الله في هذه السورة بأحد عشر قسمًا، فيقسم الله بالشمس وإشراقها وضيائها وحرها وبهائها، وبالقمر

الذي يجري على أثرها، وبالنهار الذي يجلّي الأرض وموجوداتها، ويظهر ما كان الليل قد غطاه من مرئياتها، وبالليل الذي ينشر ظلامه على ما شاء الله من أرجائها وآفاقها، ويقسم بالسماء وعظمة بنيانها، ويقسم سبحانه بالأرض وبسطها وتذليلها وتمهيدها.

٢- طبيعة النفس واستعدادها للخير والشر:

يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] ، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها، وبيَّن ذلك لها وهداها إلى ما قُدّر لها، قال ابن عباس: بيَّن لها الخير والشر، وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها(١).

وعن عمران بن الحصين ﷺ، أنّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالاَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «لاَ، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ. وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [رواه مسلم، من الحديث ٤٧٩٠].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ قد أفلح من زكَّى نفسه بطاعة الله، وطهَّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ حتى تترك طاعة الله ﷻ.

٣- اختصاص البشر بالقدرة على التمييز:

إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه من طين الأرض، ومن نفخة الله فيه من روحه مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، وهذه القدرة كامنة في كيانه يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة: ﴿ونَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا﴾.. ويعبر عنها بالهداية تارة: ﴿وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٤، ص٥٥١.

١٠]. والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك، ولكنها لا تخلقها خلقًا؛ لأنها مخلوقة فطرةً، وكائنة طبعًا، وكامنة إلهامًا، وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، هي التي تناط بها التَّبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبه على استعداد الشر، فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها، فقد خاب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [البلد: ١٠]. عن زيد بن أرقم ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «... اللهمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا» [رواه مسلم، من الحديث ٤٨٩٩].

٤- طغيان ثمود وعموم العقاب على الجناة والساكتين:

فقد كذبت ثمود رسالة ربهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان، حملهم العتوُّ وتجاوز الحد على الاستهزاء بالرسالة ومَن أرسله الله بها.

وكانوا قد اقترحوا على نبيهم أن يجيء بمعجزة تدل على صدق دعواه، وتكون المعجزة أن يخرج لهم من الصخرة ناقة، فأخرج الله لهم ناقة عظيمة من الصخر، فنهضت وتحركت نوازع الشر في أشدهم عتوًّا ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾، وعزم على قتل الناقة، وكذبوا صالحًا بما وعدهم به من العذاب القريب، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، فأطبق الجبار عليهم العذاب، وأرجف عليهم به، وأهلكهم، واستووا في الاستئصال، فما بقي من المجرمين أحد، قال تعالى: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥١].

لقد وردت قصة ثمود في مواضع شتى من القرآن، فأما هذا الموضع، فيذكر القرآن أن ثمود بسبب طغيانها كذّبت نبيها، فكان الطغيان وحده هو سبب التكذيب، وتمثل هذا الطغيان في انبعاث أشقاها، وهو الذي عقر الناقة، وقد حذرهم رسول الله من أن يمسوا ناقة الله، أو أن يمسوا الماء الذي جُعل لها يومًا، ولهم يومًا.

والذي عقر الناقة هو هذا الأشقى، ولكنهم جميعًا حملوا التبعة وعُدُّوا أنهم عقروها؛ لأنهم لم يضربوا على يده، بل استحسنوا فعله. وهذا مبدأ من المبادئ الإسلامية الرئيسية؛ التكافل في التبعة الاجتماعية في الحياة الدنيا، وهذا لا يتعارض مع التبعة الفردية في الجزاء

الأخروي؛ حيث لا تزر وازرة وزر أخرى، على أنه من الوزر إهمال التناصح والتكافل والحض على البر، والأخذ على يد البَغْي والشر، ويؤكد هذا ويوضحه حديث الرسول ﷺ فيما رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله، وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا؛ هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» [رواه البخاري، الحديث ٢٣١٣]، وفي رواية: «مَثَلُ المُدْهِنِ فِي حُدُودِ الله...» [رواه البخاري، من الحديث ٢٤٨٩]، والمُدْهِنُ: هو المحابي المرائي، المضيِّع للحقوق، الساكت عن المنكر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

﴿ولا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ سبحانه وتعالى.. ومَن ذا يخاف؟ وماذا يخاف؟ وأنى يخاف؟ إنما يراد من هذا التعبير لازم المفهوم منه، فالذي لا يخاف عاقبة ما يفعل، يبلغ غاية البطش حين يبطش، وكذلك بطش الله: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- النفس مستعدة للسير في طريق الخير أو الشر، والازدياد منه، وإذا لم تكوني في ازدياد؛ فاعلمي أنك في نقصان.

٢- تفكري في خلق نفسك، وكيف أن الله سوَّى خلقك، وأدي حق هذه النعمة.

٣- لا يكفيك فقط أن تبتعدي عن المنكرات للنجاة من العذاب، بل تنكري المنكر على مَن يفعله، بوسائله المشروعة.

٤- اشغلي نفسك بالحق قبل أن تشغلك بالباطل، وهذا الحق إما في أمور الدنيا، أو أمور الآخرة، والجمع بينهما بالنية.

٥- أستشعر نعمة الله عليَّ بأن صوَّرني في أحسن صورة، وأُكثر من قول: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي»، واستر زينتي عن الغرباء»، وألتزم بالزي الشرعي، وأُعلِّم هذا لأهلي.

٦- أُزكّي نفسي بطلب العلم، وإصلاح معايبي الأخلاقية والسلوكية.

٧- أجتهد في الطاعة والتقرب إلى الله حتى تزكو نفسي، وأرزق التقوى.

٨- أنهى عن المنكر في المجتمع لأدرأ العذاب عني وعنهم.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة).

١- من الموضوعات التي تناولتها سورة الشمس:

أ- طغيان المكذبين. ب- بطش الله بالجاحدين.

ج- الحرص على مناصرة الدعاة. د- جميع ما سبق.

٢- «وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا»:

أ- ضحاها = ضوءها. ب- ضحاها = عِظَمها ورفعتها.

٣- «وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا»:

أ- جلاها = أظهر الحق من الباطل. ب- جلاها = أظهر ما عليها.

٤- نبّهت السورة إلى تميز الإنسان بـ:

أ- استعداده لفعل الخير والشر. ب- قوة مدركة تساعده على الاختيار.

ج- الطغيان وظلم نفسه. د- جميع ما سبق.

٥- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾:

أ- فعقروها = منعوها من الشرب. ب- فعقروها = قتلوها.

ج- فسواها = عمهم بالعذاب. د- فسواها = جعلها مستوية.

٦- حددي الموضوعات التي تناولتها السورة.

٧- الله تعالى خلق في نفس الإنسان الاستعداد للخير أو الشر، والهدى أو الضلال. اشرحي هذه العبارة من خلال فهمك للآيات.

٨- وضحي ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيني النتائج الكارثية لترك هذا الهدي الإسلامي القويم على الأمم والأفراد على حد سواء.

سورة الليل

سورة الليل مكية، وهي تتحدث عن سعي الإنسان وعمله، وعن كفاحه ونضاله في هذه الحياة، ثم نهايته المحتومة إما إلى النعيم أو إلى الجحيم، فابتدأت بالقسم بالليل والنهار وأصناف الخلق، ثم وضحت سبيل السعادة والشقاء، ونبهت على اغترار بعض الناس بأموالهم، ثم حذرت أهل مكة وكل المكابرين المعاندين للحق من عذاب الله وانتقامه، وخُتمت السورة بذكر نموذج للمؤمن الصالح الذي ينفق ماله في وجوه الخير ليزكي نفسه، وهو الصديق أبو بكر ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى * فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١-٢١].

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

يَغْشَى: يغطي. تَجَلَّى: انكشف وظهر.

سَعْيَكُمْ: عملكم. لَشَتَّى: لمختلف متفرق.

أَعْطَى: بذل وأنفق. وَاتَّقَى: انتهى عمّا نهى الله عنه، وعمل بأمره.

الْحُسْنَى: الجنة، أو الملة الحسنى وهي: الإسلام.

فَسَنُيَسِّرُهُ: سنهيئه ونوفّقه.

لِلْيُسْرَى: الطريقة الأيسر الأسهل. بَخِلَ: أمسك عن الإنفاق.

وَاسْتَغْنَى: اغتنى واكتفى بما لديه.

لِلْعُسْرَى: الطريقة الأصعب والأشد والأكثر مشقة.

تَرَدَّى: سقط. تَلَظَّى: تلتهب وتشتعل.

أنذرتكم: حذّرتكم وخوّفتكم.

يَصْلاهَا: يُلقى فيها ويذوق سعيرها. الأَشْقَى: الكافر الشقي.

تَوَلَّى: أعرض. سيُجنَّبها: سيَبتَعد عنها.

يَتَزَكَّى: يتطهر.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

نتناول في ظلال السورة المعاني التالية: الاختلاف والتنوع سنة كونية، طريق اليسرى والعسرى، السعادة والشقاء وتوقفهما على أسباب.

١- الاختلاف والتنوع سنة كونية:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ يقسم الله سبحانه بهاتين الآيتين؛ بالليل والنهار مع صفة كل منهما الصفة المصورة للمشهد، فالليل يغطي الكون بظلامه، والنهار حين يتجلى يظهر في تجليه كل شيء ويتضح. والليل والنهار ظاهرتان شاملتان للأوقات، ولتقلبهما حديث وإيحاء؛ حديث عن هذا الكون المجهول الأسرار، والظواهر التي لا يملك البشر من أمرها شيئًا، وإيحاء بما وراء هذا التقلب من قدرة، وبما هناك من تغير وتحول لا يثبت.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ ثم يقسم الله بخلْقه الأنواع جنسين متقابلين، فالذكر والأنثى شاملان للأنواع كلها، لكن للذكر ما اختص به، وللأنثى كذلك؛ لتستمر الحياة.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا هو المقسم عليه، فسعي الناس مختلف، فليس الخير كالشر، وليس الهدى كالضلال، وليس الصلاح كالفساد، فالكل مختلف في حقيقة سعيه، والناس في هذه الأرض تختلف طبائعهم، وتختلف مشاربهم، وتختلف تصوراتهم، وتختلف اهتماماتهم حتى لكأن لكل واحد منهم عالمًا خاصًّا يعيش فيه.

٢- طريق اليسرى والعسرى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ فأما من أعطى من ماله، وأنفق ابتغاء وجه الله، واتقى ربه فكفّ عن محارم الله، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ صدَّق بالإسلام أو بالجنة التي أعدها الله تعالى للأبرار، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فسنهيئه لعمل الطاعات، وترك المنكرات، فيحيا في يُسر؛ يُسر في خطوه، ويسر في طريقه، ويسر في تناوله للأمور كلها.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ بخل بالمال واستغنى عن عبادة الله، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ وكذب بالإسلام، أو بالجنة ونعيمها، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فسنهيئه للحياة السيئة في الدنيا والآخرة، فيعسر الله عليه كل شيء، ويوفقه إلى كل وعورة، ويحرمه كل تيسير، فيظل منطلقًا في طريق الشقاوة، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ولن ينفعه ماله إذا هلك في نار جهنم.

هاتان هما الوجهتان اللتان يلتقي فيهما شتات النفوس، وشتات السعي، وشتات المناهج، ولكل منهما في الحياة طريق.. ولكل منهما في طريقه توفيق!.

٣- السعادة والشقاء وتوقفهما على أسباب:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي إن علينا أن نبين للناس طريق الهدى من طريق الضلالة، فقد كتب الله على نفسه– فضلاً منه بعباده ورحمة– أن يبين لهم الهدى بالرسل والرسالات والآيات؛ فلا تكون هناك حجة لأحد، ولا ظلم لأحد. ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ أي لنا ما في الدنيا والآخرة، فمن طلبهما من غير الله فقد أخطأ الطريق. ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ وأحذركم يا أهل مكة ومَن وراءكم من الناس نارًا تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها، ﴿لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى﴾ لا يدخلها ويذوق سعيرها إلا الكافر الشقي، ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ الذي كذب الرسل، وأعرض عن الإيمان، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ وسيبعد عن النار وينجو منها التقي النقي المبالغ في اجتناب الشرك والمعاصي، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الذي ينفق ماله في وجوه الخير ليطهر نفسه، ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها، وإنما ينفق لوجه الله تعالى[١]، ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ

---

(١) قيل: إن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ.

رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ أي ليس له غاية إلا مرضاة الله، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾- وهذا من أعظم الجزاء، إنه الرضا الذي ينسكب في قلبه، ويشيع في وجدانه- ليرضى عن ربه ودينه وقدره، ويرضى بما يجد من سراء وضراء، يرضى فلا يقلق، ولا يستعجل، ولا يستثقل العبء، ثم بعد ذلك يعطيه الله تعالى في الآخرة ما يرضيه.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- ضرورة التدبر في خلق الله تعالى. تابعي مع زميلاتك ما تعاهدتن عليه من عبادة التفكر.

٢- الاستفادة من الاختلاف بين الظواهر الكونية، وطبائع المجتمعات والأفراد بقدر حكمتنا. ناقشي مع زميلاتك كيف تستفيد المرأة من الرجل والعكس.

٣- الإنفاق والتقوى تيسران الأمور، والبخل والمعاصي سببان لأسوأ العواقب. الزمي نفسك بنفقة محددة على نهج سيدنا أبي بكر الصديق.

٤- إرضاء الله يحقق لكِ الرضا في الدنيا، فراجعي نيتك في أعمالك دومًا، واجعليها خالصة لله.

٥- فتح نقاش حول صفات المرأة التي تناسب دورها في الحياة، وكذا الرجل، وكيف أن كلاً منهما يكمل الآخر، وخطأ طلب المساواة بينهما.

٦- عمل صندوق للحلقة للاستعانة به في الإنفاق في وجوه الخير.

٧- حث الأهل على الإنفاق على فقراء العائلة وأيتامها بشكل كامل ومنظم؛ فالأقربون أولى بالمعروف.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- سعي الإنسان وعمله. ب- سبيل السعادة والشقاء.

ج- نموذج للمؤمن الصالح الذي ينفق ماله في وجوه الخير.

د- جميع ما سبق.

٢- إن سعيكم لشتى:

سعيكم: أ- حرصكم. ب- عملكم.

لشتى: أ- المختلف الطرق. ب-كثير.

٣- معنى الحسنى في السورة:

أ- الجنة. ب- الملة الحسنى.

ج- الإسلام. د- جميع ما سبق.

٤-أشارت الآيات الخمس الأخيرة من السورة إلى:

أ-إنفاق المال تزكية للنفس. ب- المؤمن ليس له غاية إلا مرضاة الله.

ج- لن ينفع المال إذا هلك صاحبه في النار. د- جميع ما سبق.

٥- معنى تردى في الآية (وما يغني عنه ماله إذا تردى):

أ-سقط. ب- هلك. ج- مات. د- جميع ما سبق.

٦-ترشدنا السورة إلى:

أ-التدبر في خلق الله. ب-الإنفاق والتقوى ييسران الأمور.

ج-الجهاد في سبيل الله. د-ارضي اللهَ يرضيكِ.

٧- حددي المحاور التي تتحدث عنها السورة.

٨- اذكري أسباب السعادة والشقاء كما ذكرت السورة؟

* * *

سورة الضحى

سورة الضحى مكية، وهي تتناول شخصية النبي ﷺ وما حباه الله به من الفضل والإنعام في الدنيا والآخرة؛ ليشكر الله على تلك النعم الجليلة، وابتدأت السورة الكريمة بالقسم على جلال قدر الرسول ﷺ، وأن ربه لم يهجره ولم يبغضه- كما زعم المشركون- بل هو عند الله رفيع القدر، عظيم الشأن والمكانة، ثم بشرته بالعطاء الجزيل في الآخرة، وذكَّرته بفضل الله عليه في الدنيا أيضًا، وما كان عليه في الصغر من اليتم والفقر، فآواه الله وأغناه، وختمت بتوصية الرسول ﷺ بالإحسان إلى المحتاج، والتحدث بنعم الله ﷻ عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَى • وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى • مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى • وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى • وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى • أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى • وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى • وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى • فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ • وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ • وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١-١١].

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

وَالضُّحَى: ضوء الشمس حين ارتفاعها.

سَجَى: اشتد ظلامه أو غطَّ.

مَا وَدَّعَكَ: ما تركك.

قَلَى: أبغض.

آوَى: ضمّك إلى مَن يرعاك.

ضَالاً: لا تعرف الشريعة.

عَائِلاً: فقيرًا.

تَقْهَر: تذلّ وتحقر.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

نتناول في ظلال هذه السورة: حب من الله لنبينا، ووعد منه له بالعطاء، منٌّ توجب شكرًا.

١- حب من الله لنبينا، ووعد منه له بالعطاء:

﴿وَالضُّحَى﴾ أقسم الله تعالى بوقت الضحى، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس،

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ وبالليل إذا اشتد ظلامه وغطّى كل شيء في الوجود.

وفي اختيار هذين الوقتين إيحاء جميل؛ فهما أصفى آنين من آناء الليل والنهار، وأشفُّ آنين تسري فيهما التأملات، وتحلق الروح في الوجود وتتدبر، وتتذكر خالق الوجود، إيحاء بالحياة النابضة الشاعرة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل، ويأتي هذا الإيحاء في بداية السورة ليضفي على الحديث جوًّا من الأنس والودّ والحنان، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ أي ما تركك ربك منذ اختارك، وما أبغضك مذ أحبك. وهذه الآية ردٌّ على المشركين حين قالوا هجره ربه.

﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ وللدار الآخرة- يا محمد- خير لك من هذه الدنيا؛ لأن الدنيا فانية، والآخرة باقية، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أي ولسوف يعطيك ربك في الآخرة من الثواب والكرامة والشفاعة وغير ذلك حتى ترضى. وقد أعطاه الله تعالى في الدنيا النصر على الأعداء، وجعل أمته خير الأمم وأفضلها، وأعطاه في الآخرة الشفاعة والمقام المحمود.

٢- منن توجب شكرًا:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ألم تكن- يا محمد- يتيمًا في صغرك فآواك الله إليه، وأحاطت بك رعايته، وعطّف عليك القلوب، فضمَّك إلى عمك أبي طالب يكفلك ويرعاك؟ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ ووجدك تائهًا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ ووجدك فقيرًا محتاجًا فأغناك عن الخلق بما يسَّر لك من أسباب التجارة والرزق؟

ثم يوجهه الله، ويوجه المسلمين من ورائه، إلى رعاية كل يتيم، وكفاية كل سائل، وإلى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه، وفي مقدمتها الهداية إلى هذا الدين، فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ أي لا تحتقر اليتيم، ولا تغلبه على ماله، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ وأما المسكين الذي يسأل عن حاجة وفقر، فلا تغلظ له في القول، بل أعطه أو رده ردًّا جميلاً، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وحدث الناس بفضل الله وإنعامه عليك؛ فإن التحدث بالنعمة شكر لها.

وهذه التوجيهات إلى إكرام اليتيم، والنهي عن قهره وإذلاله وكسر خاطره، وإلى إغناء السائل- مع الرفق به- علاج لما تعانيه تلك البيئة الجاحدة المتكالبة، التي لا ترعى حق ضعيف عاجز عن حماية حقه، حيث رفع الإسلام هذه البيئة بشرعه إلى الحق والعدل.

وأما التحدث بنعمة الله- وبخاصة نعمة الهدى والإيمان- فهو المظهر العملي للشكر.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- السورة تحيي مشاعر الحب تجاه رسول الله ﷺ، عبري بكلماتك عن هذه المشاعر داخلك.

٢- التدليل على محبة النبي ﷺ باتِّباع سنته، واقتفاء هديه. اتفقي مع زميلاتك على إحياء سنة من سنن الرسول ﷺ.

٣- تقديم العمل للآخرة على ما سواه.

٤- تذكر نعم الله علينا وشكرها بإرشاد الخَلْق إلى المُنْعم الرزَّاق، وفعل الخيرات، وبرِّهم بها.

٤- مما سبق تدبري مع زميلاتك أهمية التكافل الاجتماعي، وضرورة محاربة الفقر والبطالة، وحتمية أن يصل الضمان الاجتماعي إلى كافة شرائح الفقراء، حتى لا يتعرضوا إلى ذل السؤال.

٥- دراسة أهمية الجمعيات الخيرية في توصيل المساعدة للمحتاجين دون تعريضهم لذل المسألة. هل يمكن لإحدانا أو لبعضنا الاشتراك في جمعية أو أكثر؟

٦- أكثري من النوافل، وتقربي بها إلى الله حتى تنالي محبته.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتناول سورة الضحى:

أ- ما حبا الله رسوله ﷺ به من الفضل والإنعام في الدنيا والآخرة.

ب- توصية الرسول ﷺ والمسلمين من بعده بالإحسان إلى المحتاج، ورعاية اليتيم.

ج- التحدث بنعم الله. د- جميع ما سبق.

٢- معنى (الضحى):

أ-ضوء الشمس حين ارتفاعها. ب- ضوء الشمس بعد الزوال.

٣- ومعنى (سجى):

أ-سكت. ب-اشتد ظلامه.

٤- معنى (وما قلى):

أ-ما نسيك. ب-ما أبغضك.

٥- ومعنى (ضالاً):

أ- حائرًا. ب-لا تعرف الشريعة.

٦- (وأما بنعمة ربك فحدث):

أ- هي نعمة الهدى والإيمان. ب- نعمة الليل والنهار.

ج- التحدث بالنعمة مظهر عملي للشكر. د- جميع ما سبق.

٧- ترشدنا السورة إلى:

أ- حب النبي ﷺ، وذلك باتّباع سنته.

ب- تقديم عمل الدنيا على عمل الآخرة؛ حتى لا نتأخر عن الأمم.

ج- شكر نعم الله علينا بفعل الخير. د- جميع ما سبق.

٧- اذكري أسباب نزول السورة.

٨- عددي النعم الكثيرة التي منَّ الله بها عليكِ.

٩- اذكري أمثلة عن كيفية شكر الله ﷻ.

١٠- فسري قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى • وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى • وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

١١- وجهتنا الآيات إلى إكرام اليتيم، والنهي عن قهره وإذلاله وكسر خاطره، وإلى إغناء السائل مع الرفق به. اذكري أثر ذلك على الفرد والمجتمع.

سورة الشرح

نزلت هذه السورة- وهي سورة مكية- بعد سورة الضحى، وكأنَّها تكملة لها، فيها ظل العطف الندي، وفيها روح المناجاة للحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية، وفيها البشرى باليسر والفرج.

ابتدأت السورة الكريمة بتذكير النبي ﷺ بجميل صنع ربه معه؛ من شرح صدره بالحكمة والنبوة، وزوال الهم والغم، وتخفيف الأعباء التي تثقله وترهقه، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإعلاء لقدره ومقامه، ثم أكدت الآيات على لطف الله بعباده، والذي يتجلى فيما يصاحب أو يتبع كل عسر من تيسير، فلا يأس ولا قنوط، ثم خُتمت بدعوة النبي ﷺ والمؤمنين إلى إقامة علاقات خاصة مع ربهم تقوم على بذل الجهد، والثقة في الموعود.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ١-٨].

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

وَوَضَعْنَا عَنكَ: خففنا عنك وسهلنا عليك.

وِزْرَكَ: حملك «أعباء النبوة والرسالة».

أَنقَضَ: أثقل.

وَرَفَعْنَا: أعلينا وعظّمنا.

ذِكْرَكَ: شأنك وقدرك والحديث عنك.

فَرَغْتَ: انتهيت.

فَانصَبْ: فاجتهد في عبادة الخالق.

وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ: تضرع إليه وسَلْه في جميع شئونك.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: تودد الحبيب للحبيب بالجميل، المِنح تلدها المحن، مستودع الزاد والانشراح.

١- تودد الحبيب للحبيب بالجميل:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نشرح صدرك لهذه الدعوة، ونيسر لك أمرها، ونجعلها حبيبة إلى قلبك، ونُهيِّئ لك طريقها، ونُنير لك الطريق حتى ترى نهايته السعيدة؟ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ووضعنا عنك عبئك الذي أثقل ظهرك حتى كاد يحطمه من ثقله، وضعناه عنك بشرح صدرك له فخفَّ وهان، وبتوفيقك للدعوة ومداخل القلوب، وبالوحي الذي يكشف لك عن الحقيقة، ويعينك على الدخول بها إلى النفوس في يسر وهوادة ولين، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفعناه في الملأ الأعلى، ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعًا.. رفعناه فجعلنا اسمك مقرونًا باسم الله كلما تحركت به الشفاه: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».. وليس بعد هذا سمو منزلة، وهو المقام الذي تفرَّدت به دون سائر العالمين.

وهذه البداية تُشعر بأن النبي ﷺ كان يعاني ضائقة لأمر من أمور الدعوة، وأن صدره كان مثقلاً بهموم الدعوة وما يعترضها من صعوبات، فكان في حاجة إلى عون ومدد وزاد، فبادرته العناية الإلهية بهذا الحديث الودود؛ يسري عنه، ويطمئنه بقرب الفرج، ويبشره باليسر القريب.

٢- المِنح تلدها المحن:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إن العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه، وقد لازمه معك فعلاً؛ فحينما ثقل العبء شرحنا صدرك، فخف حملك الذي أنقض ظهرك، وكان اليسر مصاحبًا للعسر، يزيل همَّه، ويضع ثقله.. وإنه لأمر مؤكد حتى إنه يكرره بألفاظه ليرسخه ويعمقه في قلوبنا وعقولنا ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

٣- مستودع الزاد والانشراح:

ثم يجيء التوجيه الكريم لمواقع التيسير، وأسباب الانشراح، ومستودع الري والزاد في الطريق الشاق الطويل ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ فإذا فرغت من شغلك مع الناس.. ومع شواغل الحياة.. إذا فرغت من هذا كله؛ فتوجه بقلبك كله إلى ما يستحق أن تنصب فيه وتكد وتجهد: العبادة والتجرد ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ إلى ربك وحده فتوجه خاليًا من كل شيء حتى من أمر الناس الذين تشتغل بدعوتهم؛ وهنا ستجد يسرًا مع كل عسر، وفرجًا من كل ضيق.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- تعظيم النبي ﷺ، والصلاة عليه كلما ذُكر اسمه، فاجعلي لك وردًا للصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، لاسيما يوم الجمعة، وفي وقت حلقة التعلم.

٢- تذكر جميل صنيع الله معنا، وما أولانا به من نِعَم إذا أَلَمَّت بنا ضائقة، أو نزلت بنا شدة.

٣- الثقة بأن الفرج واليسر قريبان، ونرفض العجز واليأس، عبري بكلماتك عن مدى تحقيقك لهذه القاعدة.

٤- العبادات الفردية من ذكر وتلاوة وقيام زادٌ للداعيات في عمل الدعوة، ولتحذر المؤمنة من الاكتفاء ببذل الخير للناس على حساب زادها من تلك الطاعات.

٥- اليأس والتشاؤم والقنوط من رحمة الله آثام يجب الابتعاد عنها، وطلب الفرج وانتظاره عبادة.

٦- إحسان الظن بالله دائمًا (أنا عند ظن عبدي بي).

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة):

١- سورة الشرح:

أ- سورة مدنية.

ب- كأنها تكملة لسورة الضحى.

ج- تدعو النبي ﷺ والمؤمنين إلى بذل الجهد، والثقة في موعود الله.

د- جميع ما سبق.

٢- معنى (وزرك):

أ-تعبك. ب- حملك (أعباء النبوة والرسالة).

٣- معنى (انقض):

أ- هدم. ب- أثقل.

٤- ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾:

أ- بشرح صدرك فخفّ. ب- بالوحي الذي يكشف لك عن الحقيقة.

ج- بتوفيقك وتيسيرك للدعوة. د- جميع ما سبق.

٥- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾:

أ- أمرنا المسلمين بأن يصلوا عليك عند ذكر اسمك.

ب- جعلنا اسمك مقرونًا باسم الله كلما تحركت به الشفاه.

٦- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾:

أ-إن العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه.

ب-خفف هموم الدعوة وصعوباتها بأن أزال همه، وطمأنه بالفرج.

ج- كرر ألفاظ العسر واليسر كي يؤكد التيسير.

د- جميع ما سبق.

٧- (فارغب):

أ-تضرع إليه وسَلْه في جميع شئونك. ب-ابتعد عن الناس واقترب من الله.

٨- حددي المحاور التي تدور حولها السورة.

٩- عددي أمثلة من الحياة تبين أن المحنة يتبعها منحة.

١٠- وضحت السورة مواقع التيسير وأسباب الانشراح. اشرحي ذلك.

١٢- على كل دارسة أن تعرض موقفًا رأت فيه اليسر مع العسر أو بعده.

***

سورة التين

سورة التين مكية، وهي تتحدث عن تكريم الله للإنسان بإحسان خلقه على أفضل تركيب، وأجمل صورة، مُهَيئًا بفطرته للإيمان والخير، فإذا انحرف وأعرض عنهما انحط قدره، وخسَّت رتبتُه، ثم بيّنت الآيات أنه لا يوفق للبقاء على الطاعة، وسلامة اليقين، إلا المؤمنون العاملون، وهؤلاء ينتظرهم الأجر الجزيل من الله، ثم خُتمت باستنكار على المكذبين بالبعث والجزاء مع ما يرون من بديع خلق الله، مُثْبتةً ومُقررةً أن الله عنده الحكم الفصل والعدل المطلق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

وَطُورِ سِينِينَ: جبل الطور. الْبَلَدِ الأَمِينِ: مكة المكرمة.

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ: في أحسن صورة أو أفضل تركيب.

رَدَدْنَاهُ: أعدناه وأرجعناه.

أَسْفَلَ سَافِلِينَ: جهنم أو أرذل العمر. غَيْرُ مَمْنُونٍ: غير مقطوع.

الدين: البعث والجزاء.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: ألوان جديدة من القَسَم، تكريم الإنسان خَلْقًا ورده أسفل سافلين، أجر لا ينقطع وعدالة مطلقة تطمئننا.

١- ألوان جديدة من القسم:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قسم بمنبتهما في الأرض المباركة، وقيل: هو إشارة إلى بيت

المقدس نفسه، وقيل: هما النباتان والثمران المعروفان. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو جبل الطور الذي نودي موسى عليه السلام من جانبه، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ هو مكة بلد الله الحرام. وهذه الأقسام بتلك البقاع المقدسة- على القول بأن المراد بالآية الأولى الإشارة إلى بيت المقدس- توحي بدلالات متعددة، منها شرف هذه الأماكن وقدسيتها عند الله وعند أصحاب الرسالات السماوية، ومنها توجيه عناية المسلمين إلى معانٍ وذكريات لها علاقتها بأمر الدين والإيمان.

ثم تبدأ السورة في الحديث عن حقيقة الفطرة السوية الحسنة التي فطر الله الإنسان عليها، والتي تتسق مع طبيعة الإيمان، والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها، وهبوط الإنسان وسفوله حين ينحرف عن سواء الفطرة، واستقامة الإيمان.

٢- تكريم الإنسان خَلْقًا ورده أسفل سافلين:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ هنا تبدو عناية الله بخلق هذا الإنسان ابتداءً في أحسن تقويم، فالله سبحانه أحسن كل شيء خلقه، وتخصيص الإنسان هنا بحسن التركيب وحسن التقويم فيه فضل عناية بهذا المخلوق.

والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية؛ فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة، ويُعرِض عن الإيمان.

فالإنسان مهيّأ لأن يبلغ من الرفعة مدًى يفوق مقام الملائكة المقربين إذا استقامت فطرته، وكذا هذا الإنسان مهيأ- حين ينتكس- لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)؛ حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم.

٢- اجر لا ينقطع وعدالة مطلقة تطمئننا:

﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهؤلاء هم الذين يقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها، حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال في دار الكمال، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ دائم غير مقطوع.

ومن ثم تتجلى قيمة الإيمان في حياة الإنسان.. إنه المرتقى الذي تصل فيه الفكرة القويمة إلى غاية كمالها.. إنه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها، وحين ينقطع هذا الحبل فالنتيجة الحتمية هي الارتكاس في المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين.

وفي ظل هذه الحقيقة يُنادى «الإنسان» : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟ فما يكذبك بالبعث والجزاء بعد هذه الحقيقة، وبعد إدراك قيمة الإيمان في حياة البشر، وبعد تبيُّن مصير الذين لا يؤمنون؟

﴿أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟ أليس الله بأعدل العادلين حين يحكم في أمر الخلق على هذا النحو، أو أليست حكمة الله بالغة في هذا الحكم على المؤمنين وغير المؤمنين؟

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- معرفة عظمة الأماكن المقدسة؛كبيت المقدس وجبل الطور ومكة المكرمة. (الاتفاق على جلسة نقاش، أو مشاهدة عرض مصور لهذه الأماكن، وتدوين الخواطر والتوصيات، والاستفادة من الخبرات والمعاني التي تذكِّرنا بها إيمانيًّا ودعويًّا).

٢- المداومة على شكر الله على إحسان خلقتنا، وندعوه أن يُحسِّن أخلاقنا. (تجديد التفكر في خلق النفس وتسويتها).

٣- ناقشي أخواتك وعلمي الأخريات أهمية الاجتماع مع الصحبة الصالحة على الإيمان والعمل الصالح؛ للارتقاء بالنفس ونجاتها من الخسران.

٤- اليقين بعدالة الله وحكمته في أقداره، وكمال الإيمان بالقدر. راجعي نفسك إلى أي مدى تحققين هذا في واقع حياتك.

٥- عمل رحلة- إن أمكن- للأماكن التي لها ارتباط بقصص القرآن لتلقي العبرة منها.

٦- الإشارة إلى فوائد التين والزيتون الصحية.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- تكريم الله للإنسان بإحسان خلقه. ب- إذا انحرف الإنسان انحط قدره.

ج- أهمية التين والزيتون. د- جميع ما سبق.

٢- معنى (رددناه):

أ-أعدناه وأرجعناه. ب-كررنا الفعل.

٣- ومعنى (أسفل سافلين):

أ-جهنم. ب-أرذل العمر.

٤- والتين والزيتون:

أ- إشارة إلى أهمية التين والزيتون. ب- إشارة إلى بيت المقدس.

ج- توحي بشرف الأماكن المقدسة. د- جميع ما سبق.

٥- تخصيص الإنسان بحسن التقويم:

أ-دلالة على تكليف الله له. ب-دلالة على جميل عناية الله بالإنسان.

ج-تهيئة ليبلغ مقامًا يفوق مقام الملائكة. د-لا شيء مما سبق.

٦- ترشد السورة إلى:

أ- نشتاق إلى الأماكن المقدسة. ب- أحسن الله خلقنا كي ندخل الجنة.

جـ- المداومة على الأعمال الصالحة. د- نتيقن بعدالة الله فلا نظلم أحدًا.

٧- وضحي المحاور التي تدور حولها السورة.

٨- اذكري تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

٩- اذكري العبر والعظات التي تشير إليها السورة.

سورة العلق

هذه السورة مكية، ومطلعها هو أول ما نزل من القرآن باتفاق، وهي تتحدث عن بدء نزول جبريل بالوحي على محمد ﷺ الأمي؛ ليكون رسولاً يخرج الناس من الظلمات إلى النور بقدرة الله الذي خلق الإنسان من علق، وعلمه مالم يكن، ثم تحدثت عن بعض طبائع البشر التي لا يُصلحها إلا الإيمان بالله، وبأن المصير النهائي إليه، ثم ذكرت خصوم الدعوة، وتوعدتهم بالعقاب الشديد، وتحدت المستكثرين بالأعوان والأنصار أن يستطيعوا إنقاذ أنفسهم من زبانية الجحيم، ثم أمرت النبي والمؤمنين ألا يلتفتوا إلى تهديدهم، وأن يكثروا من السجود والتقرب إلى الله؛ فإنه سبحانه نعم المولى، ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۞ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ۞ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ۞ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞ كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

علق: دم جامد.

﴿ليطغى﴾: يتجاوز الحد في العصيان.

﴿أن رآه﴾: من أجل أن رأى نفسه.

﴿استغنى﴾: بأمواله أو بأنصاره وأعوانه.

﴿الرجعى﴾: الرجوع في الآخرة للجزاء.

﴿ينهى﴾: يكف، يمنع.

﴿أرأيت﴾: أخبرني.

﴿هدى﴾: الرشاد، الطريقة المستقيمة.

﴿لنسفعن﴾: لنأخذن- لنسحبن. ﴿بالناصية﴾: شعر مقدم الرأس.
﴿ناديَه﴾: أهل مجلسه من قومه وعشيرته. ﴿الزبانية﴾: ملائكة العذاب.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: طلب العلم ونداء الوحي الأول للرفعة والإيمان، الجهل واعتقاد الإنسان الاستغناء سببان للطغيان، العتو والبغي مرتعهما وخيم.

١- طلب العلم ونداء الوحي الأول للرفعة والإيمان:

إنها الآيات الأولى من هذا القرآن، فهي تبدأ باسم الله، وتوجه الرسول أول ما توجهه في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى إلى أن يقرأ باسم الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. وتبدأ من صفات الرب بالصفة التي بها الخلق والبدء ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾.

ثم تخصص خلق الإنسان ومبدأه ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.. من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة بالرحم، ومن ذلك المنشأ الصغير البسيط التكوين. فمن كرمه رفع هذا العلق إلى درجة الإنسان الذي يُعلَّم فيتعلم ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وإنها لنقلة بعيدة جدًّا بين المنشأ والمصير، ولكن الله قادر كريم.

وإلى جانب هذه الحقيقة تبرز حقيقة العلم، تعليم الرب للإنسان ﴿بِالْقَلَمِ﴾؛ لأن القلم كان- وما يزال- أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرًا في حياة الإنسان، ثم يبرز مصدر التعليم..إن مصدره هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما عَلِم، وكل ما يعلم، وكل ما يُفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه.

وبهذا المقطع الواحد الذي نزل في اللحظة الأولى من اتصال الرسول بالملأ الأعلى، بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة.

كل أمر.. كل حركة.. كل خطوة باسم الله، وعلى اسم الله، باسم الله تبدأ، وباسم الله تسير، وإلى الله تتجه، وإليه تصير.

ولقد كان من مقتضيات هذا التكريم بالخلق والتعليم أن يعرف الإنسان ربه فيشكره، ويقابل نعمه بالحمد والامتنان.

٢- الجهل واعتقاد الإنسان الاستغناء سببان للطغيان:

﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۞ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ ثم يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى بما يملك من الأموال والأولاد، وما يحيطه من الأنصار والأعوان، متجاهلاً أو ناسيًا أن الذي أعطاه فأغناه هو الله،كما أنه هو الذي خلقه وأكرمه وعلمه، ولكن الإنسان في عمومه- لا يستثنى إلا من يعصمه إيمانه- لا يشكر حين يُعطى فيستغني، وهنا يحتاج إلى أن يتذكر ويعي: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ أي إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسب على كل كبيرة وصغيرة، فأين يذهب هذا الذي طغى واستغنى؟

وفي الوقت ذاته تبرز قاعدة أخرى من قواعد التصور الإيماني؛ قاعدة الرجعة إلى الله، الرجعة إليه في كل شيء، وفي كل أمر، وفي كل نية، وفي كل حركة، فليس هناك مرجع سواه.. ألا إلى الله تصير الأمور.

٣- العتو والبغي مرتعهما وخيم:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ تعجبٌ من هذا المتجبر المسرف في العتو والبغي، الذي يمنع أن يذكر اسم الله، ويحُول بين العبد ومولاه، أرأيت هذا الأمر المستنكر؟ أرأيت إن كان هذا المصلي الذي يتعرض له من ينهاه عن صلاته ﴿إن كان على الهدى﴾، أي فما ظنك إن كان على الطريقة المستقيمة في فعله، ﴿أو أمر بالتقوى﴾ بقوله! أرأيت إن أضاف إلى هذه الفعلة المستنكرة فعلة أخرى أشد نكرًا ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ يعني كذب بكتاب الله ﷻ، وأعرض عن الإيمان، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾؟! يرى تكذيبه وتوليه، ويرى نهيه للعبد المؤمن إذا صلَّى وهو على الهدى، آمر بالتقوى. فهو تقرير وتوبيخ، ثم يجيء التهديد الحاسم الرادع: ﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ إنه تهديد شديد عنيف: ﴿كَلا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾.. هكذا ﴿لنسفعًا﴾ بهذا اللفظ الشديد

المصور بجرسه لمعناه. والسفع: الأخذ بعنف. والناصية: أعلى مكان يرفعه الطاغية المتكبر. إنها ناصية تستحق السفع ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فطالما تمادت في تكذيبها وخطئها، وقد يخطر له أن يدعو من يعتز بهم من أهله وصحبه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾. أما نحن فإننا ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الشداد الغلاظ.. والمعركة إذن معروفة المصير!

وفي ضوء هذا المصير بالغ السوء للضالين المكذبين، تختم السورة بتوجيه المؤمن الطائع إلى الإصرار والثبات على إيمانه وطاعته: ﴿كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ كلا، لا تُطِع هذا الطاغي الذي ينهى عن الصلاة والدعوة، واسجد لربك واقترب منه بالطاعة والعبادة.

ولقد وردت بعض الروايات الصحيحة بأن هذه السورة- عدا المقطع الأول منها- قد نزلت في أبي جهل، ولكن دلالة السورة عامة في كل مؤمن طائع عابد داعٍ إلى الله، وكل طاغٍ باغٍ ينهى عن الصلاة، ويتوعد على الطاعة، ويختال بالقوة.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١ - الاجتهاد في طلب العلم؛ لأنه سبيل الحياة الراقية، وأساس التقدم.

٢ - تفكر الإنسان في خلقه ومراحل حياته؛ ليتعظ ويؤمن بقدرة الله تعالى. تجديد التفكر في خلق النفس وتسويتها.

٣- المثابرة في دعوة الناس إلى الحق والخير، ولا نلتفت إلى الساخرين أو المثبطين.

٤ - الاستعانة بالصلاة والدعاء دائمًا، فإنهما نعم العون والزاد. راجعي نفسك إلى أي مدى تحققين هذا في واقع حياتك..

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- قدرة الله الذي خلق الإنسان من علق.

ب- قد ينفع الطغاة المال والجاه.

ج- طبائع البشر السيئة لا يصلحها إلا الإيمان بالله.

د- السجود والتقرب إلى الله كي نستطيع مواجهة الظلم.

٢- ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾:

أ- أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يتعلم الكتابة بالقلم.

ب- القلم هو أهم أدوات التعليم أثرًا في حياة الإنسان.

ج- يستمد الإنسان العلم بالاستعانة بالله.

د- جميع ما سبق.

٣- ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ تعني:

أ- ليظلم. ب- ليتكبر.

ج- يتجاوز الحد في الطغيان. د- يستغني بأمواله وأنصاره.

٤- ﴿إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾:

أ- أي إلى الله المرجع والمصير. ب- الرجعة إليه في كل شيء وفي كل أمر.

ج- إلى أين سيذهب الذي طغى. د- جميع ما سبق.

٥- معنى (لنسفعًا بالناصية):

أ- لنضربن. ب- لنعذبن.

ج- لنأخذن بعنف. د- لنسحبن.

٦- عاقبة البغي والتجبر:

أ- الأخذ الشديد والذل بسبب تكبره. ب- يشفع له أصحابه وأهله.

٧- ترشد السورة إلى:

أ- نجتهد في طلب العلم، ونستعين بالصلاة والدعاء.

ب- ننشط في الدعوة إلى الحق والخير، ولا نلتفت إلى الساخرين أو المثبطين.

ج- مراحل خلق الإنسان. د- جميع ما سبق.

٨- حددي محاور السورة.

٩- وضحي معنى قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۞ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾.

١٠- اذكري أهمية الصلاة والدعاء كسلاح للمؤمن.

١١- اشرحي أهمية الدعوة إلى الله ﷻ.

* * *

سورة القدر

سورة القدر مكية، وهي تتحدث عن فضل ليلة القدر التي أنزل الله فيها القرآن العظيم، مُعظمةً لشأنها وبركتها؛ فالعطاء والأجر فيها جزيلان، والملائكة تتنزل بالرحمة والسكينة والخير والسلام على المؤمنين من وقت صلاة المغرب إلى طلوع الفجر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

أنزلناه: ابتدأنا إنزال القرآن العظيم.

ليلة القدر: ليلة الشرف والعظمة.

تنزل: تتنزل في استمرار.

الروح: جبريل عليه السلام.

من كل أمر: من أجل كل أمر قدره الله.

سلام هي: تُسلِّم فيها الملائكة على المؤمنين، أو لا يُقدِّر الله فيها إلا الخير والسلامة.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: تشويق المخاطبين لمعرفة فضل ليلة القدر، حقيقة ليلة القدر.

١- تشويق المخاطبين لمعرفة فضل ليلة القدر:

الحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهاج، ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد، ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية

جميعًا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هي الليلة التي جاء ذكرها في سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].. والمعروف أنها ليلة من ليالي رمضان.. أي التي بدأ فيها نزول القرآن على قلب الرسول ﷺ ليبلغه إلى الناس.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾؟ هذا التعبير يحمل معاني التعظيم والتفخيم لشأنها، كما أن فيه تشويقًا إلى معرفة حقيقتها، فهذه الليلة بلغت من العظمة والمنزلة ما يفوق حدود الإدراك البشري.

٢- حقيقة ليلة القدر:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ بيان إجمالي لشأنها، فالعمل والطاعة والعبادة فيها أفضل من العمل والطاعة والعبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وهذه الليلة منحة من الله لأمة محمد خاصة، وأسعد الخلق وأكثرهم هناء من وُفِّق إلى الاجتهاد فيها، فرآه الله فيها صائمًا قائمًا، راكعًا وساجدًا، ذاكرًا متهجدًا، خاشعًا متضرعًا. ولقد كان النبي ﷺ يتحراها[1]، ويحث أصحابه على تحريها وإحيائها؛ لينالوا من فيض بركتها وثوابها، فقد جاء في الصحيحين: «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**»، وفي الصحيحين كذلك: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، كما علمهم النبي ﷺ أن يكثروا من الدعاء في هذه الليلة، وخصوصًا دعاء: «**اللهم إنك عفوٌّ تحب العفوَ؛ فاعفُ عني**» [رواه الترمذي].

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي تنزل الملائكة- عليهم السلام- على المؤمنين ومعهم (الروح)- قيل: جبريل، وقيل: بكل أمر من الخير والبركة- ليؤمِّنوا على دعاء المؤمنين، ويفيضون بالرحمة بإذن الله ﷻ. وقيل: ينزلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى التي تليها. ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ يهبُ الله فيها من أُكرموا بها سلامًا ورحمة. وقيل: تسلم الملائكة فيها على المؤمنين، وقيل: سالمة لا

(١) يتحراها: تحرَّى الأمر: توخَّاه وقصده وعمد إليه.

يستطيع الشيطان فيها إيذاء أحد، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ وذلك من غروب الشمس إلى أن يطلع الفجر.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- إدراك قيمة القرآن، وعظم أثره في رفعة كل شيء، وزيادة الحرص على التمسك به.

٢- الشوق إلى نيل فضل وبركة وخير ليلة القدر، والاجتهاد في الطاعة والعبادة والدعاء في العشر الأواخر من رمضان.

٣- اليقين بأن سر سعادتنا في الدنيا وعزتنا، ونجاتنا في الآخرة في طاعة الله، والتمسك بالعمل بأحكام القرآن العظيم.

٤- الخلاف يحرم الأمة من خير كان سينزل إليها من السماء، فقد خرج رسول الله ليخبر الأمة بموعد ليلة القدر، فوجد رجلين يتلاحيان فقال: «فأنسيتها»[رواه أحمد]. اجعلي هذه المسألة موضوع نقاش تارة مع أخواتك، وكلمة توجهيها للأخريات تارة أخرى.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة):

١- ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾:

أ- نزل جملة واحدة. ب- ابتدأنا إنزال القرآن العظيم.

٢- ليلة القدر:

أ- ليلة الشرف. ب- ليلة يرضى الله فيها عن كل الناس.

٢- تتحدث السورة عن:...

٣- ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾:

أ- فيها من الخير لكل الناس ما يعدل ألف شهر.

ب- العمل فيها والطاعة والعبادة أفضل من العمل والطاعة في ألف شهر.

ج- هذه الليلة منحة من الله لأمة محمد ﷺ خاصة.

د- لا شيء مما سبق.

٤- المقصود بالروح في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾:

أ- روح المؤمنين الصالحين. ب- جبريل عليه السلام.

والمقصود بكل أمر:

أ- كل أمر قضاه الله في تلك السنة. ب- بكل أمر من الخير والبركة.

٥- المراد بالسلام في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾:

أ- تسلم الملائكة فيها على المؤمنين. ب- سالمة لا يستطيع الشيطان فيها إيذاء أحد.

ج- يهب الله فيها من أكرموا بها سلامًا. د- جميع ما سبق.

٦- ترشد السورة إلى:

أ- قيمة القرآن عظيمة، وترفع مِن قيمة مَن يتمسك به.

ب- نتشوق إلى نيل فضل وبركة وخير ليلة القدر.

ج- تتحدد الآجال والأرزاق في ليلة القدر.

د- جميع ما سبق.

٧- اذكري سبب تسمية السورة بهذا الاسم.

٨- اشرحي معنى كلمة القدر.

٩- وضحي أهمية الطاعة، وخطورة المشاحنة.

١٠- تحدثي عن عظمة وقيمة القرآن الكريم.

* * *

سورة البينة

سورة البينة مدنية- على الراجح من أقوال العلماء- وهي تبدأ بالحديث عن حقيقة الدين، والدور المنتظر لبعثة النبي ﷺ في تحويل أهل الكتاب والمشركين من الضلال إلى الهدى، ثم بينت أن اختلاف أهل الكتاب في دينهم، أو في نبوة محمد ﷺ ليست بسبب جهل أو غموض، وإنما بسبب جريهم وراء أهوائهم، ثم تحدثت عن بساطة الدين ويسره، وإخلاص العبادة لله وحده، وختمت بالمقارنة بين جزاء الكفار والمؤمنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ الله يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۞ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البَيِّنَةُ ۞ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ ۞ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

أهل الكتاب: اليهود والنصارى. **المشركين**: عبدة الأصنام.

منفكين: مبتعدين عن الكفر. **البينة**: الحجة الواضحة.

صحفًا: القرآن العظيم. **مطهرة**: ليس فيها باطل ولا شك.

فيها كتب: فيها أحكام مكتوبة. **قيمة**: مستقيمة عادلة.

وما تفرق الذين أوتوا الكتاب: اختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في نبوة الرسول محمد ﷺ، وتفرقوا بين مؤمن وجاحد.

مخلصين له الدين: مخلصين العبادة لله ﷻ.

حنفاء: مستقيمين على ملة إبراهيم ﷵ، التي بُعث بها محمد ﷺ خاتم المرسلين.

خير البرية: خير الخلائق. **عدن**: إقامة.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: بعثة محمد ﷺ بالإسلام ليتحول الكفار عن كفرهم، البينة التي تفرق فيها أهل الكتاب من قبلُ، أصول رسالة أهل الكتاب وتقريرها في رسالة الإسلام، تكاليف الأمم وجزاؤها واحد.

١- بعثة محمد ﷺ بالإسلام ليتحول الكفار عن كفرهم:

لقد كانت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة، بعد أن عمَّ الفساد أرجاءها كلها، بحيث لا يرتجى صلاح إلا برسالة جديدة، ومنهج جديد، وحركة جديدة، وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعًا، سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبلُ ثم حرَّفوها، أو المشركين في الجزيرة العربية وفي خارجها.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ﴾ وما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه إلا بهذه الرسالة الجديدة، وإلا على يد رسول يكون هو ذاته بينة واضحة فارقة فاصلة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ الله يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.. مطهرة من الشرك والكفر، ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ وهذه الصحف المطهرة- وهي هذا القرآن- فيها كتب قيمة، أي موضوعات وحقائق قيمة.

ومن ثم جاءت هذه الرسالة، وجاء هذا الرسول، وجاءت هذه الصحف وما فيها من توحيد وإصلاح وأخلاق؛ لتُحدِث في الأرض كلها حدثًا لا تصلح الأرض إلا به.

٢- البينة التي تفرق فيها أهل الكتاب من قبلُ:

ولما قرر سبحانه هذه الحقيقة في مطلع السورة، عاد يقرر أن أهل الكتاب خاصةً لم يتفرقوا ويختلفوا في دينهم عن جهل، أو عن غموض في الدين أو تعقيد، وإنما تفرقوا

واختلفوا بعدما جاءهم العلم، وبعد أن جاءتهم البينة من دينهم على أيدي رسلهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البَيِّنَةُ﴾.

تفرقوا واختلفوا أولاً في العقيدة.. ثم تفرقوا واختلفوا طوائف متعادية متنافرة.. وكان الخلاف كله بين أصحاب الكتاب جميعًا ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البَيِّنَةُ﴾، فلم يكن ينقصهم العلم والبيان؛ إنما كان يجرفهم الهوى والانحراف.

٣- أصول رسالة أهل الكتاب وتقريرها في رسالة الإسلام:

على أن الدين في أصله واضح، والعقيدة في ذاتها بسيطة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ وهذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق، أي وما كُلِّفوا إلا بأن يعبدوا الله تعالى، مخلصين العبادة لوجهه الكريم دون سواه، مائلين عن جميع الملل إلى الإسلام، دين الملة المستقيمة، مؤدين الصلاة على وجهها التام الصحيح في مواقيتها، ومخرجين الزكاة لمستحقيها عند حلول أجلها، فإن فعلوا ذلك، وحققوا هذه القواعد أفلحوا.

﴿ذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ أي ذلك الدين الذي أمروا به هو دين الله المستقيم.

وبعد هذه الرسالة الخاتمة، والإبلاغ الواضح من الرسول ﷺ تحددت الفرصة الأخيرة، فإما إيمان فنجاة، وإما كفر فهلاك؛ ذلك أن الكفر حينئذٍ دلالة على الشر الذي لا حدَّ له:

٤- تكاليف الأمم وجزاؤها واحد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ﴾ حكم قاطع لا جدال فيه ولا ريب، فمهما يكن من صلاح بعض أعمالهم وآدابهم ونظمهم- مادامت تقوم على غير إيمان بهذه الرسالة الأخيرة، وبهذا الرسول الأخير- فلا تتشكك في هذا الحكم لأي مظهر من مظاهر الصلاح المقطوعة الاتصال بمنهج الله الثابت القويم.

وعلى النقيض، فإن الإيمان يصير دلالة الخير الممتد المتواصل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾ حكم كذلك قاطع لا جدال فيه ولا محال، ولكن شرطه كذلك واضح في واقع الحياة: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.. والصالحات هي كل ما أمر الله بفعله من عبادة وخلق وعمل وتعامل.. فمن كانوا كذلك؛ فهم خير البرية.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جنات للإقامة الدائمة في نعيمها الذي يمثله هنا الأمن من الفناء والعدم، كما يمثله جريان الأنهار من تحتها، وهو يلقي ظلال النداوة والحياة والجمال..

ثم يرتقي السياق في تصوير النعيم المقيم ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.. هذا الرضا من الله، وهو أعلى وأندى من كل نعيم، والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم هو الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق.. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ وذلك متوقف على صلة القلب بالله، ونوع هذه الصلة، والشعور بخشيته خشية تدفع إلى كل صلاح، وتنهى عن كل انحراف.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- إدراك أن اختلاف أهل الكتاب في رسالة محمد ﷺ لم يقع إلا بعد وضوح الحق.

٢- العلم بأن الديانات السماوية كلها متحدة في الدعوة إلى توحيد الله، وفي الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، وإن اختلفت في التشريعات والمناهج؛ لتناسب البيئة والزمان اللذين تنزل فيهما.

٣- الحرص على إقامة الصلاة، وإخراج زكاتنا، فإن الصلاة والزكاة من أشرف العبادات وأهمها.

٤- مجاهدة النفس على الإخلاص؛ لأنه أساس العقيدة والعبادة، فإذا كانت النية لغير وجه الله فلا ثواب على الأعمال. راجعي نفسك إلى أي مدى تحققين هذا في واقع حياتك.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١-تتحدث السورة عن:

أ- بعثة الرسول ﷺ كانت سببًا في اختلاف أهل الكتاب.

ب- مهما كان عمل أهل الكتاب فلن يقبل منهم ما داموا لم يؤمنوا بالرسول ﷺ.

ج- أهل الكتاب يتبعون أهواءهم فقط.

د- جميع ما سبق.

٢- ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، (قيِّمة) تعني:

أ- عظيمة الفائدة. ب- مستقيمة عادلة.

(فيها كتب) تعني:

أ- جمع كتاب، أي بها كتب كثيرة. ب- فيها أحكام مكتوبة.

٣- لم يكن سهلاً أن يتحول الناس قبل بعثة الرسول ﷺ عن الضلالة إلا:

أ-بعد أن ينزل الله عليهم عذابًا من السماء.

ب- بعد أن يرسل إليهم رسالة مستقيمة عادلة.

ج-على يد رسول هو ذاته بينة واضحة. د-بعد أن يتخلصوا من أميَّتهم وجهلهم.

٤- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، مخلصين له الدين:

أ-لا يشركون معه أحدًا.

ب-مائلين عن جميع الملل إلى الإسلام.

ج-مؤدين للصلاة على وجهها التام.

د-جميع ما سبق.

٥-وضوح الحق يؤدي إلى:

أ-ازدياد الذين آمنوا إيمانًا.

ب-ضلال أصحاب الأهواء والمصالح.

٦-ترشد السورة إلى:

أ- تختلف الرسالات السماوية في التشريعات لتناسب البيئة والزمان اللذين تنزل فيهما.

ب-إقامة الصلاة وإخراج الزكاة من أشرف العبادات وأهمها.

ج-ليس كل الكافرين شر الخلائق.

د- نؤجر على الأعمال الصالحة مهما كانت النية.

٧- حددي المحاور التي تدور حولها السورة.

٨- اذكري معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ الله يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۞ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البَيِّنَةُ﴾.

٩- عرفي مفهوم الإخلاص، واذكري أهميته.

١٠- تحدثي عن عظمة هذا الدين.

* * *

سورة الزلزلة

سورة الزلزلة مدنية، وهي تتحدث عن بعض أحوال وأهوال قيام الساعة، من اهتزاز ورجة شديدة للأرض، وقذف لما في جوفها من أموال وكنوز بما يثير الحيرة والعجب، وعندئذ تخبرهم بما خفي عنهم، وتشهد عليهم بما عملوا- بأمر ربها- ثم اختُتمت بقاعدة مفادها: أن لكل عمل جزاء مهما قلَّ أو صغر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

زلزلت الأرض: حُرِّكت تحريكًا شديدًا (عند النفخة الأولى).

أثقالها: كنوزها وموتاها (في النفخة الثانية).

تحدث أخبارها: تدل بحالها على ما عمل عليها.

أوحى لها: أمرها.

يصدر الناس: يخرجون من قبورهم إلى المحشر.

أشتاتًا: متفرقين على حسب أحوالهم.

مثقال ذرة: زِنَة أصغر نملة أو هباءة مما يُرى متطايرًا في أشعة الشمس.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: زلزال القيامة وتوابعه، الزلزال والأهوال مقدمات الميزان.

١- زلزال القيامة وتوابعه:

إنها هزة عنيفة للقلوب الغافلة، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها، فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والجزاء.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافًا، وتزلزل زلزالاً، وتنفض ما في جوفها نفضًا، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً، وكأنها تتخفف من هذه الأثقال التي حملتها طويلاً! وهو مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض، وتحسبه ثابتًا باقيًا، وهو الإيحاء الأول لمثل هذه المشاهد التي يصورها القرآن. ويزيد هذا الأمر وضوحًا بتصوير «الإنسان» حيال المشهد المعروض، ورسم انفعالاته وهو يشهده ويتساءل- وهو سؤال المشدوه المبهوت- ما لها؟ ما الذي يزلزلها هكذا، ويرجها رجًّا؟ ما لها؟ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم يقع هذا الزلزال، ويشْدَهُ أمامه الإنسان ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ يومئذ تحدث هذه الأرض أخبارها، وتصف حالها وما جرى عليها من خير وشر.. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أمرها أن تمور مورًا، وأن تزلزل زلزالها، وأن تخرج أثقالها، وأن تتحدث وتشهد على العباد، فأطاعت أمر ربها.

٢- الزلزال والأهوال مقدمات الميزان:

وبينما «الإنسان» مشدوه مأخوذ.. وهو يتساءل: ما لها، ما لها؟ إذ به يفاجأ ويواجه بمشهد الحشر والحساب والوزن والجزاء.. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ فيرى مشهد القيام من القبور! ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ فيرى- وكذلك نحن نرى- مشهدهم شيتًا منبعثًا من أرجاء الأرض.. وهو مشهد لا عهد للإنسان به من قبل.. مشهد الخلائق في أجيالها جميعًا تنبعث من هنا ومن هناك.. ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ وهي أشد وأدهى.. إنهم ذاهبون إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم ليواجهوها، ويواجهوا جزاءها. ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحيانًا أقسى من كل جزاء.. فكيف به وهو يواجَه بعمله على

رءوس الأشهاد، في حضرة الجليل العظيم الجبار المتكبر؟! ووراء رؤيتها الحساب الدقيق الذي لا يدع ذرة من خير أو من شر لا يزنها، ولا يجازي عليها.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ذرة.. كان المفسرون القدامى يقولون: إنها النملة، وكانوا يقولون: إنها الهباءة التي ترى في ضوء الشمس. والآن هي أصغر وحدة في بناء الأجسام والمواد المتناهية في الصغر، فهذه أو ما يشبهها من ثقل، من خير أو شر، تحضر، ويراها صاحبها، ويجد جزاءها.. عندئذٍ لا يحقر «الإنسان» شيئًا من عمله، خيرًا كان أو شرًّا، ولا يقول: هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن. إنما يرتعش وجدانه أمام كل عمل من أعماله ارتعاشة ذلك الميزان الدقيق، الذي ترجح به ذرة خير فينجو، أو ذرة شر فيهلك.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- أهوال القيامة عظيمة، والحساب بميزان دقيق. صِفِي من مخيلتك تصورك الشخصي ليوم القيامة.

٢- الحذر والنجاة يستوجبان تجديد التوبة والعهد مع الله على فعل الخيرات، والمبادرة إليها. راجعي نفسك إلى أي مدى تحققين هذا في واقع حياتك..

٣- على المؤمنة ألا تحتقر شيئًا من عمل الخير- ولو أن تلقى أخواتها بوجه طلق- ولا تحقرن شيئًا من الذنوب مهما كان قليلاً. اجعلي هذا المبدأ عنوانًا لخاطرة مسجدية، أو كلمة مدرسية وجامعية، أو رسالة قافلة دعوية، أو غيرها من أساليب دعوة الناس للقيم الحميدة.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- أحوال وأهوال قيام الساعة. ب- جزاء الأعمال يتوقف على النية.

ج- لكل شيء جزاء مهما قلَّ أو صغر.

د- تشهد الأرض على الناس بما عملوا، وذلك بأمر الله.

٢- ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، أثقالها تعني:

أ- معادنها. ب- كنوزها المختبئة.

ج- موتاها. د- لا شيء مما سبق.

٣- ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، (يصدر) تعني:

أ- يعلو ويتقدم. ب- يخرج من قبره.

أشتاتًا:

أ- جماعات. ب- متفرقين على حسب أحوالهم.

٤- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾:

أ-كلمة ذرة توحي بأن الإنسان عليه ألا يحقر من الأمور شيئًا.

ب-توزن الأعمال بميزان دقيق جدًا.

ج-الخير مهما قلّ لن يضيع. د- جميع ما سبق.

٥- ترشدنا الآيات إلى:

أ-الساعة تأتي فجأة. ب-أهوال القيامة عظيمة.

ج-حساب الأعمال الدقيق يستوجب منا الحذر والمبادرة إلى الخير.

د-لا نحتقر من المعروف شيئًا، ولا من الشر شيئًا مهما كان قليلاً.

٦- اذكري أهوال يوم القيامة.

٧- عددي نماذج للخير ونماذج للشر.

٨- «لكل عمل جزاء مهما قلَّ أو صغر». دللي على هذا مما فهمتِ من الآيات؟

* * *

سورة العاديات

سورة العاديات مكية، وهي تتحدث عن بعض الطبائع السيئة في الإنسان، كجحوده لنعمة ربه، وشدة حرصه على جمع المال وكنزه، وانشغاله بحبه المال عن طاعة الله وشكره، ثم تختتم بتذكيره بمآله الأخروي، حيث لا ينتفع الإنسان إلا بما في قلبه من إيمان وصلاح وخير، مؤكدة أن علم ذلك لا يختص به إلا الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

والعاديات: قسم بالخيل تسرع في المعركة.

ضبحًا: صوت أنفاسها إذا جرت.

فالموريات قدحًا:الخيل المخرجات النار باحتكاك حوافرها بالأحجار.

فالمغيرات صبحًا: المفاجِئَات للعدو وقت الصباح.

فأثرن: هيَّجن. **نقعًا**: غبارًا.

فوسطن به جمعًا: فتوسطن به جموع الأعداء، وصرن في وسطهم.

لربه لكنود: لكفور بنعمة ربه. **بعثر**: أخرج ونُثِر.

وحصل ما في الصدور: جُمِع وأُظهر ما كان خفيًّا في الصدور من الأسرار.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: توضيح ما أقسم الله به أول السورة، الاستنكار الشديد للجحود، التفكر في الآخرة طريق العلاج.

١- توضيح ما أقسم الله به أول السورة:

يجرى سياق هذه السورة في لقطات سريعة عنيفة مثيرة تلمحها في مشاهد ﴿وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ الخيل التي تعدو مسرعة بالمجاهدين، ويرتفع صهيلها، ﴿فَالمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ القادحة للشرر بحوافرها، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ المهاجمة للعدو وقت الصباح، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ فأثارت الغبار في وجه العدو، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ الداخلة في وسط العدو فجأة تأخذه على غرة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار!.

وهذه الأقسام بخيول المعارك التي يركبها المجاهدون، وحركتها السريعة، وما تحدثه في أرض المعركة من تغيير توحي لنا ببعض الدروس المستفادة؛ منها: أهمية الإعداد لوسائل القوة السريعة لأي معركة، وقيمة الرباط والجهاد في سبيل الله في الحفاظ على الأمة المسلمة، وأن علاج بعض الآفات والطباع النفسية السيئة يحتاج إلى مجاهدة لا تقل في عنفها عن مواجهة الأعداء، ولا يكفكف من جموح هذه النفوس، ويلجم نزواتها مثل تذكر الموت المرتبط بحديث الجهاد، وما يعقبه من مجازاة على حصاد سنوات العمر؛ مما يجعل هذه الأقسام تبدو كما لو كانت الإطار الذي تُعرض فيه بعض الطبائع التي تغلب على نفس الإنسان، حين يخوى قلبه من دوافع الإيمان، طبائع ينبه القرآن الإنسان إليها، ليجند إرادته كلها لكفاحها؛ إذ كان الله يعلم عمق وشائجها في نفسه، وثقل وقعها في كيانه.

٢- الاستنكار الشديد للجحود:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ إن الإنسان -في الأعمِّ الأغلب- ليجحد نعمة ربه، وينكر جزيل فضله.. ويتمثل كنوده وجحوده في مظاهر شتى تبدو منه أفعالاً وأقوالاً، فتقوم عليه مقام الشاهد الذي يقرر هذه الحقيقة، وكأنه يشهد على نفسه بها، أو لعله يشهد على نفسه يوم القيامة بالكنود والجحود، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ فهو شديد الحب لنفسه، ومن ثمّ يحب الخير، ولكنه يتمثله دائما مالاً وسلطة ومتاعًا بأعراض الحياة الدنيا.. هذه فطرته، وهذا طبعه ما لم يخالط

الإيمان قلبه؛ فيغير من تصوراته وقيمه وموازينه واهتماماته، ويحيل كنوده وجحوده اعترافًا بفضل الله وشكرًا، كما يبدل أثرته وشحّه إيثارًا ورحمة.

٣- التفكر في الآخرة طريق العلاج:

ومن ثم تجيء اللفتة الأخيرة في السورة لعلاج الكنود والجحود والأثرة والشح، وتوقظ من غفلة البطر:

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ وهو مشهد عنيف مثير.. بعثرة لما في القبور.. وتحصيل لأسرار الصدور التي ضنت بها وخبّأتها بعيدًا عن العيون.. أفلا يعلم الإنسان إذا حدث هذا؟- ولا يُذكرُ ماذا يعلم، فقد حُذِف المفعول؛ لأن علمه بهذا وحده يكفي لهزِّ المشاعر، ثم تُترَك النفسُ تبحث عن الجواب، وتتصور كل ما يمكن أن يصاحب هذه الحركات العنيفة من آثار وعواقب- ويختم هذه الحركات الثائرة باستقرار ينتهي إليه كل شيء، وكل أمر، وكل مصير: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.. فالمرجع إلى ربهم.. وإنه لخبير بهم وبأحوالهم وأسرارهم.. والله خبير بهم في كل وقت، وفي كل حال.. ولكن لهذه الخبرة آثارًا هي التي تثير انتباههم في هذا المقام.. إنها خبرة وراءها عاقبة.. خبرة وراءها حساب وجزاء.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- الجهاد في سبيل الله له مكانة عظيمة في الإسلام. ناقشي مع أخواتك هذه العبارة، وكيف يمكن لكُنَّ المشاركة في الجهاد؟

٢- ضرورة ابتكار وسائل جديدة لنشر ونصرة الإسلام (واجب عملي).

٣- المجاهد الحقيقي ينتصر على نفسه أولاً بالتحلي بصفات المؤمنين، وأخلاقهم الحسنة، والتخلي عمّا سواها. راجعي نفسك إلى أي مدى تحققين هذا في واقع حياتك.

٤- تذكر الموت وما وراءه من حساب، وحب الخير للناس، والإنفاق في سبيل الله كلها أمور تساعد على مقاومة الطمع والبخل. عبري بكلماتك الإيمانية عن هذه المعاني.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- الغزوات التي حارب فيها المسلمون. ب- الإنسان دائمًا يجحد نعمة الله.

ج- المال الوفير ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة.

د- الإيمان وصلاح القلوب لا يعلمهما إلا الله.

٢- ﴿وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، العاديات:

أ- الأعداء. ب- الخيل تسرع في المعركة.

ضبحًا:

أ- تصيح ويعلو صهيلها. ب- صوت أنفاس الخيل إذا جرت.

٣- ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾، الموريات قدحًا:

أ- المختبئات.

ب- المخرجات النار عند احتكاك حوافرها بالأحجار.

المغيرات:

أ- المفاجئات للعدو. ب- المنتصرات.

٤- لكنود:

أ- لحقود. ب- لكفور بنعمة ربه.

٥- تعالج السورة:

أ- أهمية مواجهة الأعداء. ب- الإيمان بأن الله يعلم كل مكنونات النفس.

ج- على الإنسان أن يبقى على جهاد دائم لنفسه.

د- علاج بعض الطباع السيئة يحتاج على مجاهدة.

٦- الإنسان شديد الحب لنفسه، فعليه أن:

أ- يحب لها المال الكثير والسلطة ومتاع الدنيا.

ب- يعترف بالفضل لله؛ فيشكره على نعمه الوفيرة.

ج- لا ينسى أن الله مطلع عليه في كل حال. د- جميع ما سبق.

٧- ترشد السورة إلى:

أ- أهمية الجهاد في سبيل الله. ب- تذكر الموت وما وراءه من حساب.

ج- الحرص والطمع والبخل صفات لا يحبها الله، وهي دليل الجحود.

د- نجاهد أنفسنا في التحلي بصفات المؤمنين.

٨- حددي المحور الذي تدور حوله السورة.

٩- وضحي معنى الآيات البينات: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

١٠- اذكري النعم التي منَّ بها الله ﷻ عليكِ.

١١- وضحي العبر والعظات التي تشير إليها السورة.

* * *

سورة القارعة

سورة القارعة مكية، وهي تتحدث عن بعض مشاهد يوم القيامة، مُنبِّهةً على عظم خطرها، وضخامة أثرها، ثم بينت انقسام الناس في هذا اليوم الرهيب إلى فريقين، فريق رجحت كفة حسناته فهو من أهل النعيم، وفريق مالت به كفة سيئاته إلى الجحيم بنارها المتوقدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿القَارِعَةُ ۞ مَا القَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ المَنفُوشِ ۞ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

القارعة: القيامة. **الفراش**: طور من أطوار الحشرات.

المبثوث: المتفرق المنتشر. **العهن**: الصوف.

المنفوش: المتمزق بالأصابع ونحوها.

ثقلت موازينه: زادت حسناته على سيئاته.

في عيشة راضية: في الجنة.

خفت موازينه: زادت سيئاته على حسناته.

فأمه هاوية: فمصيره جهنم يسقط فيها على رأسه.

حامية: ساخنة.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: هول تتعدد ملامحه، الميزان يقرر المصير.

١- هول تتعدد ملامحه:

القارعة: القرع: الضرب بشدة، أو الحادثة الهائلة. والمراد هاهنا القيامة.. والقارعة توحي بالقرع واللطم، فهي تقرع القلوب بهولها، أو تقرع أعداء الله بالعذاب.. والمشهد المعروض هنا مشهد هول تتناول آثاره الناس والجبال.

﴿الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ لقد بدأ بإلقاء مفردة قوية الوقع: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ بلا خبر ولا صفة لتلقي بظلالها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب!

ثم أعقبها بسؤال التهويل: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾؟.. فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهشة والتساؤل! ثم أجاب بسؤال التجهيل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وأي شيء أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾؟.. فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك، أو أن يلمّ بها التصور!

ثم تأتي الإجابة بما يكون فيها، لا بماهيتها: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ يبدو الناس في هذا اليوم صغارًا ضئالاً- على كثرتهم- من شدة الهول والرعب والفزع، في حيرة كالفراش الذي يتهافت على الهلاك، وتبدو الجبال التي كانت راسخة ثابتة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح.

٢- الميزان يقرر المصير:

ثم تجيء الخاتمة للناس جميعًا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ رجحت حسناته في اعتبار الله وتقويمه ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ يرضاها وتُرضيه. ويدعها مجملة بلا تفصيل توقع في الحس ظلال الرضا، وهو أروح النعيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ رجحت سيئاته في اعتبار الله وتقويمه ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فمأواه جهنم يهوي فيها.. والأم هي مرجع الطفل وملاذه، فمرجع القوم وملاذهم يومئذ هو الهاوية.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ سؤال التجهيل والتهويل المعهود في القرآن، لإخراج الأمر عن حدود التصور وحيز الإدراك!

ثم يجيء الجواب: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.. هذه هي أمُّ الذي خفت موازينه! أمه التي يفيء

إليها ويأوي! والأم عندها الأمن والراحة، فماذا هو واجد عند أمه هذه: الهاوية.. النار.. الحامية.. إنها مفاجأة تعبيرية تمثل الحقيقة القاسية.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- المبادرة والاستعداد ليوم القيامة بحسن الإيمان والأعمال الصالحة في الدنيا؛ حتى نحصل على النعيم. راجعي نفسك إلى أي مدى تحققين هذا في واقع حياتك.

٢- الثقة والطمأنينة إلى عدل الله- تبارك وتعالى- الذي لا يظلم أحدًا، والاجتهاد قدر طاقتنا في تثقيل موازيننا الإيمانية. راجعي نفسك إلى أي مدى تحققين هذا في واقع حياتك.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ-أحوال أهل النار. ب-انقسام الناس إلى فريقين يوم القيامة.

ج-كيف توزن أعمال الناس. د-وصف أحوال أهل الجنة بالتفصيل.

٢- القارعة:

أ- الحادثة. ب- الضاربة بشدة. ج- المؤنبة. د- المراد بها يوم القيامة.

٣- ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، المبثوث:

أ- المتمزق الضائع. ب- المتفرق المنتشر.

الفراش:

أ- كل حشرة طائرة. ب- طير كالبعوض.

٤- وصفت الآيات هولاً متعدد الملامح ليوم القيامة مثل:

أ- ضرب الناس بشدة.

ب- تبدد الجبال كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح.

ج- يُلقَى الناس برءوسهم في النار. د- جميع ما سبق.

٥- ترشد السورة إلى:

أ- سؤال الله الجنة، والاستعاذة به من النار.

ب- المسارعة إلى الاستعداد ليوم القيامة بأن نزيد من أعمالنا الصالحة.

ج- هول يوم القيامة لا يتخيله أحد.

د- نثق ونطمئن إلى عدل الله.

٦- اذكري مشاهد يوم القيامة وخطرها.

٧- وضحي معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

* * *

سورة التكاثر

سورة التكاثر مكية، تبدأ بإقرار حقيقة هي انشغال الناس الدائم بالمباهاة والمفاخرة بالأموال والأولاد، غافلين بهذه الأشياء عن نهايتهم المحتومة التي تنتظرهم، ثم تؤكد الآيات أنهم سيعلمون عاقبة هذا، وأنهم لو علموا هول البعث والجزاء، وتيقنوا وقوعه؛ لتجلت لهم حقيقة جهنم، ثم ختمت مؤكدة على أمرين؛ أولهما: أن الجميع سيرى النار بعينيه يوم القيامة، وثانيهما: أن الكل سيُسأل ويُحاسب عن كل نعمة؛ ما عمل بها؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

ألهاكم: شغلكم عن طاعة ربكم.

التكاثر: التفاخر بكثرة متاع الدنيا ونعيمها.

زرتم المقابر: مُتُّم ودُفِنْتُم في القبور.

كلا سوف تعلمون: تهديد للكفار وأهل المعاصي.

لترون الجحيم: لترون جهنم يوم القيامة.

عين اليقين: مشاهدة حقيقية أمامكم.

النعيم: ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: تنبيه المؤمنات للتريث والتفكر في خطواتهن، التحذير من الخطر القادم، تفصيل بعد إجمال.

١- تنبيه المؤمنات للتريث والتفكر في خطواتهن:

هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنها هي صوت نذير يصبح بقوم غافلين أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة، وحسهم مسحور: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أيها اللاهون المتكاثرون في الدنيا بالأموال والأولاد، وأعراض الحياة، وأنتم مفارقون لها، أيها التاركون ما تتكاثرون فيه، وتتفاخرون به إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر.. استيقظوا لما أنتم مقبلون عليه.

٢- التحذير من الخطر القادم:

ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم هناك بعد زيارة المقابر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينزل بكم من العذاب في القبر، ويكرر هذا الإيقاع بألفاظه وجرسه الرهيب: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في الآخرة إذا حل بكم العذاب، ثم يزيد التوكيد رهبة وتلويحًا بما وراءه من أمر ثقيل لا يتبينون الآن حقيقته الهائلة: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لو تعلمون الجزاء، وتوقنون بما تصيرون إليه؛ لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر.

٣- تفصيل بعد إجمال:

ثم يكشف عن هذه الحقيقة المطوية الرهيبة: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ لتجلَّت لكم النار كأنها تقاسون مِن حرِّها، ثم يؤكد هذه الحقيقة، ويعمق وقعها الرهيب في القلوب ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ لتشاهدنها مشاهدة حقيقية لا تصوُّرًا وتخيُّلاً.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ تُسألون عمَّا في أيديكم مِن نِعَم، من أين نلتموها؟ وفيم أنفقتموها؟ أمن طاعة وفي طاعة؟ أم من معصية وفي معصية؟ وتحاسبون عمَّا تتكاثرون به وتتفاخرون.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- الحرص على عدم الانشغال بمتاع الدنيا عن طلب الآخرة، فلا نكون كضعاف الإيمان والكافرين الذين يتفاخرون بما جمعوا من أموال، وما حصّلوا من متاع ناسين أنهم صائرون إلى القبور جثثًا هامدة، وعندئذ لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم.

٢- الحرص على استثمار النعم في مرضاة الله، وفيما أحله؛ لأننا سُنسأل عنها، ونحاسب عليها يوم القيامة.

رابعًا: أسئلة التقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ-حقيقة انشغال الناس بالدنيا. ب-النهاية المحتومة تنتظر كل حي.

ج-سيرى الكافرون فقط النار. د-سيسأل العصاة عن كل نعمة.

٢- ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، التكاثر:

أ- كثرة الأولاد. ب- كثرة الأموال.

ج- كثرة أعداد الناس. د- لا شيء مما سبق.

٣- ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، زرتم:

أ- ذهبتم لزيارة الأموات. ب- تذكرتم الموت.

ج- متم ودفنتم بها. د- جميع ما سبق.

٤- ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ تقرر هذه الآية:

أ- سيشاهد كل الناس النار.

ب- ستتجلى النار للجميع حتى كأنهم يقاسون حرَّها.

ج- لن يرى النار إلا مَن سيدخلها. د- لا شيء مما سبق.

٥- ترشد السورة إلى:

أ- الانشغال بالدنيا ومتاعها يُنْسِي الناس القبور وما فيها.

ب- كل نعمة أنعم الله بها علينا سنُسأل عنها يوم القيامة.

ج- التفاخر بالأموال والأولاد من مظاهر شكر النعمة.

د- علينا أن نزهد في الدنيا تمامًا حتى نسعد في الآخرة.

٦- حددي محاور السورة.

٧- وضحي المقصود بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

٨- عددي النعم التي تغمرنا، وكيف نشكر الله ﷻ عليها؟

٩- عددي أمثلة لكيفية الاستعداد للموت.

* * *

سورة العصر

سورة العصر مكية، وتتحدث عن الشقاء والخسران اللذين يلزمان الإنسان حين يبتعد عن منهج الله، وأنه على مَن يريدون النجاة والفوز والفلاح أن يسيروا في طريق الإيمان، ويستقيموا على فعل الطاعات والخيرات، مستعينين على ذلك بالتواصي بينهم بالثبات على الهدى، والصبر على تكاليف الإيمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

والعصر: قسم بالدهر والزمان. خسر: نقصان وضياع.

وتواصوا: وصَّى بعضهم بعضًا.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: وقوع النوع الإنساني في الخسران، طريق الخلاص من هذا الخسران، الالتقاء على هذه السورة والافتراق عليها.

١- وقوع النوع الإنساني في الخسران:

في هذه السورة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام، وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة، وتصف الأمة الإسلامية، من حيث حقيقتها ووظيفتها. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله.

﴿وَالعَصْرِ﴾ يقسم الله سبحانه وتعالى بالدهر، وما فيه من حكم وعظات وتبدل

أحوال، وقيل: يقسم بحق وقت صلاة العصر، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ إن الإنسان المُعرض عن منهج الله وطاعة خالقه لفي خسران ونقصان، ﴿إِلا الَّذِينَ﴾ استثناء من الخسران والهلاك يوحي لنا بأنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار ليس هنالك إلا منهج واحد رابح، وطريق واحد ناجٍ، هذا المنهج هو ما ترسم السورة حدوده، وتصف معالمه، وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار.

٢- طريق الخلاص من هذا الخسران:

إنه الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.. فما الإيمان؟

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الإيمان هو أول أسباب النجاة والربح، فالإيمان هو أصل الحياة الكبير الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من معروف وخير وبر؛ فالعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، والذي يبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي وصَّى بعضهم بعضًا بالثبات على الهدى، والحذر من الزيغ والهوى، والصبر على الطاعة، والصبر على قضاء الله، والصبر عن المعاصي والشهوات. ونستطيع أن نقتبس من أنوار هذه الكلمات دروسًا نافعة:

أما التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فتبرز من خلالهما صورة الأمة المسلمة، الأمة الخيرة الواعية القيِّمة في الأرض على الحق والعدل والخير، وهكذا يريد الإسلام أمة الإسلام.

والتواصي بالحق ضرورة؛ فالنهوض بالحق عسير، والمعوقات عن الحق كثيرة: هوى النفس، ومنطق المصلحة، وطغيان الطغاة.. والتواصي تذكير وتشجيع، وإشعار بالقربى في الهدف والغاية، والأخوة في العبء والأمانة، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية؛ إذ تتفاعل معًا فتتضاعف.. وهذا الدين -وهو الحق- لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة.

والتواصي بالصبر كذلك ضرورة؛ فالقيام على الإيمان، والعمل الصالح، وحراسة الحق والعدل مِن أعسر ما يواجه الفرد والجماعة، ولابد من الصبر. نعم، لابد من الصبر

على جهاد النفس، وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على تبجح الباطل، والتواصي بالصبر يضاعف المقدرة؛ بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، وتساند الجميع، ويُزوِّدُهم بالحب والعزم والإصرار.

وهناك في الآخرة الربح الحق، والخُسْر الحق: ربح الجنة والرضوان، أو خسر الجنة والرضوان.

٣- الالتقاء على هذه السورة والافتراق عليها:

لقد حددت السورة معالم طريق الربح في بساطة ووضوح يغري كل مشتاق إلى الجنة بالمسير، ومن ثمّ كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة «العصر»، ثم يسلم أحدهما على الآخر، وكأنهما يتعاهدان على هذا الدستور الإلهي، يتعاهدان على الإيمان والعمل الصالح، ويتعاهدان على التواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١ - إدراك أن الإيمان يقتضي ضرورة التمسك بالحق والدفاع عنه.

٢- معرفة أن الإيمان والعمل على نشر الخير قد يعرض صاحبه للإيذاء، ومن ثَمَّ لابد من الصبر.

٣- ضرورة تواصي الجماعة المسلمة بالحق والصبر.

٤ - ناقشي أخواتك وعلمي الأخريات أهمية الاجتماع مع الصحبة الصالحة على الإيمان والعمل الصالح؛ للارتقاء بالنفس، ونجاتها من الخسران.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- الفوز والفلاح لمن يسير في طريق الإيمان، ويفعل الطاعات.

ب- البعد عن منهج الله فيه الخسارة المؤكدة للإنسان.

ج- أهمية اغتنامه الوقت قبل فوات الأوان. د- جميع ما سبق

٢- ﴿وَالعَصْرِ﴾:

أ- قسم بالدهر والزمان. ب- قسم بحق وقت العصر.

ج- قسم بالعصر الذي نزلت فيه الرسالة. د- جميع ما سبق.

٣- ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، خسر:

أ- هزيمة. ب- نقصان وخسارة.

ج- هذا الخسران يصيب المعرض عن الإيمان والعمل به فقط.

د- المسلم مهما كان عمله لا تصيبه هذه الخسارة.

٤- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، تواصوا:

أ- وصَّى بعضهم بعضًا. ب- شجَّعوا وذكَّروا بعضَهم.

٥- حددت السورة طريق الربح ببساطة، فما حدوده؟

أ- أن نكون مسلمين.

ب- أن نعمل الصالحات ولكن لا نعرض أنفسنا للإيذاء.

ج- أن نكون مؤمنين نعمل الصالحات، ويصبّر بعضنا البعض.

د- أن نتشدد على أنفسنا وعلى من حولنا حتى يستقيم الجميع على أمر الله.

٦- ترشدنا السورة إلى أن:

أ- نتمسك بالحق وهذا يكفينا. ب- نهتم بأوقاتنا فلا نضيعها.

ج- نوصي أنفسنا وغيرنا بالثبات والصبر على مرارة الحق.

د- حتى نكون من الفائزين علينا أن نتنافس على الخير.

٧- حددي محور السورة.

٨- اذكري أهمية هذه السورة.

٩- (التواصي بالحق والتواصي بالصبر تبرز من خلالهما صورة الأمة المسلمة كما يريدها الإسلام). وضحي هذه العبارة من خلال ما فهمتِ من السورة، مع ذكر أمثلة.

سورة الهمزة

سورة الهمزة مكية، وتبدأ حديثها بالوعيد الشديد لمن يؤذون الناس، ويجمعون الأموال ويكنزونها ظنًّا منهم أنها تبقيهم خالدين لا يموتون، ثم ترد عليهم ظنهم المخطئ بأن مصير أمثالهم هو الإلقاء في نارٍ شديدة التوقد بانتظارهم لإحراقهم، ولسوف تُغلق أبوابها عليهم بأعمدة طويلة من اللهب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

ويل: عذاب أو هلاك. همزة لمزة: غيَّاب عيَّاب للناس.

عدده: فاخَرَ بعدده وكثرته، أو أعدَّه للنوائب.

أخلده: يبقيه في الدنيا.

لينبذن: ليلقين. في الحطمة: في جهنم.

تطلع على الأفئدة: تصل حرارتها إلى أوساط القلوب.

مؤصدة: مغلقة.

في عمد مُمَدَّدة: بأعمدة قد سدت بها الأبواب.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: حقيقة الهمزة اللمزة، وعاقبته.

١- حقيقة الهمزة اللمزة:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ توعد من الله بالهلاك وسوء المصير لكل من يؤذي الناس باغتيابهم، ﴿لُّمَزَةٍ﴾ يعيبهم بلسانه، ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ الذي يكنز المال ولا يؤدي حق الله فيه، ويفاخر بعدده وكثرته، ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ظنًّا منه أن أمواله الكثيرة ستبقيه حيًّا خالدًا لا يموت.

ولنا مع هذه الصورة البغيضة وقفة تدلنا على أسباب معاداة الإسلام لها، إنها صورة الدنيء الذي تجرد من المشاعر والأخلاق، فراح يؤذي الناس بما يستطيع، وكيفما كان، غير مبالٍ بآداب أو عواقب، ثم لا يكتفي بذلك، فهو إلى ذلك يجمع الأموال والثروات الطائلة متوهِّمًا أنها قادرة على تخليده، وتحقيق كل ما يصبو إليه من دفع للموت، واستمرار للذات الحياة، واستعلاء واستكبار على الآخرين.

وهي صورة لئيمة حقيرة من صور النفس البشرية حين تخلو من المروءة، وتعرى من الإيمان. والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة من صور النفوس بحكم ترفعه الأخلاقي، وقد نهى عن السخرية واللمز والعيب في مواضع شتى، إلا أن ذكرها هنا بهذا التشنيع والتقبيح، مع الوعيد والتهديد، يوحي بأنه كان يواجه حالة واقعية من بعض المشركين تجاه رسول الله ﷺ، وتجاه المؤمنين.

٢- عاقبة الهمزة اللمزة:

﴿كَلا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ليُلقينَّ ويرمينَّ في نار الحطمة التي تحطم كل ما يُلقى إليها، فتحطم كيانه وكبرياءه؛ فهي ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾، وإضافتها لله وتخصيصها هكذا يوحي بأنها نارٌ فذةٌ غير معهودة، ويخلع عليها رهبة مفزعة، وهي ﴿تَطَّلِعُ﴾ على فؤاده الذي ينبعث منه الهمز واللمز، وتكمن فيه السخرية والكبرياء والغرور.. وتكملة لصورة المحطم المنبوذ المهمل، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ هذه النار مُغلَقة عليه، لا ينقذه منها أحد، ولا يسأل عنه فيها أحد، ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ وهو موثق فيها إلى عمود كما توثق البهائم بلا احترام!.

ويمكن أن نستفيد من عناية الله ﷻ بالرد على هذه الصورة معنيين كبيرين:

الأول: تقبيح الهبوط الأخلاقي، وتبشيع هذه الصورة الهابطة في النفوس.

الثاني: حفظ نفوس المؤمنين من أن تتسرب إليها مهانة الإهانة، وإشعارهم بأن الله يرى ما يقع لهم، ويكرهه، ويعاقب عليه.. وفي هذا كفاية لرفع أرواحهم واستعلائها على الكيد اللئيم.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- ضرورة الابتعاد عن ذمِّ الناس، أو الاستهزاء بهم؛ حفاظًا على روح المودة والحب في المجتمع الإسلامي.

٢- إدراك أن جمع المال عن طريق الحرام، أو البخل به، والتفاخر بكثرته يسبب الشقاء لصاحبه في الدنيا والآخرة.

٣- أعدي رسالة دعوية تلقينها في تجمع من المسلمات يكون موضوعها هذه السورة، وما فيها من دروس وعبر، فعلى الرغم من قصرها وسهولتها إلا أن الكثير من الناس لا يعرفون ما تحمله من معانٍ.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- جمع المال الحرام فقط، وسوء عاقبته.

ب- عقوبة كنز الأموال وعدم إخراج زكاتها.

ج- المال أو الجاه أو السلطان لا ينفع أحد. د- النار سوف تحرق هذه الأموال.

٢- ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، همزة:

أ- يسخر من الناس. ب- يغتاب الناس.

لمزة:

أ-عيّاب للناس. ب-يمشي بين الناس بالنميمة.

٣- بينت الآيات أسباب معاداة الإسلام لبعض الناس:

أ- لأنه دنيء تجرد من المشاعر والأخلاق. ب- يؤذي الناس بلسانه.

ج- يجمع الأموال ويكنزها ويحرم منها الفقير.

د- عقيدته غير سليمة؛ فهو يظن أنه سيخلد في الدنيا بهذه الأموال.

٤- ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾، الحطمة:

أ- المهدمة. ب- جهنم.

٥- من صفات اللئام:

أ- إيذاء الناس واغتيابهم. ب- يتحدث عن عيوب الناس.

ج- كنز المال دون تأدية حق الله فيه. د- جميع ما سبق.

٦- عاقبة اللئيم:

أ- الإهانة والذل في الدنيا. ب- يُلقى في نار فذة غير معهودة مفزعة.

ج- لا ينقذه من النار أحد. د- لا شيء مما سبق.

٧- ترشدنا السورة إلى:

أ- تجنب الأشخاص الذين تذمهم السورة.

ب- نبتعد عن السخرية والاستهزاء والغيبة.

ج- نبتعد عن البخل بالمال.

د- التفاخر بالمال يورث الكراهية بين الناس.

٨- حددي المحور الذي تدور حوله السورة.

٩- ما المقصود بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾؟

* * *

سورة الفيل

سورة الفيل مكية، وهي تتناول ذكر حادثة مشهورة وقعت في مكة قبل مولد النبي ﷺ، حيث هاجمها جيش عظيم تتقدمه فيلة ضخمة لهدم الكعبة، لكن الله ﷻ أبطل كيدهم، فأرسل عليهم طيرًا تلقي عليهم حجارة من طين مُحرق، فأهلكتهم، وجعلتهم كورق عصَفتْ به الريح، فسقط من شجره.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

من سجيل: من طين متحجر محرق. تضليل: تضييع وإبطال.

كعصف مأكول: كورق الشجر الذي عصفت به الريح فسقط.

أبابيل: جماعات متتابعة.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: نبذة عن الحادث الذي تشير إليه السورة، لفت السورة الأنظار للاعتبار من الحادث، الوصف الحقيقي للعاقبة بعد رؤيتها في الواقع، من دلالات الحادث والعبر المستفادة من التذكير به.

١- نبذة عن الحادث الذي تشير إليه السورة:

تشير هذه السورة إلى حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى نوره الأخير، ومَحضن العقيدة الجديدة، والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس لطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض.

وجملة ما تشير إليه الروايات المتعددة عن هذا الحدث، أن الحاكم الحبشي - وتسميه الروايات: «أبرهة» - كان قد بنى كنيسة في اليمن، على نية أن يصرف بها العرب عن البيت الحرام في مكة، ولكن العرب لم ينصرفوا عن بيتهم المقدس..عندئذ صحّ عزم أبرهة على هدم الكعبة؛ ليصرف الناس عنها، وقاد جيشًا جرارًا تصاحبه الفيلة، وفي مقدمته فيل عظيم ذو شهرة خاصة عندهم، فبَرَكَ الفيل دون مكة لا يدخلها، وجهدوا في حمْلِه على اقتحامها فلم يفلحوا، ثم كان ما أراده الله سمن إهلاك الجيش وقائده، فأرسل عليهم جماعات من الطير تقذفهم بحجارة من طين، فتركتهم كورق الشجر الجاف الممزق كما يحكي القرآن الكريم.

٢- لفت السورة الأنظار للاعتبار من الحادث:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أي ألم تعلم وتنظر ببصيرتك كيف صنع الله بمن جاءوا من الحبشة لهدم الكعبة؟! وهو سؤال للتعجب من الحادث، والتنبيه إلى دلالته العظيمة، فالحادث كان معروفًا للعرب، ومشهورًا عندهم، حتى لقد جعلوه مبدأ تاريخ. والمشهور أن مولد رسول الله ﷺ كان في عام الفيل ذاته. ثم أكمل القصة بعد هذا المطلع في صورة استفهام تقريري: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾؟ أي ألم يجعل احتيالهم في إبطال وتضييع، ويضل مكرهم فلا يبلغ هدفه وغايته، شأن من يضل الطريق فلا يصل إلى ما يبتغيه؟ ولعله كان بهذا يذكّر قريشًا بنعمته عليهم في حماية هذا البيت وصيانته، لعلهم بهذه الذكرى يستحون من جحود الله الذي تقدم فضله عليهم في ضعفهم وعجزهم، فقد حطم الله الأقوياء حينما شاءوا الاعتداء على بيته وحرمته، فلعله يحطم الأقوياء الذين يقفون لرسوله ﷺ ودعوته.

٣- الوصف الحقيقي للعاقبة بعد رؤيتها في الواقع:

فأما كيف جعل كيدهم في تضليل، فقد بيّنه في صورة وصفية رائعة.. فقد كانوا يريدون تحطيم المقدسات الإسلامية؛ فتحطموا هم، وكانوا يريدون إذلال العرب؛ فذلوا هم.

وتأمل هذه الصورة التي تبين القدرة الإلهية: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي وسلّط الله القوي المتين على هؤلاء المعتدين الباغين طيرًا متتابعة بعضها في إثر بعض، تأتيهم من كل ناحية جماعات كثيرة، فتقذفهم بحجارة من طين طبختْ بنار جهنم، فلم يلبثوا أن صاروا ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي كأوراق الشجر الجافة التي عصفت بها الرياح فأسقطتها. ووصفه بأنه مأكول: أي فُتات طحين حين تأكله الحشرات وتُمزقه! أو حين يأكله الحيوان فيَمْضغه! وهي صورة حسية للتمزيق البدني بفعل هذه الأحجار.

٤- من دلالات الحادث، والعبر المستفادة من التذكير به:

أول ما توحي به الآيات أن الله سبحانه لم يُرد أن يكِلَ حماية بيته إلى المشركين.. وتدخلت القدرة الإلهية لتدافع عن البيت الحرام، حتى لا يكون للمشركين فضل على بيته، ولا سابقة في حمايته.

كذلك توحي دلالة هذا الحادث أن الله أراد لهذا البيت أن يبقى عتيقًا من سلطان المتسلطين، مصونًا من كيد الكائدين، ليحفظ لهذه الأرض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرة طليقة، لا يهيمن عليها سلطان، ولا يطغى فيها طاغية.

والإيحاء الثالث هو أن العرب لم يكن لهم دور في الأرض، بل لم يكن لهم كيان قبل الإسلام، ولكنهم بعد بعثة النبي ﷺ، ودخولهم تحت راية الإسلام، أصبح لهم دور عالمي يؤدُّونه، ولكن الذي هيأ للعرب هذا- لأول مرة في تاريخهم- هو أنهم نسوا نعرة الجنس، وعصبية العنصر، وذكروا أنهم مسلمون، ورفعوا راية الإسلام، وخرجوا من أرضهم جهادًا في سبيل الله وحده.. عندئذ فقط صار للعرب وجود، وأصبحت لهم قوة، وتكونت لهم قيادة، ولكنها كانت كلها لله، وفي سبيل الله.

وقد ظلت لهم قوتهم، وظلت لهم قيادتهم ما استقاموا على الطريقة، حتى إذا انحرفوا وذكروا عنصريتهم وعصبيتهم، وتركوا راية الله ليرفعوا راية العصبية؛ نبذتهم الأرض، وداستهم الأمم؛ لأن الله قد تركهم حيثما تركوه، ونسيهم مثلما نسوه. وهذا ما يجب أن

يذكره العرب جيدًا إذا هم أرادوا الحياة، وأرادوا القوة، وأرادوا القيادة.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- تذكُّر قدرة الله المطلقة، فلا نيأس من نصرة دعوته ودينه مهما تكالب علينا الأعداء.

٢- اليقين بأن من كان مع الله عزَّ وانتصر.

٣- ضرورة التبرُّؤ من النعرات العصبية والعنصرية. أين أنت من هذا المبدأ؟

٤- عمل بحث مفصل عن قصة أصحاب الفيل من كتب السيرة المتخصصة وغيرها؛ لمزيد من الاستفادة بالدروس والعبر منها.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تدل حادثة الفيل على:

أ- حب الله لأهل مكة.

ب- رعاية الله لهذه البقعة لتكون ملتقى نور العقيدة.

ج- مكانة قريش العظيمة بين الناس. د- جميع ما سبق.

٢- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾، تضليل:

أ- غير راشد. ب- تضييع وإبطال.

كيدهم:

أ- احتيالهم ب- مكرهم.

٣- ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، ابابيل:

أ- جارحة. ب- محاربة. ج- جماعات متفرقة. د- جميع ما سبق.

٤- ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾، سجيل:

أ-طين طُبختْ بنار جهنم. ب-حجارة مكتوب عليها أسماء القوم.

ج-حجارة مسمومة. د-لا شيء مما سبق.

٥- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، كعصف:

أ- كالعاصفة. ب- كأوراق الشجر الجافة التي عصفت بها الرياح.

مأكول:

أ- ممزق كأن حيوانًا أكله ومضغه.

ب- فتات طحين كأن حشرات أكلته ومزقته.

٦- أصبح للعرب دور عالمي يؤدونه بعد بعثة النبي ﷺ:

أ- لأنهم لم يلتفتوا إلى الجنس والعصبية، وتمسكوا بأنهم مسلمون.

ب- لأنهم جاهدوا في سبيل الله وحده، لا من أجل القومية والعروبة.

ج- لأنهم رفعوا راية الإسلام. د- جميع ما سبق.

٧- يعاني العرب الآن من نبذ الغرب لهم، واستهانة الأمم بهم:

أ- لأنهم انحرفوا عن منهج الله، فتركهم الله حيث تركوه.

ب- لأنهم رفعوا راية عنصريتهم وعصبيتهم، وتركوا راية الله.

ج- لأنهم أقل عُدة وعتادًا وجيشًا من الغرب.

د- لأنهم يعانون من الأمية ومن الفقر.

٨- ترشد السورة إلى:

أ- لا نيأس من نصر الله لدعوته مهما تكالب الأعداء.

ب- نتذكر دائمًا حادثة الفيل، وأن الله يحب المسلمين.

ج- نعتقد أن من كان الله معه عزَّ وانتصر. د- جميع ما سبق.

٩- حددي محور السورة.

١٠- وضحي القدرة والمعجزة الإلهية من حادثة الفيل.

١١- اذكري دلالة هذا الحادث والعبر المستفادة منه.

١٢- وضحي كيف يمكنكِ الدفاع عن الإسلام.

* * *

سورة قريش

سورة قريش مكية، وهي تتحدث عن امتنان الله على أهل مكة بالوحدة بعد التفرق، والألفة بعد الشتات والعداوات، وبما يسَّر لهم من أسباب الربح والتكسُّب، ثم ختمت بدعوتهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، الذي أسبغ عليهم نِعَمه ظاهرةً وباطنةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ: ما تعودت عليه قريش من الرحلة إلى اليمن والشام.

الْبَيْتِ: الكعبة.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: اختصاص الله قريشًا بالنعمة، مطالبتهم بشكر النعمة بإخلاص العبادة.

١- اختصاص الله قريشًا بالنعمة:

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أي: بسبب ما امتنَّ الله به على قريش من اجتماع بعد تفرق، وائتلاف بعد شتات ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ أي وبما يسَّر لهم من أسباب التجارة الآمنة بين قبائل لا تعرف سوى السلب والنهب، والرابحة برغم قحط بيئتكم، وجدب أرضكم، انتظمت وتألفت رحلاتكم تنقل السلع والبضائع بين بلاد اليمن شتاء، وبلاد الشام صيفًا، لتعود عليكم بالرزق الكثير، والربح الوفير.

يذكّرهم بهذه المنن ليستحيوا مما هم فيه من عبادة غير الله معه، فالله هو رب هذا البيت الذي يعيشون في جواره آمنين مُطعَمِين، ويسيرون باسمه مرعيين، ويعودون سالمين.

٢- مطالبتهم بشكر النعمة بإخلاص العبادة:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أمرٌ من الله لقريش أن تعبد رب الكعبة الذي كفَل لهم الرغد والأمن، فجعل نفوسهم آمنةً في هاتين الرحلتين، تنال من ورائها ما تنال؛ فهو ﷺ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ وكان الأصل بحسب حالة أرضهم أن يجوعوا، فأطعمهم وأشبعهم من الجوع، ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ وكان الأصل بحسب ما هم فيه من ضعف، وبحسب حالة البيئة من حولهم أن يكونوا في خوف، فأمَّنهم من هذا الخوف.. وهو تذكير يوقظ الحياء في النفوس، ويثير الخجل في القلوب.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- إدراك أن التجارة باب واسع للأرزاق، وتحسين المستوى المعيشي، والتعارف بين الشعوب، وغير هذا من الفوائد.

٢- العلم بأن الله قد اختص أهل مكة ببعض النعم، ومنها البيت الحرام، وهو أفضل وأطهر بقاع الأرض.

٣- وجوب إخلاص العبادة لله.

٤- وجوب شكر الله على ما أسبغ علينا من نِعَم. جددي محاسبة نفسك على الإخلاص، وشكر النعم.

٥- تذكري قول رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمْ آمِنًا فِي سربِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا» رواه الترمذي]. اجعلي هذا الحديث محور رسالة دعوية للناس.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- فضل الله على قريش لأنها أعظم قبيلة.

ب- فضل الله عليهم بتأليفه بين قلوبهم.

ج- فضل الله عليهم في إغنائهم.

د- جميع ما سبق.

٢- ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، لإيلاف:

أ- حب بعضهم لبعض.

ب- ما تعودت عليه قريش من الرحلة إلى اليمن والشام.

قريش:

أ- إحدى قبائل مكة.

ب- أكبر قبيلة، وذِكْرُها رمزٌ لأهل مكة جميعًا.

٣- ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ توحي هذه الآية بـ:

أ- إخلاص العبادة لله شكرًا له سبحانه.

ب- الحياء من صاحب النعمة.

ج- اختصاص أهل مكة ببعض نعم الله؛ كجعل بيته المعظم في مكة.

د- جميع ما سبق.

٤- ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ تشير إلى:

أ- أرض مكة لا زرع فيها ولا ماء، ورغم ذلك أطعمهم الله وأشبعهم.

ب- ملأ قلوب أعدائهم خوفًا؛ فأدى ذلك إلى أمنهم.

ج- جعل أرض مكة كلها حرامًا يأمن كل من فيها.

د- لا شيء مما سبق.

٥- ترشد الآيات إلى:

أ- ضرورة سعي الإنسان لتحسين مستواه المعيشي.

ب- للسفر والتجارة فوائد كثيرة، منها: زيادة الرزق، والتعارف بين الشعوب.

ج- من أسباب السعادة والأمان إخلاص العبادة لله.

د- كلما أنعم الله علينا نعمةً نتقرب إليه أكثر بالعبادة الخاشعة، والقلوب الطاهرة.

٦- اذكري المعنى الإجمالي للسورة.

٧- عددي النعم الكثيرة التي مَنَّ بها الله ﷻ عليكِ؟

٨- قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا». اشرحي الحديث في ضوء ما فهمتِ من الآيات.

* * *

سورة الماعون

سورة الماعون مكية، وتتناول بحديثها أولئك الذين يكذبون بيوم القيامة قولاً أو عملاً، ثم تذكر بعض صفاتهم القبيحة لتحذر المؤمنين منها؛ كالقسوة على اليتامى، وعدم مساعدة المحتاجين، ثم تختم بالتهديد والوعيد لمن يغفلون عن أداء الصلاة، أو يصلونها رياء لغير وجه الله، ولمن يمتنعون عن إخراج الزكاة والصدقات لإعانة المحتاجين والفقراء.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

أولاً: تفسير لبعض المفردات الواردة بالآيات:

أرأيت: أخبرني. يدع: يدفع بعنف، يقهر.

ولا يحض: ولا يحث أحدًا. ويل: عذاب أو هلاك.

عن صلاتهم ساهون: يؤخرونها أو يغفلون عنها فلا يؤدونها.

يراؤون: يصلون رياءً؛ ليقال: إنهم صالحون، ويتصدقون ليقال: إنهم كرماء.

الماعون: المنافع اليسيرة، أو أي خير يعين المحتاج.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: العناية بالجوهر بإحسان العمل، التظاهر والرياء والبخل مهلكات.

١- العناية بالجوهر بإحسان العمل:

إن هذه السورة القصيرة تعالج قضية ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد

للإيمان والكفر تبديلاً كاملاً، إضافة إلى ما تَطْلُع به على النفس من حقيقة باهرة لطبيعة هذه العقيدة، وللخير الهائل العظيم المكنون فيها لهذه البشرية، وللرحمة السابغة التي أرادها الله للبشر وهو يبعث إليهم بهذه الرسالة الأخيرة.

إن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس، ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر شيئًا ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد، مُؤديةً بسبب هذا الإخلاص إلى آثار في القلب تدفع إلى العمل الصالح، والذي يتمثل في سلوك تصلح به حياة الناس في هذه الأرض وترقى.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ إن الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعًا بعنف– أي الذي يهين اليتيم ويؤذيه– والذي لا يحث نفسه أو غيره على إطعام المسكين، ولا يوصي برعايته، فلو صدَّق بالدين حقًّا، ولو استقرت حقيقة التصديق في قلبه، ما كان ليقسو على اليتيم، وما كان ليقعد عن الحضِّ على طعام المسكين.

٢- التظاهر والرياء والبخل مهلكات:

ثم يترتب على هذه الحقيقة صورة تطبيقية من صورها: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ إنه دعاء أو وعيد بالهلاك للمصلين الذين هم عن صلاتهم غافلون؛ بتركٍ لها، أو تأخير لأوقاتها، أو تقصير فيها! ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ إنهم أولئك الذين يصلون الصلوات لكن قلوبهم لا تعيش معها، ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة، وحقيقة ما فيها من قراءات ودعوات وتسبيحات، إنهم يصلون رياءً للناس لا إخلاصًا لله، وهم يؤدونها، لكن المطلوب هو إقامة الصلاة لا مجرد أدائها، وإقامتها لا تكون إلا باستحضار حقيقتها، والقيام لله وحده بها.

وهم يمنعون كل خير وعون عن المحتاجين، يمنعون الماعون عن عباد الله، ولو كانوا يقيمون الصلاة حقًّا لله؛ لَمَا منعوا العَون عن عباده؛ فهذا هو مِحكُّ العبادة الصادقة المقبولة عند الله.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- تنمية الإحساس بمشاعر اليتيم، فهو محروم من العطف والحنان؛ وعلينا أن نرحمه، ونرفق به، ونُحسن رعايته ونُصحَه، ونتلطف معه في الكلام (واجب عملي).

٢- إدراك أنه ليس من الإيمان بالله واليوم الآخر: القسوة، لاسيما على اليتامى، والبخل، وعدم إطعام الفقراء والمساكين.

٣- العمل على التخلص من صفات المنافقين؛ ومنها: التشاغل عن الصلاة حتى يفوت وقتها، والتظاهر بالأعمال الصالحة رياءً. اجعلي في ورد المحاسبة اليومي هذين السؤالين: متى أديت الصلاة؟ هل كان العمل خالصًا لله؟

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- عاقبة العصاة. ب- صفات المكذبين القبيحة.

ج- الوعيد لمن يغفل عن الصلاة أو يصليها رياء لغير وجه الله.

د- حق اليتيم والمحتاج.

٢- ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، يدع:

أ- يترك ويهمل. ب- يدفع بعنف. ج- يقهر. د- جميع ما سبق.

٣- ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، لا يحض:

أ- لا يصنع لهم طعامًا. ب- لا يحث أحدًا.

ج- لا يكره أحدًا. د- لا شيء مما سبق.

٤- لا تغني مظاهر العبادات والشعائر إن:

أ- كانت صادرة عن غير إخلاص لله. ب- لم تغير في سلوك المسلم إلى الأحسن.

ج- أدَّاها بطريق خاطئة. د- جميع ما سبق.

٥- إن التصديق بالدين يؤدي إلى:

أ- رقة القلوب فلا تقسو على الأيتام.

ب- تخلُّص النفوس من الشح، فتحث نفسها وغيرها على إطعام المسكين.

ج- إخلاص العبادة لله وحده. د- جميع ما سبق.

٦- من المصلين من يعاقبه الله؛ لأنه:

أ- ترك بعض أوقاتها عمدًا. ب- أخَّر الصلاة عن وقتها.

ج- لأنه لم يخشع تمامًا في الصلاة. د- لأنه ينسى كثيرًا في صلاته.

٧- ترشد الآيات إلى:

أ- الإحسان إلى اليتيم وإطعام الطعام. ب- عدم منع أي خير عمّن نحبهم.

ج- تجنب التظاهر بالأعمال الصالحة. د- تجنب الإسراف في الطعام والشراب.

٨- اذكري أمثلة لكيفية رعاية اليتيم.

٩- اشرحي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

* * *

سورة الكوثر

سورة الكوثر مكية، وتبدأ بتهنئة النبي ﷺ ببشرى حسنة، ثم تأمره بالصلاة وذبح الأضاحي تقربًا إليه ﷻ، وتختم بالتأكيد على أن كاره النبي ﷺ هو المقطوعُ الذِّكْر، الممحوُّ الأثر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة بالآيات:

الكوثر: الخير الكثير، أو نَهْر في الجنة. **وانْحَر**: واذبح الأضاحي تقربًا إلى الله.

شانئك: مبغضك. **الأبتر**: المقطوع الأثر، أو الذي لا خير فيه.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: سبب نزول السورة، تهنئة الله لنبيه ﷺ بما أنعم عليه به، توصية الله لنبيه ﷺ بالشكر، كبت القرآن لعدوِّه.

١- سبب نزول السورة:

هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ؛ كسورتي الضحى والشرح، يُسرِّي عنه ربه فيها، ويَعِده بالخير، ويوعد أعداءه بالبتر، ويوجهه إلى طريق الشكر.

فقد ورد أن سفهاء قريش ممن كانوا يتابعون الرسول ﷺ ودعوته بالكيد والمكر، وإظهار السخرية والاستهزاء.. من أمثال العاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، وأبي لهب، وأبي جهل، وغيرهم كانوا يقولون عن النبي ﷺ: إنه أبتر. يشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده، وقال أحدهم: دعوه؛ فإنه سيموت بلا عَقِبٍ وينتهي أمره. ومِن ثَمَّ نزلت هذه السورة تمسح على قلبه بالروح والندى، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي

اختاره له ربه، وحقيقة الانقطاع والبتر المُقدَّر لأعدائه.

٢- تهنئة الله لنبيه ﷺ بما انعم عليه به:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ - والكوثر صيغة من الكثرة، وهو مطلق غير محدود، يشير إلى عكس المعنى الذي أطلقه هؤلاء السفهاء- إنا أعطيناك ما هو كثير فياض غزير، غير ممنوع ولا مبتور.. إنه الكوثر الذي لا نهاية لفيضه، ولا حدّ لمدلوله، ومِن ثَمَّ تركه بلا تحديد ليشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد.

وقد وردت روايات أن الكوثر نهر في الجنة أوتيه رسول الله ﷺ، ولكن ابن عباس رضي الله عنه كان يرى أن هذا النهر هو من بين الخير الكثير الذي أوتيه الرسول ﷺ، فهو كوثر من الكوثر!. وهذا هو الأنسب.

٣- توصية الله نبيه ﷺ بالشكر، وكبت القرآن لعدوه:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ التحقيق أن المقصود صلاة العيد، تذبح الأضاحي بعد الصلاة، وتقسم على الفقراء مبتغيًا وجه الله، غير مُلقٍ بالاً إلى شِرْك المشركين، وغير مشارك لهم في عبادتهم، أو في ذكر غير اسم الله على الذبائح.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.. هنا يرد الله الكيد إلى كائديه.. ويؤكد ﷻ أن الأبتر ليس محمدًا، وإنما هم شانئوه وكارهوه. ولقد صدق فيهم وعيد الله، فقد انقطع ذكرهم وانطوى، بينما امتد ذكْرُ محمد، وعلا شأنه.

ونحن نشهد اليوم صدق هذا القول الكريم في صورة باهرة واسعة المدى، وهو ما لم يُتح أن يشهده سامعوه الأولون.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- الاعتقاد بأن الله أوسع لنبيه ﷺ العطاء لشدة محبته إياه.

٢- اليقين بأن الله يرضى بطاعة العباد له على الوجه الذي أمرهم به؛ فلنجعل جميع عباداتنا من صلاة أو ذبح أو نُذر، أو غير ذلك من وجوه العبادات، على الوجه الذي أمرنا به.

٣- الثقة بأن الله يدافع عن نبيه ﷺ والمؤمنين، ويُقدِّر لهم الخير.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾، الكوثر:

أ- الجنة. ب- نهر في الجنة. ج- الخير الكثير. د- جميع ما سبق.

٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ تشير إلى:

أ- صلاة العيد والذبح بعدها. ب- ابتغاء وجه الله.

ج- عدم ذكر غير اسم الله على الذبائح. د- الصلاة أو الذبح لله في أي وقت.

٣- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، شانئك:

أ- عدوك. ب- مبغضك.

الأبتر:

أ- مقطوع الأطراف. ب- مقطوع الأثر.

٤- رد الله الكيد إلى كائديه بأن:

أ- انقطع ذكرهم وانطوى. ب- علا ذكر محمد ﷺ وامتد في كل مكان.

ج- أمر النبي ﷺ بقطع أثرهم. د- كثرت ذرية النبي ﷺ، وانقطع نسل مبغضيه.

٥- ترشدنا السورة إلى:

أ- تعميق محبة النبي ﷺ في قلوبنا؛ لحب الله له.

ب- صرف جميع عباداتنا إلى الله وحده.

ج- الثقة بأن الله يدافع عن المؤمنين؛ فتطمئن قلوبنا. د- جميع ما سبق.

٦- وضحي المعنى الإجمالي للسورة.

٧- تحدثي عن قدر الرسول ﷺ عند الله ﷻ.

٨- اذكري أهمية الأضحية كعبادة لله ﷻ.

سورة الكافرون

سورة الكافرون مكية، وهي تتحدث في علانية وصراحة عن استحالة الالتقاء أو التقارب بين الإيمان والكفر في ميادين العقيدة والعبادة، فلكل منهما عقيدته وشريعته؛ فالإخلاص والتوحيد ضد الكفر والشرك، وتختم الآيات بتقرير حقيقة مفادها: استحالة التوافق والمواءمة بينهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة بالآيات:

ما تعبدون: الأصنام. ما أعبد: وهو الله وحده.

لكم دينكم: شرككم وكفركم. لي دين: إخلاصي وتوحيدي.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول الدرس التالي:

استحالة التقاء عقيدة الكفر والإيمان.

﴿قُل﴾ أمر من الله للرسول ﷺ يوحي بأن أمر هذه العقيدة أمر الله وحده، ليس لمحمد فيه شيء، إنما هو الله الأمر الذي لا مرد لأمره، الحاكم الذي لا راد لحكمه.

﴿يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ ناداهم بحقيقتهم، ووصفهم بصفتهم، إنهم ليسوا على دين، وليسوا بمؤمنين، وإنما هم كافرون، فلا التقاء إذن بينك وبينهم في طريق.. وهكذا يوحي مطلع السورة وافتتاح الخطاب بحقيقة الانفصال الذي لا يُرجى معه اتصال!.

﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا أعبد الذين تعبدون من الأصنام والأوثان؛ فعبادتي غير

عبادتكم، ومعبودي غير معبودكم.

﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ولا أنتم تعبدون الله الواحد الذي أعبد؛ فعبادتكم غير عبادتي، ومعبودكم غير معبودي.

﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ توكيد للفقرة الأولى في صيغة الجملة الاسمية، وهي أدل على ثبات الصفة واستمرارها.

﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.. تكرار لتوكيد الفقرة الثانية؛ كي لا تبقى مظنة ولا شبهة، فلا مجال لمظنة أو شبهة بعد هذا التوكيد المكرر بكل وسائل التكرار والتوكيد.

ثم إجمال لحقيقة الافتراق الذي لا التقاء فيه، والاختلاف الذي لا تشابه فيه، والتميز الذي لا اختلاط فيه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر، ﴿ وَلِيَ دِينِ﴾ الإيمان.. مفاصلة كاملة شاملة، وتميز واضح دقيق.

لقد كانت هذه المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهري الكامل، الذي يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق، الاختلاف في جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق.

إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر، ولا يلتقيان؛ فالتوحيد منهج يتجه بالإنسان- مع الوجود كله- إلى الله وحده لا شريك له، ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة وعن الوجود، وهذه الجهة التي يتلقى المؤمن عنها هي الله، الله وحده بلا شريك.

وتميُّز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس، شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء، لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم، ووظيفته أن يُسيِّرهم في طريقه هو بلا مداهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

عمل جلسة نقاش بين الزميلات لمعرفة إلى أي مدى تحققت فينا المعاني التالية، وكيف ننشرها بين الناس:

١ - الاعتزاز بإسلامنا، وعدم تقليد الكفار أو التشبه بهم في طبائعهم السيئة.

٢ - الاجتهاد في التميُّز على الكفار، والتفوق عليهم علمًا وعملاً.

٣- إدراك أن من الإخلاص لله أن نزن تصرفاتنا وأعمالنا وأقوالنا بميزان الشرع؛ فما وافقه فعلناه، وما خالفه تركناه.

٤ - دعوة أهل الأديان الأخرى إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ودون إفراط أو تفريط.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- وعيد للكافرين ببقائهم على الكفر. ب- استحالة الالتقاء بين الكفر والإيمان.

ج- من الممكن الجمع بين الكفر والإيمان.

د- الإخلاص والتوحيد ضد الكفر والشرك.

٢- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ توحي هذه الآيات بأن:

أ- أمر العقيدة أمر الله وحده. ب- الكافرين ليسوا على دين.

ج- استحالة اجتماع المؤمنين والكافرين في مكان.

د- يجب أن يعادي المؤمنون الكافرين.

٣- يفيد تكرار آية ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾:

أ- الرد على الكافرين بشدة. ب- توكيد المعنى.

ج- استحالة التقاء الكفر والإيمان. د- جميع ما سبق

٤- منهج التوحيد:

أ- قد يلتقي مع منهج الشرك في منتصف الطريق.

ب- يحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان عقيدته وكل أمور دينه ودنياه، وهي الله وحده.

ج- يتميز تميزًا واضحًا عن منهج الشرك. د- يتجه إلى الله وحده لا شريك له.

٥- إن وضوح هذه الصورة في نفس المؤمن تجعله:

أ- لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم.

ب- مدركًا وظيفته في الدنيا، وهي أن يسير في طريقه بلا مداهنة ولا تنازل عن مبادئه.

ج- قادرًا على مداهنة الكفار ومسايرتهم. د- جميع ما سبق.

٦- ترشد السورة إلى أن:

أ- نعتز بإسلامنا، ولا نتشبه بالكفار في طبائعهم السيئة.

ب- نلتزم بشرع الله.

ج- نشدد على أهل الأديان الأخرى كي يدخلوا في دين الإسلام.

د- نعامل أهل الأديان الأخرى معاملة سيئة أو نقاطعهم.

٧- اذكري سبب نزول السورة.

٨- (التوحيد منهج يتجه بالإنسان- مع الوجود كله- إلى الله وحده لا شريك له). ما أثر هذا التصور في شعور الداعية؟

٩- (استحالة الالتقاء أو التقارب بين الإيمان والكفر في ميادين العقيدة والعبادة، فلكل منهما عقيدته وشريعته). وضحي هذه العبارة.

* * *

سورة النصر

سورة النصر مدنية، وهي تنعى إلى النبي ﷺ نفسه، وتشعره بقرب الرحيل عن هذه الدنيا بعد أن أدى رسالته، وبلغ الأمانة، وانتشر الإسلام وانتصر، وانزوى الشرك واندحر، وفُتحت مكة، وهوَتْ أصنامها، وانقاد الناس للإسلام، ثم تختم الآيات بأمر من الله لنبيه ﷺ بالاستعداد لملاقاته بطول التسبيح والاستغفار.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاء نَصْرُ الله وَالفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة بالآيات:

الفتح: فتح مكة في السنة الثامنة الهجرية. **أفواجًا**: جماعات كثيرة.

فسبح بحمد ربك: فعظِّمه حامدًا له على هذه النعم.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: بيان السورة ما ينبغي أن يكون بعد النصر والفتح، مقصود الفتح والنصر والروايات في ذلك، الاستغفار وملابساته في السورة.

١- بيان السورة ما ينبغي ان يكون بعد النصر والفتح:

هذه السورة القصيرة كما تحمل البشرى لرسول الله ﷺ بنصر الله والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وقرب لقاء ربه، فإنها كذلك توجهه حين يتحقق نصر الله، وفتحه، واجتماع الناس على دينه، إلى التزود والاستكثار من التسبيح والتحميد والاستغفار.

﴿إِذَا جَاء نَصْرُ الله وَالفَتْحُ﴾ إذا تمَّ نصرُ الله لك- أيها الرسول- وتحقق موعوده بالتأييد والعون لك على أعدائك، وخذلان الشرك، وفُتِحت مكة، وتهاوت أصنامها، وقامت للإسلام دولة يشع في أرجاء العالمين نورها، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله أَفْوَاجًا﴾ وشرح الله صدورًا كثيرة بالإسلام فانقادت له، وعملت به، وعلا لواء التوحيد ربوع الجزيرة، ودان للإسلام قاصيها ودانيها رغبةً أو رهبةً، فتتابع الناس يبايعونك على الحق والهدى؛ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فنزِّه ربك وقدِّسه، واحمده واشكره على ما هدى وأولَى، ودُمْ على ذلك، واستكثر منه.

٢- مقصود الفتح والنصر والروايات في ذلك:

ونحب أن نذكر هنا بعض الروايات التي وردت في سبب نزول هذه السورة؛ لما لها من فوائد في فهم الآيات، ولما تلقيه من ضوء على بعض المعاني والأفكار الواردة فيها؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله يكثر في آخر أمره من قول: «سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، قالت: فَقُلْتُ: يا رسُولَ الله، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْل: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْل: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا؛ إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالفَتْحُ؛ فَتْحُ مَكَّةَ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله أَفْوَاجًا؛ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ، وَاسْتَغْفِرْهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» [رواه مسلم].

وقال ابن كثير في التفسير: والمراد بالفتح هنا فتح مكة.. فإن أحياء العرب كانت تتلوَّم (أي تنتظر) بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتَح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمضِ سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مُظهِرٌ للإسلام. ولله الحمد والمنة.

وفي البخاري وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم، قال: فوجد بعضهم من ذلك، فقالوا: يأذن لهذا الفتى معنا ومِن أبنائنا مَن هو مثلُه! فقال لهم عمر: إنه مَن قد علمتم، قال: فأذن لهم ذات يوم، وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ الله وَالفَتْحُ﴾؟ فقالوا: أمر الله جل وعز نبيه ﷺ

إذا فتح عليه أن يستغفره، وأن يتوب إليه، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قلتُ: ليس ذلك، ولكن أخبر الله نبيه ﷺ حضور أجله، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة موتك؛ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر: ما أعلمُ منها إلا ما تقول.

٣- الاستغفار وملابساته في السورة:

فإن قيل: فماذا يُغفر للنبي ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار؟ أُجيب بأن ذلك تعليم لأمته، وتنبيه لها؛ لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار، فإذا كان النبي ﷺ- وهو المعصوم- مأمورًا بالاستغفار، فما الظن بغيره؟ فالنبي ﷺ أسوة وقدوة حسنة لأمته. وقيل: ﴿اسْتَغْفِرْهُ﴾ أي استغفر لأمتك.

والاستغفار لملابسات نفسية كثيرة: الاستغفار من الزهو الذي قد يساور القلب، أو يتدسس إليه من سَكْرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظَّفر بعد طول العناء، والشدة الطاغية، والكرب الغامر؛ من ضيق بالشدة، واستبطاء للنصر.. والاستغفار من التقصير في حمد الله وشكره. فجهد الإنسان، مهما كان، ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة الفيض. إنه الأفق الوضيء الكريم الذي يهتف القرآن الكريم بالنفس البشرية للتطلُّع إليه، والترقي في مدارجه.. وهذا هو الأدب الذي اتسمت به النبوة دائمًا، يريد الله أن ترتفع البشرية إلى آفاقه، أو تتطلع إلى هذه الآفاق دائمًا.. وهذا كان أدبه ﷺ في حياته كلها، وفي موقف النصر والفتح الذي جعله ربه علامة له.. فانحنى لله شاكرًا على ظهر دابته، ودخل مكة في هذه الصورة.. مكة التي آذته وأخرجته وحاربته، ووقفت في طريق الدعوة تلك الوقفة العنيدة، فلما أن جاء نصر الله والفتح؛ نسي فرحة النصر، وانحنى انحناءة الشكر، وسبَّح وحمِد واستغفر كما لقَّنه ربه، وكانت هذه سُنَّته في أصحابه من بعده رضي الله عنهم أجمعين.

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ كثير القبول لتوبة من طلب غفرانه، وقيل: أي للمسبحين الحامدين المستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- الثقة بأن النصر والتأييد والعون من الله، فلا نطلب هذه الأمور من سواه.

٢- الحرص على العبادات والأعمال الصالحة الجماعية؛ ففيها تشجيع للغير على فعلها، وإغاظة لأعداء الإسلام.

٣- الاجتهاد في طلب العلم، فإنه يرفع قدرنا عند الله، ثم عند الناس، وينفع الأمة.

٤- الاستعداد الدائم للقاء الله بالذكر الدائم له، وإلزام ألسنتنا التسبيح والتحميد والاستغفار.

رابعًا: أسئلة التقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- قرب رحيل النبي ﷺ عن الدنيا.

ب- الدعوة للإكثار من التسبيح والاستغفار.

ج- انتشار الإسلام وفتح مكة. د- جميع ما سبق.

٢- أمر الله ﷻ النبي ﷺ بالاستغفار:

أ- لأن الاستغفار نوع من الذكر. ب- تنبيهًا لأمته كي لا يتركوا الاستغفار.

ج- لأن الناس في حاجة إلى الاستغفار. د- أي يستغفر لأمته.

٣- لماذا يستغفر النبي ﷺ وقد نصر الله دينه؟

أ- من الزهو الذي قد يملأ القلب بفرحة النصر والظفر.

ب- من الضيق واستبطاء النصر إذا طالت فترة الكفاح.

ج- من التقصير في حمد الله وشكره على هذا النصر.

د- جميع ما سبق.

٤- كانت استجابة النبي ﷺ لأمر الله عندما رأى علامة النصر:

أ- انحنى لله شاكرًا على ظهر دابته، ودخل مكة في هذه الصورة.

ب- جعل يكثر من التسبيح والحمد والاستغفار.

ج- دخل مفتخرًا افتخار المنتصرين.

د- جميع ما سبق.

٥- ترشد السورة إلى:

أ- أن النصر والتأييد والعون من الله فلا نطلب هذه الأمور من سواه.

ب- نغيظ أعداء الإسلام بأن نحرص على تكثير سواد المسلمين.

ج- نستعد دائمًا للقاء الله بتذكر الموت والقبر والآخرة.

د- نكثر من الصلاة على الرسول ﷺ.

٦- اذكري سبب نزول السورة.

٧- اذكري ما يجب أن يتحلى به المسلم حين يتحقق نصر الله، وفتحه، واجتماع الناس على دين الإسلام.

* * *

سورة المسد

سورة المسد مكية، وتبدأ بالوعيد لأبي لهب الذي كذب النبي ﷺ وجاهره بالعداوة، نافية أن ينفعه ماله، أو يدفع عنه العذاب أو النار المستعرة التي تنتظره، ثم تتحدث عن زوجته التي ستلقى المصير نفسه مع الخزي والتشويه، بسبب إيذائها للنبي ﷺ بأقوالها وأفعالها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة بالآيات:

تبت يدا: خابت وخسرت.

أبي لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

ما أغنى ماله وما كسب: لن يدفع عنه الهلاكَ مالُه ولا ولدُه ولا جاهُه.

وامرأته: «أم جميل»، وستدخل معه زوجها أبي لهب نار جهنم.

في جيدها: في عنقها.

حبل من مسد: ما يفتل فتلاً قويًا من الحبال.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول الموضوع التالي:

- إيذاء أبي لهب وامرأته للنبي ﷺ ومصيرهما.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ سيخيب هذا الجبار العنيد ويهلك. هذا وعيد من الله بالخيبة والخسران لأبي لهب؛ بسبب عداوته للحق، وتبَّ الثانية توكيد للأولى، فإن قيل:

لماذا خصه الله وامرأته بالوعيد دون غيرهما ممن آذوا رسول الله ﷺ في هذه السورة؟

والإجابة عن هذا السؤال تتضح إذا عرفنا هاتين الشخصيتين، فلنتعرف عليهما الآن: أبو لهب (واسمه عبد العزى بن عبد المطلب) هو عم النبي ﷺ، وإنما سُمي بأبي لهب لاحمرار وجهه، وكان هو وامرأته «أم جميل» من أشد الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ، وللدعوة التي جاء بها، ولقد اتخذ أبو لهب موقفه هذا من رسول الله ﷺ منذ اليوم الأول للدعوة، فعن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى: «يَا صَبَاحَاهْ». فاجْتَمَعَتْ إِلَيْه قُرَيْشٌ فقال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟»، قالوا: نَعَمْ، قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فقال أبو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ تَبًّا لَكَ. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها.

[رواه البخاري].

وفي رواية: فقام ينفض يديه وهو يقول: تبًّا لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟! فأنزل الله السورة.. وكان بيت أبي لهب قريبًا من بيت رسول الله ﷺ، فكان الأذى أشد. وقد رُوي أن أم جميل كانت تحمل الشوك فتضعه في طريق النبي ﷺ. وقيل: إن حمل الحطب كناية عن سعيها بالأذى والفتنة والوقيعة.

فكأن هذه السورة ترد على هذه الحرب المعلنة من أبي لهب وامرأته، ولأن الله ﷻ تولَّى عن رسوله أمر المعركة، ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ فلم يغنِ عنه ماله وسعيه وولداه، ولم يدفعوا عنه الهلاك والخزي. ذلك-كان- في الدنيا، أما في الآخرة، فإنه ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيذوق ويشوى جلدُه بالنار المستعرة المتقدة، ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾ وستصلاها معه امرأته التي كانت تلقي بالشوك في طريق النبي ﷺ. قيل: كانت تحطب الكلام وتمشي بالنميمة، وتُعيِّر النبي ﷺ بالفقر، وقيل: ستكون حمالة لحطب جهنم حالة كونها: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي في عنقها حبل من ليف تُشد هي به في النار، أو هي الحبل الذي يُشَد به الحطب.

وهكذا نرى الآيات تنطق بغضب الله وحربه لأبي لهب وامرأته جزاء كيدهما لدعوة

الله ورسوله ﷺ، والتباب والهلاك والسخرية جزاء للكائدين لدعوة الله في الدنيا، والنار في الآخرة جزاءً وفاقًا.

وسميت السورة التي تحدثت عن أبي لهب وزوجته باسم المسد، وكأن تسمية السورة بهذا الحبل الليف أفضل من أن تُسمَّى بأبي لهب وزوجته؛ تحقيرًا لهما ولشأنهما، وكذلك تشبيه لدور المرأة التي تحارب الإسلام وكأنها تأتي بالوقود الذي تشتعل به نار الحرب على الإسلام، وتنبيه وتحذير من خطورة دور المرأة في الحرب على الإسلام.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- اليقين بأن القرآن معجزة من عند الله، ولولا ذلك لدخل أبو لهب في الإسلام؛ ليشكك الناس في القرآن، ولكنه عجز عن ذلك.

٢- إدراك أن كل إنسان سيحاسب على أقواله وأفعاله، بغض النظر عن نسبه، أو جاهه، أو ماله وسلطانه، أو غير ذلك؛ فعلينا أن نحسن القول والعمل.

٣- معرفة أن المرأة مسئولة عن تصرفاتها، وتجازى بالإحسان إحسانًا (وليس أدل على ذلك من المؤمنة زوجة فرعون مُدّعي الألوهية)، وتجازى بالإساءة خسرانًا وهلاكًا ومهانة (وليس أدل على ذلك من زوجتي النبيين نوح ولوط- عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام).

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾:

أ- قطعت.

ب- خابت وخسرت.

ج- وعيد من الله بالعذاب لأبي لهب؛ لأنه شتم النبي ﷺ.

د- وعيد من الله بالخيبة والخسران لأبي لهب؛ بسبب عداوته للحق.

٢- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، حبل من مسد:

أ- حبل من نار.

ب- ما يفتل فتلاً قويًا من الحبال.

ج- الحبل الذي يشد به الحطب.

د- جميع ما سبق.

٣- خص الله أبا لهب وامرأته بالوعيد دون غيرهما ممن آذوا الرسول ﷺ:

أ- لأن أبا لهب اتخذ موقفًا معاديًا للرسول ﷺ منذ اليوم الأول للدعوة.

ب- لأن امرأته كانت من أشد الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ وللدعوة.

ج- لأنهما كانا جيرانًا للنبي ﷺ؛ فكان الأذى أشد.

د- كانت أم جميل تسعى بالأذى والفتنة والوقيعة.

هـ- كل ما سبق.

٤- ترشدنا السورة إلى:

أ- غضب الله لنبيه ﷺ؛ لما أصابه من إيذاء.

ب- تسبُّب أبي لهب في دخول امرأته النار.

٥- وضحي الإعجاز القرآني في هذه السورة.

٦- وضحي دور المرأة ومسئوليتها في نصرة الإسلام.

* * *

سورة الإخلاص

سورة الإخلاص مكية، وتبدأ بإفراد الله ﷻ بالإلوهية، ثم تُثَنّي بأنه وحده المقصود على الحقيقة في قضاء الحوائج، ثم تنزهه ﷻ عن أن يكون له ولد أو والد، وتختم آياتها بتنزيهه عن الشبيه والنظير والمثيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة بالآيات:

الله أحد: هو واحد لا شريك له، ولا شبيه له.

الصمد: المقصود الذي يحتاج إليه الخلائق، وهو لا يحتاج إلى أحد.

كفوًا: مماثلاً ونظيرًا.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول موضوع:

الوحدانية ونفي فروع الشرك كلها.

هذه السورة القصيرة تعدل ثلث القرآن كما جاء في الروايات الصحيحة، وليس في هذا من غرابة؛ فإن الأحدية التي أمر رسول الله ﷺ أن يعلنها: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. هذه الأحدية عقيدة للضمير، وتفسير للوجود، ومنهج للحياة، وهي التي جمعت درسين مهمين في بضع كلمات، وهما: درس التوحيد، ودرس الإخلاص؛ فهي سورة الإخلاص في اسمها؛ فالتوحيد هو الأصل، والإخلاص ثمراته.

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أي واحد في ذاته، وفي صفاته، لا إله غيره، وكلمة «أحد» توحي بمطلق التفرد، وهو لفظ أدق من لفظ «واحد»؛ لأنه يضيف إلى معنى «واحد» أن لا شيء

غيره معه، وأن ليس كمثله شيء.

وقد ورد في أسباب نزول هذه السورة ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي بن كعب، أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد؛ انسب لنا ربَّك. فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ﴾. ومعنى أن الله أحد: أنه الصمد، وأنه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ولكن القرآن يذكر هذه التفريعات لزيادة التقرير والإيضاح.

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ هو السيد المقصود الذي لا يقضى أمر إلا بإذنه، والله سبحانه هو السيد الذي لا سيد غيره، فهو أحد في ألوهيته، والكل له عبيد، وهو المقصود وحده بالحاجات، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء عمن ناداه.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وليس لله تعالى شبيه يلحقه، فإنه سبحانه لا ولد له، وليس له شبيه يُقدَّم عليه، فإنه ﷻ لم يولد، فهو منزه سبحانه عن أن يكون له مولود ذكر أو أنثى، أو والد أو أم، وبناء على ذلك فحقيقة الله ثابتة أبدية أزلية، لا يغيِّرها حال بعد حال، صفتها الكمال المطلق في جميع الأحوال. والولادة انبثاق وامتداد، ووجود زائد بعد نقص أو عدم، وهو على الله محال، ثم هي تقتضي زوجية، تقوم على التماثل، وهذه كذلك محال.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي لم يوجد له مماثل أو مكافئ، لا في حقيقة الوجود، ولا في حقيقة الفاعلية، ولا في أية صفة من الصفات الذاتية. وهذا كذلك يتحقق بأنه (أَحَدٌ)، ولكن هذا توكيد وتفصيل.

من هنا ينبثق منهج كامل للحياة، منهج لعبادة الله وحده الذي لا حقيقة لوجود إلا وجوده، ولا حقيقة لفاعلية إلا فاعليته، ولا أثر لإرادة إلا إرادته، ومنهج للاتجاه إلى الله وحده في الرغبة والرهبة، في السراء والضراء، في النعماء والبأساء، ومنهج للتلقي عن الله وحده، تلقِّي العقيدة والتصور، والقيم والموازين، والشرائع والقوانين، والأوضاع والنظم، والآداب والتقاليد.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- اليقين بأن الله واحد أحد في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، لا شريك له ولا مثيل،

وهو منزه عن كل ما لا يليق بكماله وعظمته، فنقدم طاعته على كل شيء، وأمره على كل أمر، وحكمه على كل حكم.

٢- وجوب اللجوء إلى الله وحده، فلا نرغب إلا فيما عنده.

٣- معرفة فضل سورة الإخلاص، فنتعود على قراءتها في اليوم ثلاث مرات على الأقل؛ لما لها من عظيم الأجر والفضل. (تعاهديها في أذكار الصباح والمساء وذِكْر ما بعد الصلاة).

٤- ضرورة فهم حقيقة التوحيد، وإقامة حياتنا على أساسه.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- سورة الإخلاص:

أ- نزلت بعد الهجرة. ب- تتحدث بداية السورة عن قدرة الله ﷻ.

ج- تنزه الآيات الله ﷻ عن أن يكون له ولد أو والد.

د- تعدل هذه السورة ربع القرآن.

٢- ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، أحد:

أ- متفرد.

ب- تضيف إلى معنى «واحد» أن لا شيء غيره معه.

ج- ليس كمثله شيء. د- جميع ما سبق.

٣- ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾، الصمد:

أ- السيد الذي لا سيد غيره.

ب-السيد المقصود الذي لا يُقضى أمر إلا بإذنه.

ج-أحد في ألوهيته، والكل له عبيد. د-الذي يغفر الذنوب.

٤- ترشدنا السورة إلى:

أ- التوجه إلى الله وحده، فلا نرغب إلا فيما عنده.

ب- تقديم طاعة الله على كل شيء، وأمره على كل أمر.

ج- المداومة على قراءة سورة الإخلاص يوميًا ثلاث مرات على الأقل.

د- جميع ما سبق.

٥- عرفي معنى الإخلاص.

٦- لماذا هذه السورة تعدل ثلث القرآن؟

٧- دللي على وحدانية الله ﷻ في ذاته وصفاته وأفعاله.

٨- ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. بما توحي كلمة ﴿أَحَدٌ﴾؟

٩- تعلمنا السورة منهجًا كاملاً للحياة. وضحي ذلك.

* * *

سورة الفلق

سورة الفلق مكية، وهي تعلمنا التحصن بالله، واللجوء إليه من كل مخوف، فإنه ﷻ أمان الخائفين، وملاذ المستجيرين، يحميهم ويؤمنهم ويطمئنهم من كل شيء، أو مخلوق، أو مكيدة، أو سحر، أو عين حاسد؛ فالله سبحانه نعم الحصن، ونعم الملجأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة بالآيات:

أعوذ: أعتصم وأستجير. **الفلق**: الصُّبح، أو الخَلْق.

غاسق: الليل. **وقب**: أظلم.

النفاثات في العقد: النساء السواحر يعقدن عقدًا في خيوط، وينفخن فيها؛ ليضروا عباد الله.

حاسد: مَن يتمنى زوال النعمة من غيره، ولا يرضى بما قسمه الله تعالى له.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: السورة تعلِّمنا حصنًا لا يُخترق، هذا التعليم الإلهي مِنَّة ورحمة.

١- السورة تعلمنا حصنًا لا يُخترق:

هذه السورة والتي بعدها توجيه من الله ﷻ لنبيه ﷺ ابتداءً، وللمؤمنين من بعده جميعًا، للعياذ بكنفه، واللياذ بحِماه من كل مخوف؛ خافٍ أو ظاهرٍ، مجهول أو معلوم، على وجه الإجمال، وعلى وجه التفصيل، ومن ثم تبدأ كل منهما بهذا التوجيه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

الفَلَقِ﴾، ﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

وهنا في هذه السورة يذكر الله ﷻ نفسه بصفته التي بها يكون العياذ من شر ما ذكر في السورة: ﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾.. يأمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أن يستجيروا بربهم منشئ الوجود، أو فالق الإصباح، وسواء كان الفلق هو الصبح، أم كان هو الخَلْق، فالاستعاذة برب الخلق الذي يؤمِّن مِن شرِّ خلْقِه.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر خلقه إطلاقًا وإجمالاً.. والاستعاذة بالله هنا من شرّها؛ ليبقى خيرها، فالله الذي خلقها قادر على توجيهها، وتدبير الحالات التي يتضح فيها خيرها لا شرها، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الليل وما فيه.. الليل حين يتدفق فيغمر البسيطة، والليل حينئذ مخوف بذاته، فضلاً عمّا يثيره من توقع للمجهول الخافي من كل شيء، ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ﴾ السواحر الساعيات بالأذى عن طريق خداع الحواس، وهن يعقدن العقد في نحو خيط أو منديل، فينفخن فيها كتقليد من تقاليد السحر والإيحاء.

والسحر لا يغير من طبيعة الأشياء، ولا ينشئ حقيقة جديدة لها، ولكنه يخيل للحواس والمشاعر بما يريده الساحر. هذه هي طبيعة السحر كما ينبغي لنا أن نسلم بها، وهو بهذه الطبيعة يؤثر في الناس، وينشئ لهم مشاعر وفق إيحائه.. مشاعر تخيفهم وتؤذيهم وتوجههم الوجهة التي يريدها الساحر. وعند هذا الحد نقف في فهم طبيعة السحر والنفث في العقد، وهي شرٌّ يستعاذ منه بالله، ويُلجَأ منه إلى حِماه.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ومن شر الحاسد الذي يتمنى زوال نعمة المحسود وإن لم تأته بعد ذلك. وقد يطلق الحسد على العين، فهنا شرٌّ يستعاذ منه بالله.

٢- هذا التعليم الإلهي منة ورحمة:

والله برحمته وفضله هو الذي يوجه رسوله ﷺ وأمته من ورائه إلى الاستعاذة به من هذه الشرور، ومن المقطوع به أنه متى استعاذوا به- وفق توجيهه- أعاذهم وحماهم من هذه الشرور إجمالاً وتفصيلاً.. وقد روى البخاري- بإسناده- عن عائشة رضي الله عنها،

أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾،و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.. وهكذا.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- اللجوء إلى الله والاستعاذة به، وطلب حمايته من كل شيء نخاف منه.

٢- إدراك أن السحر لا يغير من طبيعة الأشياء، وهو محرم، ومن الكبائر، ولا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله تعالى.

٣- معرفة أن العين حق، ومن رغب بالأمان والسلامة؛ فعليه التأسي بفعل الرسول ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما.. إلى آخر الحديث.

رابعًا: أسئلة للتقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تعلمنا سورة الفلق:

أ- أن الله ﷻ نعم الحصن، ونعم الملجأ.

ب- الاستعاذة بالله من شر الخلق ليبقى خيرهم.

ج- السحر شر كبير ولا ينفع أحدًا. د- جميع ما سبق.

٢- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، اعوذ:

أ- أخاف. ب- أعتصم وأستجير.

الفلق:

أ- الصبح. ب- الخلق.

٣- ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ تفيد:

أ- أي من شر جميع الخلق. ب- من شر ما خلق من المخلوقات الشريرة.

ج- من شر ما خلق من الجن والسحرة.

د- لا شيء مما سبق.

٤- ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، حاسد:

أ- من يؤذي الناس بعينه. ب- من يتمنى زوال النعمة من غيره.

ج- من لا يرضى بما قسمه الله تعالى له. د- جميع ما سبق.

٥- كان من هدي النبي ﷺ:

أ- أن يقرأها في اليوم مرات كثيرة. ب- أن يقرأها في الصلاة.

ج- أن يجمع كفيه، وينفث فيهما ويقرأ سور: الإخلاص والفلق والناس، ثم يمسح بيديه ما استطاع من جسده.

د- لا شيء مما سبق.

٦- ترشدنا السورة إلى:

أ- أن نقرأ هذه السورة عند وقوع السِّحر فقط.

ب-لا يضرنا سحر ولا عين إذا حرصنا على قراءة المعوذتين.

ج- السحر لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله. د-جميع ما سبق.

٧- وضحي المقصود بالسورة.

٨- اذكري أهمية التحصين بالله، واللجوء إليه.

* * *

سورة الناس

سورة الناس مكية، وهذه السورة كسابقتها في تقرير حقيقة واحدة، وهي أن الله هو الحصن الأبدي الأقوى بما له من صفات الكمال والجلال، فهو رب كل شيء ومليكه، والإله ذو السلطة المطلق في هذا الكون، فلا مجال لعدو - مهما بلغت قوته وكيده وخفاؤه- أن ينفذ إلى مَن بالله اعتصم، وبحماه استجار.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة بالآيات:

ملك الناس: مالكهم ملكًا تامًّا لا يشاركه فيه أحد.

الوسواس: الذي وسوس للإنسان ليغريه بالعصيان.

الخناس: الذي يختفي ويتأخر إذا ذكر العبدُ ربَّه.

الجِنَّة: الجن.

ثانيًا: المحتوى التربوي في ظلال السورة:

في ظلال هذه السورة نتناول العناصر التالية: يقظة المؤمنة أمام عداوة شياطين الإنس والجن، الموسوسون من الجن والإنس، تحقير شأن الوسواس الخناس.

١- يقظة المؤمنة أمام عداوة شياطين الإنس والجن:

الاستعاذة في هذه السورة برب الناس، ملك الناس، إله الناس، والمستعاذ منه هو: شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ﴾ والاستعاذة بالرب، الملك،

الإله، تستحضر من صفات الله سبحانه ما به يُدْفَع الشر عامة.

فالرب هو المربي والموجه والراعي والحامي، والملك هو المالك الحاكم المتصرف، والإله هو المستعلي المستولي المتسلط.. وهذه الصفات فيها حماية من الشر الذي يتدسس إلى الصدور والناس لا تعرف كيف تدفعه؛ لأنه مستور.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ والله- برحمة منه- يوجه رسوله ﷺ وأمته إلى العياذ به، والالتجاء إليه، مع استحضار معاني صفاته هذه، من شرٍّ خفيٍّ الدبيب، لا قِبَل لهم بدفعه إلا بعونٍ من الرب الملك الإله، فهو يأخذهم من حيث لا يشعرون، ويأتيهم من حيث لا يحتسبون.

٢- الموسوسون من الجن والإنس:

وقد بيَّنت الآيات الصفة أولاً: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، وحددت عمله: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾. وهذا الترتيب يثير في الحس اليقظة والانتباه ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾؛ لتبين حقيقة الوسواس الخناس تأهبًا لدفعه أو مراقبته. والنفس حين تعرف أن الوسواس الخناس يوسوس في صدور الناس خفية وسرًّا، وهو في ذلك كالناس الذين يتدسسون إلى الصدور تدسس الجِنَّة، ويوسوسون وسوسة الشياطين.. النفس حين تعرف هذا تتأهب للدفاع، وقد عرفت المكمن والمدخل والطريق!.

ووسوسة الجِنَّة نحن لا ندري كيف تتم؟ ولكننا نجد آثارها في واقع النفوس، وواقع الحياة، ونعرف أن المعركة بين آدم وإبليس قديمة، وأن الشيطان قد أعلنها حربًا على الإنسان! وأنه قد استصدر بها من الله إذنًا، فأذن فيها ﷻ لحكمة يراها، ولم يترك الإنسان فيها مجردًا من العدة، فقد جعل له من الإيمان جُنَّة (حصنًا)، وجعل له من الذكر عُدَّة، وجعل له من الاستعاذة سلاحًا.

وأما الناس فنحن نعرف عن وسوستهم الشيء الكثير، ونعرف منها ما هو أشد من وسوسة الشياطين! رفيق السوء الذي يتدسس بالشر إلى قلب رفيقه وعقله من حيث لا يحتسب، وحاشية الشر التي توسوس لكل ذي سلطان حتى تتركه طاغية جبارًا مفسدًا في

الأرض، والنمام الواشي الذي يزين الكلام حتى يبدو كأنه الحق الصراح الذي لا مرية فيه، وبائع الشهوات الذي يتدسس من منافذ الغريزة في إغراء لا تدفعه إلا يقظة القلب، وعون الله.. وعشرات من الموسوسين الخناسين الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها، ويدخلون بها من منافذ القلوب الخفية، وهم شرٌّ من الجِنَّة، وأخفى منهم دبيبًا.

٣- تحقير شأن الوسواس الخناس:

وهناك لفتة ذات مغزى في وصف الوسواس بأنه (الخناس)، فهذه الصفة تدل من وجهة على تخفيه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوس، ولكنها من جهة أخرى توحي بضعفه أمام من يستيقظ لمكره، ويحمي مداخل صدره، فهو إذا وُوجِه خنَس وعاد من حيث أتى، وقبَع واختفى.. وهذه اللفتة تقوي القلب على مواجهة الوسواس، فهو خناس ضعيف أمام عدة المؤمن في المعركة، ولكنها- من ناحية أخرى- معركة طويلة لا تنتهي أبدًا؛ فهو أبدًا قابع خانس مترقب للغفلة، واليقظة مرَّةً لا تُغني عن اليقظات، والحرب سجال إلى يوم القيامة.

وتحقيرًا لشأن إبليس وجنوده سميت السورة بسورة الناس، ولكن خطره يستحق الاهتمام، ويحتاج لمزيد من اللجوء إلى الله، والاستعاذة به؛ لأن الاستعاذة تكررت في السورة ثلاث مرات ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ﴾، بينما ذكرت في سورة الفلق مرة واحدة، وهي استعاذة من كل المخلوقات.

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الآيات:

١- اليقين بأن الله هو الملجأ الذي يحتمي به الرسول ﷺ والمؤمنون من كل سوء، فهو ﷻ مالك جميع الخلق.

٢- إدراك أن إبليس أشد أعداء بني آدم، وله أعوان وجنود من الإنس والجن يساعدونه.

٣- معرفة أن الانتباه واليقظة والحذر تُبطِل وتُفشِل تدابير إبليس ومكائده، وكذا بالتسلح بالعدة الإيمانية التي علمها لنا الله؛ لنهزمه وندحره.

٤- إرشاد من يشتكون من وساوس الشيطان إلى حفظ المعوذتين، واعتياد قراءتها والاستعانة بالله ﷻ.

٥- ضرورة مصاحبة الصالحين، والحذر من رفقاء السوء والمفسدين.

٦- علمي أولادك وإخوتك قصار السور، وبيني لهم معانيها، ودربيهم على مداومة قراءتها.

رابعًا: أسئلة التقويم:

اختاري الإجابة الصحيحة (من الممكن أن توجد أكثر من إجابة صحيحة):

١- تتحدث السورة عن:

أ- أن الله هو الحصن الحصين الأبدي الأقوى.

ب- أنه لا مجال لعدو- مهما بلغت قوته- أن يؤذي من اعتصم بالله.

ج- أن الله يغفر جميع الذنوب. د- جميع ما سبق.

٢- ﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ﴾، الوسواس:

أ- هو الإنسان الذي يشك في كل شيء. ب- الذي وسوس للإنسان بالمعصية.

الخناس:

أ- الذي ينخس الإنسان. ب- الذي يختفي ويتأخر عند ذكر الله.

٣- من فوائد الاستعاذة بالله:

أ- الحماية من شر خفي لا يعرف الإنسان كيف يدفعه.

ب- أن الرب هو الراعي والحامي، وهو المالك المتصرف.

ج- الاعتراف لله بالفضل. د- لا شيء مما سبق.

٤- يجب أن يكون المؤمن يقظًا لنفسه:

أ- لأن هناك من يتربص به، ويوسوس له؛ ليغريه بالمعصية.

ب- لأن الشيطان يوسوس في الصدور خفية وسرًا.

ج- لأن الشيطان دائمًا يوسوس في الليل عندما يخلو الإنسان بنفسه.

د- لأننا لا نرى الشيطان عندما يوسوس، بل نرى آثار الوسوسة.

٥- إن وسوسة الشيطان ضعيفة، والدليل على ذلك:

أ- أن الشيطان لا يستطيع مواجهة المؤمن الصادق.

ب- لأنه يخنس عندما يقول المؤمن: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ج- أن الشيطان يترقب غفلة المؤمن. د- جميع ما سبق.

٦- ترشدنا السورة إلى:

أ- أننا في حرب دائمة مع الشيطان، وعلينا أن نتنبه لها.

ب- قراءة سورة الناس عند الخوف من المكروه فقط.

ج- عدم الاكتفاء بالاستعاذة مرة واحدة.

د- حفظ المعوذتين والاستعانة بالله ﷻ.

٧- وضحي المعني الإجمالي للسورة.

٨- اذكري أهمية قراءة السورة.

* * *

الباب الثاني

في رياض

السنة النبوية

المقدمة

قال ﷻ: ﴿قُل إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران:٣١]، ويقول ﷻ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[النساء:٨٠] ويقول ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ والْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[الأحزاب:٢١]، وعن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «.. وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا..»[رواه أحمد].

درسنا في الفصل السابق بعض سور القرآن الكريم، الذي يمثل الدستور العام للمجتمع المسلم، والشخصية المسلمة، وندرس في هذا الفصل بعضًا من جوامع كلامه ﷺ، ولئن كان القرآن هو الدستور الذي يحوي الأصول والقواعد الأساسية للإسلام، من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات وآداب، فإن السنة النبوية المطهرة هي المنهج النبوي المفصل، والبيان العملي في تعليم الإسلام وتطبيقه، وتربية الأمة عليه.. وبناء على ذلك، فيجب علينا اتباعها، والعمل بما فيها من أحكام وتوجيهات؛ فطاعة الرسول واجبة بنص الآية السابقة، كما أنها مجلبة لمحبة الله ﷻ، التي يتحقق بها الفوز والظفر بخيري الدنيا والآخرة.

ونحن في هذا الفصل نريد أن نقتدي بسنة النبي ﷺ؛ بالحرص عليها، والتأسي بها؛ من خلال اتباع ما أمر؛ ففيها الخير كل الخير، ومن خلال الاجتناب والامتناع عمّا نهى، ولنَجعلْ من هذه الطائفة من الأحاديث المختارة مصابيح هداية نستضيء بها، ونسير بها بين الناس، مسترشدين بها إلى حسن الطاعة والاقتداء، من أجل تطبيق أجود، وعمل أصوب للإسلام.

وعلينا أختي الحبيبة:

١- حفظ الحديث بمعانيه.

٢- مدارسة شرح الحديث والآداب التي يدعونا إليها مع المعلمة.

٣- التأدب بأدب الحديث، والعمل بما فيه؛ تأسيًا برسول الله ﷺ.

٤- تعليم الحديث وآدابه إلى غيرنا من الزميلات والأقارب؛ عملاً بقوله ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ بَلَّغَهَا عَنِّي، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» [رواه بن ماجه].

أهداف الباب:

١- زيادة الصلة بسنة رسول الله ﷺ، والتأسي به ﷺ.

٢- التحلي بآداب الإسلام، والالتزام بأحكامه التي تدعو إليها الأحاديث.

* * *

الحديث الأول
النية والهجرة في الإسلام

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ؛ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» [متفق عليه].

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة في الحديث:

النيات: جمع نية، وهي القصد والإرادة.

الهجرة: من الهجر أي الترك، وشرعًا: الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام فرارًا بالدين.

دنيا يصيبها: أي متاعها، ويصيبها أي يُحصِّلها.

ثانيًا: المعنى العام للحديث:

يؤسس هذا الحديث القاعدة التي تبني عليها المؤمنة عملها، وهي تحديد النية من وراء العمل أولاً، فحيث تصلح النية يصلح العمل، وحين تفسد النية يفسد العمل.

كما أن الجزاء متعلق بالنية؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، بل يتعلق بمجرد حصول النية حتى لو لم يحصل العمل.

ثم يضرب لنا مثلاً تطبيقيًّا بالهجرة- وهو مثل واقع زمن الرسول ﷺ، يقرره النبي ﷺ عقب الهجرة، كأنه حصاد هجرة المهاجرين- فمن هاجر إرضاء لله والرسول؛ فهو كذلك، ومن هاجر لغرض من أغراض الدنيا؛ فجزاؤه دنيوي حقير.

فقد روي أن رجلاً هاجر إلى المدينة ليتزوج امرأة اسمها أم قيس، شرطت عليه ألا

تسلمه نفسها للزواج حتى يهاجر، حتى إنه سُمِّي مهاجر أم قيس.

قال الإمام أحمد: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث، منها حديث عمر: (إنما الأعمال بالنيات). وروي عن الشافعي أنه قال: هذا الحديث ثُلُث العلم، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه. وروي عن أبي داود أنه قال: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت ما تضمَّنه هذا الكتاب؛ يعني كتب السنن... ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها (إنما الأعمال بالنيات).

ثالثًا: النية والهجرة في الإسلام.. دراسة موضوعية:

وتشمل هذه الدراسة العناصر التالية: حقيقة النية وحقيقة الإخلاص، أثر النية في قبول الأعمال والانتفاع بثوابها، الرياء مُضيِّع للأعمال وسبب للعقاب، الهجرة درجة من درجات الدين.

١ – حقيقة النية وحقيقة الإخلاص:

النية هي: انبعاث الإرادة الإنسانية لتحقيق غرض مطلوب للإنسان.. وحقيقتها: العزم، لذا لا يسمى همّ الإنسان بشيء نية، كما أن تمني الإنسان عملاً ما بعينه لا يسمى نية، والدليل على تحقق العزم لدى الإنسان اقتران هذه الإرادة بالفعل.

والإسلام حينما يتكلم عن النية، ويؤكد أهميتها، ويعلق عليها جزيل الثواب، فإنما يحدثنا عن النية بهذا المعنى.

أما الإخلاص: فهو جعل هذه الإرادة والعمل كليهما ابتغاء مرضاة الله، ومن ثم يتشكل العمل، وتنضبط صورته على وفق ما يُرضِي الله، بل قد يراجع الإنسان نفسه، ويقلع عن العمل، أو يستبدله إذا تيقن أن مرضاة الله لن تتحقق إلا بالإقلاع عن العمل، أو تغيير صورته.

٢ – أثر النية في قبول الأعمال والانتفاع بثوابها:

الإخلاص شرط مبدئيٌّ لقبول العمل عند الله، بل إنه عندما تطلق كلمة النية في الشرع، فإنه يراد بها النية الخالصة لله فحسب، ثم بعد ذلك يتفاوت الأجر على العمل على

قدر عظم النية وحقارتها. وهذه القاعدة تشمل كل أعمال الحياة، بدءًا من التبسم في وجه الآخرين إلى الجود بالمال والنفس، قال تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا)[الإسراء: ١٩،١٨].

وقد ميز الله بين المجاهدين يوم أُحُدٍ على حسب النية، فقال ﷻ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ومِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقد مدح الله أبا بكر الصديق بإخلاصه، فقال ﷻ: ﴿وسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ۞ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۞ ومَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إلا ابْتِغَاءَ وجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ۞ ولَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الأعلى: ١٧-٢١]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ الله إِيمَانًا بِالله، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [رواه البخاري]، واحتبس فرسًا أي أعد فرسًا للجهاد.

- وسنوضح لكِ هذه القاعدة في الأسطر التالية:

أ- النية تستقلُ بالثواب ولو عجز المرء عن العمل:

إذا نوت المرأة عملاً، واستحضرت ثوابه، وتحقق عزمها بحيث لم يبق إلا تمكنها من الأسباب؛ كتب الله لها أجر هذا العمل إن علم منها الصدق، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» [رواه ابن ماجة].

وقال رسول الله ﷺ في أثناء الرجوع من غزوة تبوك: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ» [رواه البخاري].

ب- النية تحول العادة إلى عبادة:

إذا علمتِ أختنا أنه لابد من تحقيق النية في الفرائض والواجبات التي فرضها الله علينا، فاعلمي أيضًا أن النية تحول العمل المباح (العادة) إلى عمل صالح (عبادة)، له أجر عند الله، فالأكل والشرب واللبس، والتجمل كذلك، إذا كنا نستعين به على طاعة الله،

وأداء واجبنا نحو ربنا وأهلنا وأمتنا، فإننا نُؤجَر عليه، وبينما الرجل يعمل لكسب الرزق، ويؤجر عليه، فالمرأة تؤجر بعمل البيت، وخدمة الضيوف، إن كانت تنوي بعملها أداء واجبها تجاه أسرتها وبيتها، وكلما شقَّ عليها الأمر، وأصابها الضيق من إرهاق أو ملل، فجددت نيتها وعزمها، وعزمت على نيل ثواب ربها؛ زاد إخلاصها وعظمة عملها عند الله، وكذلك مدارسة العلوم المدرسية تتحول إلى عبادة إذا أريد بها وجه الله، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ» [رواه أحمد].

ومن ثم كان عمر ﷺ عنه يقول: «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً».

ج- النية الصالحة لا تفيد إذا كان العمل حرامًا أو مكروهًا:

وإذا كان هذا هو تأثير النية في العادات، فمن المتفق عليه أنها لا تؤثر في الحرام، فحسن النية وشرف القصد لا يحوّل الحرام حلالاً، ولا ينزع منه صفه الخبث، التي هي أساس تحريمه، فمن أكل الربا، أو اغتصب مالاً، أو اكتسبه بأي طريق محظور بنية أن يبني به مسجدًا، أو ينشئ دارًا لكفالة الأيتام، أو يؤسس مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم؛ فإن هذه النية الطيبة لا أثر لها، ولن تخفف من وزر الحرام؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا»[رواه مسلم]، وفي حديث ابن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لاَ يَمْحُو الْخَبِيثَ»[رواه أحمد].

٣- الرياء مضيع للأعمال وسبب للعقاب:

لعل سائلة تقول: إن كان إخلاص النية سبب لجلب الثواب، فهل هناك ضرر من الاستغناء عن هذا الثواب؟

وعلى الرغم من أن هذا الكلام لا يقوله عاقل يعرف أنه يضيع عمره بلا فائدة، نقول: إن انتفاء الإخلاص- وهو الرياء- ليس فقط تضييعًا للثواب، بل إنه تعريض النفس لعقاب الله، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ

يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القرآن لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»

[رواه مسلم].

فالإخلاص إذن فريضة لا فضيلة.

٤ - الهجرة درجة من درجات الدين:

أشار الحديث الذي معنا إلى الهجرة، وهي إحدى درجات ديننا الأربع: الإسلام، الإيمان، الهجرة، الجهاد، وكان لا يقبل من رجل ولا امرأة دينًا، إلا إذا تحققت فيه هذه الدرجات الأربع، كلٌّ على قدر استطاعته وقدراته التي أعطاها الله له.

فلما جاء فتح مكة كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الهجرة إلى المدينة ليكتمل دخولهم في دين الله، فقال ﷺ: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» [رواه مسلم].

لكن ظلت الهجرة باقية كجزء من الدين، وبمعنى آخر، هي - كما قال النبي ﷺ - هجرة الذنوب والمعاصي.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة من الحديث:

١ - اجعلي تحديد النية من وراء العمل أولاً قاعدةً تبنين عليها عملك.

٢- عددي النوايا الصالحة للعمل الواحد؛ ليتعدد الثواب.

٣- ضعي في حسبانك أن تجديد النية وإخلاصها لله قد يحول صورة العمل، أو

يتسبب في تعطله إن كانت به مخالفات.

٤- الهجرة الواجبة عليك هجرة الذنوب والمعاصي، وهي جزء من الدين. اتفقي مع أخواتك على إضافة خانة الهجرة بهذا المعنى في ورد المحاسبة؛ لتتابعن سويًّا ما تعزمن عليه من معاصٍ ستهجرنها ابتغاء مرضاة الله.

٥- احرصي على أن تكون لكِ عبادة سرٌّ بينك وبين الله.

٦- الزمي هذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من أن أُشركَ بك شيئًا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه».

خامسًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي:

* «إنما الأعمال بالنيات........

* أركان قبول العمل ١-........... ٢-...........

* النية هي: ....، والإخلاص:....

* درجات ديننا أربع، هي: ....، ....، ....، ....

٤- أ- النية تستقل بالثواب ولو عجز المرء عن العمل. ب- لا نية مع الحرام.

ما مدى صحة كل عبارة مما سبق، مع الدليل؟

٥- كيف تحولين (مذاكرتك – أعمال المنزل) إلى عبادة؟

٦- اذكري بعضًا من صور الرياء التي تحبط العمل.

٧- دارسي مع أخواتك كتاب «البيت محراب عبادة»، لتَرَيْنَ سويًّا كيف تتحول الأعمال البيتية إلى عبادات باستحضار النية الصالحة والمناسبة.

* * *

الحديث الثاني
الإسْلامُ والإيمَانُ والإحْسَانُ وعلامات الساعة

عَن عُمَر ﷺ أيْضًا قال: «بَيْنَما نَحْنُ جُلوسٌ عِنْدَ رسُولِ الله ﷺ إذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيَابِ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حَتى جَلَسَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ، وقال: يا محمَّدُ، أخْبِرْنِي عَن الإسلام، فقالَ رسُولُ الله ﷺ: الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رَسُولُ الله، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضان، وتَحُجَّ البَيْتَ إنْ اسْتَطَعتَ إليهِ سَبيلاً، قالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنا لهُ؛ يَسْألُهُ ويُصَدِّقُهُ، قال: فَأخْبرنِي عَنِ الإيمَانِ، قال: أنْ تُؤمِنَ بالله وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، قال: صدقت، قال: فأخْبِرنِي عَنِ الإحْسانِ، قال: أنْ تَعْبُدَ الله كأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاك، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ السَّاعةِ، قال: ما المَسْئُولُ عَنْهَا بأعْلَمَ مِن السَّائِلِ، قال: فأخْبِرْنِي عَنْ أمَارَتِها، قال: أن تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُون في البُنْيانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قال: يا عُمَرُ، أتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ ورسُولُهُ أعلَمُ، قال: فإنَّهُ جِبْرِيلُ، أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ» [رواه مسلم].

أولاً: تفسير بعض المفردات في الحديث:

«ووضع كفيه على فخذيه»: أي فخذي نفسه كهيئة المتأدب. وفي رواية النسائي: «فوضع يديه على ركبتي النبي ﷺ». والرواية الأولى أصح وأشهر.

«فعجبنا له يسأله ويصدقه»: أصابنا العجب من حاله وهو يسأل سؤال العارف المحقق المصدق، أو عجبنا لأن سؤاله يدل على جهله بالمسئول عنه، وتصديقه يدل على علمه به.

«أماراتها»: بفتح الهمزة جمع أمارة: وهي العلامة. والمراد علاماتها التي تسبق قيامها.

«الأمة»: الأنثى من الرقيق، وتقال أمة الله لكل أنثى.

«ربتها»: سيدتها. وفي رواية «ربها» أي سيدها.

«العالة»: جمع عائل، وهو الفقير.

«فلبثتُ»: انتظرت.

«مليًّا»: وقتًا طويلاً؛ أي غبت عن النبي ﷺ ثلاث ليالٍ- كما في رواية- ثم لقيته.

ثانيًا: المعنى العام للحديث:

قال ابن دقيق العيد: هذا حديث عظيم اشتمل على جميع وظائف الأعمال الظاهرة والباطنة، وعلوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه؛ لما تضمنه من جمعه علم السُّنة، فهو كالأم للسُّنة؛ كما سميت الفاتحة «أم القرآن»؛ لما تضمنته من جمعها معاني القرآن.

فقد أرسل الله جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين ليعلمهم رءوس الدين وأركانه، في صورة السؤال والجواب؛ ليشمل الدرس أيضًا طلب العلم وآدابه، فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة.

ثالثًا: موضوعات الحديث.. دراسة موضوعية:

تشمل هذه الدراسة المبسطة العناصر التالية: حقيقة الإسلام وأركانه، حقيقة الإيمان والعلاقة بينه وبين الإسلام، حقيقة الإحسان وعلاقته بالإسلام والإيمان، الساعة وأماراتها، طلب العلم والسؤال عن الدين.

١- حقيقة الإسلام وأركانه:

الإسلام لغة: الانقياد والاستسلام.

وشرعًا: الاستسلام لكل ما جاء به النبي ﷺ وعُلِم من الدين بالضرورة، والانقياد له.

وهو مبني على أركان خمسة، جعلها النبي ﷺ هي حقيقة الإسلام في هذا الحديث، وهي:

أ- شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. وهي مفتاح الدخول في الإسلام.

ب- إقام الصلاة؛ بأدائها في أوقاتها المشروعة، واستكمال جميع أجزائها. وهي الركن

الذي لا يسقط عن فرد بحال من الأحوال، إلا العذر في أيام معدودة.

ج- د- هـ- إيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، ولكل ركن من هذه الأركان شرائط لوجوبه على الفرد، قد يُعذر في عدم القيام به، ليبقى المعذور يترقب في نفسه الاستطاعة واستكمال الشروط؛ ليقوم بالأركان كلها.

٢- حقيقة الإيمان والعلاقة بينه وبين الإسلام:

الإيمان لغة: التصديق.

وشرعًا: التصديق القلبي بما أمرنا أن نصدق به من أركان، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وهنا نلاحظ الفرق بين الإيمان والإسلام؛ فالإسلام استسلام يشمل الأعمال الظاهرة، والإيمان تطويع القلب، فهو يشمل إصلاح الباطن، ومن ثم يحاسب الإسلام الناس على الإسلام وأركانه في الدنيا، أما الإيمان فحسابه عند الله.

والإسلام بهذا المعنى هو الدرجة الأولى في الدين، والإيمان الدرجة التي تليه، ولا يصح أن يقال مؤمن ومؤمنة إلا إذا استكملت الدرجتين معًا: تصديق القلب، وعمل الجوارح.

٣- حقيقة الإحسان وعلاقته بالإسلام والإيمان:

الإحسان: تجميل الأعمال وتزيينها بفعل ما يزيد على الواجب، وقد عرَّفه النبي ﷺ هنا بما يساوي أعلى درجات المراقبة لله، من حيث إنها ستؤدي إلى الإحسان **«أنْ تَعبُدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ»**، أي تخلص في عبادة الله وحده مع تمام الإتقان كأنك تراه وقت عبادته، فإن لم تقدر على ذلك، فتذكر أن الله يشاهدك، ويرى منك كل صغير وكبير. وفي رواية للإمام مسلم: **«أن تخشى الله كأنك تراه»**.

وعبادة الله حالة نستشعر أننا نراه تجعلنا نخشاه، ونستحيي منه، ولكل من الخشية والحياء مكانة متميزة من منازل الإيمان، وينتج عنهما العمل، من صلاة وصيام وبر وغيرها، على أفضل صورة ممكنة، فتكون المؤمنة جمعت بين الفرض والتطوع دون استثقال؛ لوجود حافز كبير يجعلها تقاوم وساوس النفس، وهذا الحافز هو قول النبي

ﷺ: «كأنك تراه».

وهنا تتضح لنا العلاقة بين الإحسان ودرجتي الإسلام والإيمان:

أن الإيمان إن كان لا يصح إلا بإقرار اللسان، وتصديق القلب، وعمل الجوارح، فإن الإحسان هو إتقان هذه الأعمال كلها؛ لتصبح المؤمنة من مجرد مصدقة بقلبها إلى موقنة راسخة في الإيمان، وأداؤها الطاعات يتحول من مجرد ممارسة للفرائض إلى ارتياح واشتياق للطاعات، فلا تكتفي بالفريضة منها، بل تزيد؛ ليزيد الله لها العطاء، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٤ - الساعة وأماراتها:

علم وقت قيام القيامة مما اختص الله بعلمه، ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه ملكًا كان أو رسولاً، ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، ولكنه أجابه عن بعض أماراتها التي تسبقها، وتدل على قربها، مثل:

أ- فساد الزمن، وضعف الأخلاق، حيث يكثر عقوق الأولاد ومخالفتهم لآبائهم، فيعاملونهم معاملة السيد لعبيده.

ب- انعكاس الأمور واختلاطها، حتى يصبح أسافلُ الناس ملوكَ الأمة ورؤساءها، وتسند الأمور لغير أهلها، ويكثر المال في أيدي الناس، ويكثر البذخ والسرف، ويتباهى الناس بعلو البنيان، وكثرة المتاع والأثاث، ويُتعالى على الخلق، ويملك أمرهم من كانوا في فقر وبؤس يعيشون على إحسان الغير من البدو والرعاة وأشباههم.

٥ - طلب العلم والسؤال عن الدين:

ينبغي على المسلمة تسأل عمَّا ينفعها في دنياها أو آخرتها، وتترك السؤال عمَّا لا فائدة فيه، فتسأل أهل العلم الثقات، رجالاً أو نساء، وتعرف آداب التعلم وتحققها، ومن هذه الآداب التي تمثلت في جبريل عليه السلام:

أ- إلقاء السلام، والاستئذان. وفي رواية أنه قال: أأدنو يا رسول الله؟ قال: «ادْنُ».

ب- حسن الهيئة والمظهر.

ج- التواضع، والتزام كل أدب في الحوار والنقاش ترتضيه النفوس الطيبة.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- مشروع طلب العلم: الاتفاق على حضور درس مسجدي أسبوعي في جانب من العلوم الشرعية لدى شيخ أو شيخة من المتخصصين، وتطبيق آداب طلب العلم سالفة الذكر وغيرها.

٢- التعرف على علامات الساعة الصغرى والكبرى (ورقة بحث، أو جلسة عصف ذهني ونقاش).

٣- مشروع الوصول إلى درجة الإحسان (عمل ورد محاسبة لعدد من الأعمال التي ترتقي بإيماننا، وتوصلنا لدرجة الإحسان والمراقبة، مع متابعة ذلك بين الزميلات).

خامسًا: أسئلة للتقويم:

١- لهذا الحديث مكانة عظيمة بين الأحاديث تستوجب العناية بتعلمه وتعلم ما فيه.

إلى أي مدى توافقين العبارة السابقة؟ ولماذا؟

٢- أكملي كما جاء في الحديث:

- الإسلام هو:.... الإيمان هو: ... الإحسان هو: ...

- السائل في الحديث هو:... ومن أوصافه: ....، ... .، ... وسبب مجيئه تعليم المؤمنين:...

٣- (أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وأَنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُون في الْبُنْيانِ).

ماذا تعني العلامتان اللتان ذكرهما النبي ﷺ للساعة في الحديث؟

٤- في أي موضع من الحديث تجدين المعاني التالية:

آداب للتعلم- أسلوب من أساليب التربية الناجحة- اهتمام الإسلام بحسن الهيئة.

٥- اذكري حديثًا يبين أن الإحسان يشمل جميع الأعمال، وليس العبادات فقط.

الحديث الثالث
أطوار الخلق والسعادة والشقاوة

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» [متفق عليه].

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة في الحديث:

يجمع: يضم ويحفظ.

نطفة: أصل النطفة الماء الصافي، والمراد هنا: المَنِيّ

علقة: قطعه دم لم تيبس.

مضغة: قطعه لحم.

شقي: الشقي من مات على الكفر واستوجب النار، وضده: السعيد.

ثانيًا: المعنى العام:

هذا الحديث متفق على صحته، وهو حديث عظيم جامع لجميع أحوال الإنسان، إذ فيه حال مبدئه، وهو خلقه، وحال ميعاده، وهو السعادة أو الشقاء، وما بينهما، وهو الأجل، وما يتصرف فيه، وهو الرزق.

فقد خلقنا الله في بطون أمهاتنا أطوارًا، كل طور له قدَر محدد، وزمنه ووصفه... وكل

مرحلة تستكمل سابقتها، لتأتي المرحلة الفاصلة (نفخ الروح)؛ ليدبر مجمل أمره في حياته كلها: الأجل، والرزق، وحاله من الشقاوة أو السعادة.

ومعرفتنا بهذه الأقدار التي كتبها الله علينا سلفًا تجعلنا نطمئن إلى أن أرزاقنا وآجالنا بيد الله، فلا نتهاون في أداء الواجب علينا تجاه أنفسنا وديننا ومجتمعنا، بل إنه أدعى لئلا نغتر بعملنا يومًا ما، فلا اطمئنان إلا عند رؤية الجنة، والعبرة بالخواتيم.

ثالثًا: أطوار الخلق والسعادة والشقاوة.. دراسة موضوعية:

نتناول في هذه الدراسة الموضوعات التالية: مراحل تكون الجنين، نفخ الروح وما يتعلق به، السعادة والشقاوة وتحديد المصير.

١ - مراحل تكون الجنين:

يتقلب الجنين في بطن أمه ثلاثة أطوار في مائة وعشرين يومًا، في كل أربعين يومًا منها طور مختلف:

أ- يكون في الأربعين الأولى نطفة.

ب- ثم في الأربعين الثانية علقة: وهي قطعه من الدم.

ج- ثم في الأربعين الثالثة مضغة: وهي قطعه من اللحم، وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التي تمضغ.

وهي مراحل يشهد فيها الجنين نموًّا تدريجيًّا دقيقًا يبدأ بالأعضاء الكبيرة، وينتهي بأدق الأعضاء، فلا تكاد تنسلخ هذه المدة حتى يكون مؤهلاً لاستقبال الروح.

وفي خلق الله ﷻ الإنسان بهذا الترتيب، ووفق هذا التطور والتدرج من حال إلى حال- رغم قدرة الله ﷻ على إيجاده كاملاً في أسرع لحظة- درسٌ يؤكد لنا:

١- انتظام خلق الإنسان مع خلق كَوْنِ الله الفسيح وفق أسباب ومسببات ونتائج.

٢- إقرار سنة التدرُّج، وأنها سبيل لكل بناء أو تغيير، ونحوهما من الأعمال والمهام العظيمة.

٢- نفط الروح وما يتعلق به:

ثم يصور الله تلك المضغة ويشق فيها السمع والبصر والفم والشم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، ثم بعد المائة والعشرين ينفخ فيه ملك الروح. وقد جمعت هذه الأطوار في قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا، فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾

[المؤمنون: ١٢-١٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ يدلنا على أن هذه المرحلة تختلف عن سابقتها شكلاً ومضمونًا، إنها المرحلة الفاصلة الأولى التي يلصق فيها بالجنين حقوق تراعى، فيجب رعايته كرعاية الحي، وحفظ هذه الأمانة (الروح) التي ألصقت فيه.

كما أنها مرحلةٌ يُثبت اللهُ أمامَ المَلَك ما في علمه ﷻ من الأقدار التي تحدد الخطوط العريضة التي يسير فيها هذا المخلوق، ليخرج إلى الدنيا وهو في كنف الله ورعايته، ليس عليه إلا ما أُمِر به من العبادة فحسب: «مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ»[الذاريات: ٥٧]، فيُرسل إليه مَلَكٌ من الله يكتب له هذه الكلمات الأربع: عمله، رزقه، أجله، شقي أو سعيد.

٣- السعادة والشقاوة وتحديد المصير:

إن الله تعالى يعلم أحوال الخلق قبل أن يخلقهم، فما يكون منهم شيء من إيمان وطاعة، أو كفر ومعصية، أو سعادة، أو شقاء، إلا بعلمه تعالى وإرادته، ثم يُثبت الله هذه الأحوال عندما ينفخ في الجنين الروح.

وعلم الله لا يرفع عنا الحرية في اختيار طريقنا من خير أو شر، إذ لا يعلم أحد ماذا قُدِّر له في أم الكتاب. وقد أمر الله تعالى الخلق بالإيمان والطاعة، مما يؤكد إرادة الإنسان، قال تعالى: ﴿ونَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.

وهذا السؤال: هل نحن مخيرون أم مُسيَّرون؟ حيَّر الكثيرين، وقد أمرنا الرسول ﷺ ألا نسمح بالكلام فيه، وأن نتجه للعمل، فعن علي بن أبي طالب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجُنَّةِ وَالنَّارِ، وَإلاَّ قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ الآيَةَ [رواه البخاري].

والذي ينبغي أن نتعلمه هنا من الحديث: التنبه إلى ظاهرة تقلب القلوب، وألا تنخدع إحدانا إذا رأت أنها تسير في إطار الصلاح والالتزام، مهما زاد قدرها، وطال التزامها، وإنما ترقب وتدعو بحسن الخاتمة، وتسعى لها، ويظل حالها مع الله هو التعلق بين الخوف والرجاء. ومن جانب آخر، لا تنظر الملتزمة إلى أهل المعاصي أو الكفار على أنهم لا محالة في النار، بل ترقب الخير لهؤلاء، ويكون دافعًا لها على التكثيف من الدعوة للإسلام وقيمه، دون أن تستثني أحدًا، وكلٌّ على قدر استعداده وفهمه.

ولعل الذي يعمل بعمل أهل الجنة يفعله فيما يبدو للناس، لكنه ذو طاوية خبيثة، ونية فاسدة.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- التأمل في خلق الإنسان، واستشعار عظمة الله في هذا الخلق. (عمل لقاء يتم فيه عرض فيلم تسجيلي عن هذا الموضوع).

٢- مدارسة عدد من الشخصيات التي كانت لها حسن خاتمة، والتعرف على نهجهم في الحياة. (تحدد كل واحدة صورة الخاتمة التي تتمناها، وماذا تفعل كي تصل إليها؟).

٣- الإكثار من سؤال الله تعالى حسن الخاتمة، والاستعاذة به من سوئها، والإكثار من دعاء الرسول ﷺ: «**اللهم يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك**».

٤- توجيه كل من يتكلم في الجبر والاختيار إلى العمل، وعدم السماح بالنقاش في هذه المسألة أبدًا.

٥- إعادة النظرة إلى من ندعوهم، فلا نحكم على أحد بالفشل مهما بدت منه معصية أو انحراف.

خامسًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي الحديث: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.......».

٢- اذكري أطوار خلق الإنسان كما بينها الحديث.

٣- ما الذي نتعلمه من خلق الإنسان في أطوار متدرجة؟

٤- ماذا تفعلين إذا:

* سألتك إحدى صديقاتك: لماذا نعمل وقد كتبت أعمالنا في أم الكتاب سابقًا؟

* رأيت مجموعة من زميلاتك يتحدثن عن زميلة لهن ويقلن: هذه لن تدخل الجنة أبدًا.

٥- اذكري الدعاء المأثور عن الرسول ﷺ للثبات على الدين.

٦- وضحي المقصود بأن الإنسان مُخير في بعض الأمور، ومُسيَّر في البعض الآخر؟

٧- ناقشي مع زميلاتك حسن الفهم لموضوع القضاء والقدر على ضوء قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

* * *

الحديث الرابع
رد المحدثات في الدين

عن أم المؤمنين أم عبد الله، عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» [متفق عليه].

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة في الحديث:

أحدث: أنشأ واخترع من قِبَل نفسه وهواه.

أمرنا: ديننا وشرعنا.

رد: مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به.

ثانيًا: المعنى العام:

يعد هذا الحديث أصلاً عظيمًا من أصول الإسلام، فهو ميزان للأعمال في ظاهرها، فكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله؛ فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله؛ فليس من الدين.

فلنعرف أصول أحكام ديننا، ولنسأل عن كل ما يستجد من الأمور التي تتعلق بالدين: ألها أصل يرجع إليه فنقرها، أم لا أصل لها فننكرها ونحاربها؟

ثالثًا: رد المحدثات في الدين.. دراسة موضوعية:

نتناول في هذه الدراسة العناصر التالية: حقيقة الإحداث في الدين، الميزان الذي نعرف به المحدثة أو البدعة، موقف المسلمين من المحدثات وأصحابها، صور من البدعة الحسنة والسيئة.

١ - حقيقة الإحداث في الدين:

الإحداث: الإتيان بشيء جديد لا مثال له موجود قبله، ويقال للخصلة المنشأة: محدثة وبدعة، سواء كانت محمودة أو مذمومة. أما الشرع فقد خصص البدعة والمحدثة للشيء المذموم المعاقب فاعله، وفي الحديث: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ» [رواه مسلم].

فبينما تتعاقب الأجيال المسلمة جيلاً وراء جيل، ويقل التفقه في الدين، وتضعف الهمم عن سؤال أهل العلم الثقات، وهم قلائل يعز الوصول إليهم أحيانًا، يتوجه الناس- بدافع الخير- للتصرف المباشر في أمور الدين، وتنفيذ رغباتهم وأهوائهم في العبادات والقربات إلى الله، فتعجبهم، فيداومون عليها، فيراهم غيرهم فيعجبهم شأنهم، فيقلدونهم بلا بحث عن دليل، فتثبت البدعة وتنتشر، كما تكون البدعة من البعض بقصد الإفساد في الدين، وفتنة المسلمين في دينهم.

هذا كله جعل الغيورين على الدين، العالم وغير العالم، يقلق من المحدثات، وباختلاف الطبائع والأفهام اختلف الحكم على المحدثات..

٢ - الميزان الذي نعرف به المحدثة أو البدعة:

بالتدقيق في الحديث نجد أن البدعة هي التي تكون في أصل من أصول الدين، ويقصد بها القرب إلى الله تعالى، فتخالف الشرع.

فما كان من أمر من أمور الدنيا أو المعاملات، فلا يدخل في معنى البدع، لذا نفرق بين العيد الذي يحتوي على مراسم دينية ثابتة (كالتكبير، والصلاة، والأضحية، والحج)، وبين الاحتفال الذي يكون فيه تجميع الناس على عادة دنيوية (كطعام، أو ملاهٍ)، حتى ولو سمي عيدًا (كذكرى الميلاد).

كما لا توصف بالبدعة الهيئات التي يجدد بها البعض إحياء السنن التي غفل عنها الناس، طالما كان لها أصل يرجع إليه في الشرع، فقد جدد عمر ﷺ صلاة التراويح في

رمضان، وحوَّلها إلى جماعات دائمة مستمرة، ولم يستمر النبي ﷺ عليها، ولم يفعل ذلك الفاروق إلاَّ لأن رسول الله ﷺ أسس لها قاعدة.

ولعلنا فهمنا كيف سمى البعض أنواعًا من البدع: حسنة. قال الإمام الشافعي: البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة محمود، وما خالف السنة مذموم. كما أننا نفهم أيضًا لماذا يقول آخرون: ليس في الدين بدعة حسنة؛ لأنه لا يُسمِّي ما يخرج عن مفهوم البدعة (كالحفل) بدعة أصلاً.

٣- موقف المسلمين من المحدثات وأصحابها:

متى تيقن أحد من وجود بدعة حقًّا- بالتحري عنها، وسؤال الراسخين في العلم- وجب إنكارها بالطرق الشرعية أفرادًا أو جماعات، ونهي أصحابها عنها، وقمْع انتشارها، وتوعية الناس لئلا يقعوا فيها، دون تفريق بين حسن النية أو سوئها، بل ويجب التحذير من أن يكون بيننا من يثير فتنة، يقول الإمام البنا: كل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه، ضلالةٌ تجب محاربتها، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها.

ومما ينبغي التنبه إليه أنه إذا كانت هناك مستحدثات محمودة، إلا أنها قد يدخل عليها ما يخالف الشرع؛ كاللهو بالحرام، أو التشبه بغير ملة الإسلام، فيجب تنقية العمل من هذه المخالفات، وإلاَّ يمتنع العمل كله؛ لأن دفع الضرر مقدم على جلب المنافع.

٤- صور من البدعة الحسنة والسيئة:

من صور الابتداع الحسن: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في مصحف واحد، وكتابة نسخ منه وإرسالها إلى الأمصار في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

ومن صور الابتداع السيئ:

١- **في العبادات:** ما كان منها خارجًا عن حكم الله ورسوله ﷺ بالكلية؛ فهو مردود على عامله، ومن تقرَّب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله ﷺ قربة إلى الله؛ فعمله باطل مردود عليه، ومن ذلك: «من تقرب إلى الله تعالى بسماع اللهو وبالرقص، كما يحدث في

بعض حلقات الذكر التي يضرب فيها بالدفوف، خاصة عند المساجد التي يوجد بها أضرحة أولياء الله الصالحين، وكذلك من تقرب بعبادة نُهي عنها؛ كمن صام يوم العيد.

٢- **المعاملات**: كالعقود والفسوخ، ما كان منها مغيرًا للأوضاع الشرعية، مثل جعل حد الزنى عقوبة مالية.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- يكثر الكلام حول عدد من الأعمال التربوية، والأنشطة الدعوية على أنها من البدع، مع أنها عرضت على عدد لا بأس به من الفقهاء وأقروها. ناقشي مع زميلاتك أشهر هذه الصور، وأدلة تشريعها؛ ليطمئن قلبك لما تعملين.

٢- للأسف من الممكن أن تتواجد البدعة في البيئة التي حولنا ونعتاد رؤيتها بلا استنكار. فهل تذكرين في الدوائر المحيطة بك شيئًا منها، وماذا تنوين أن تفعلي لصدها؟ ناقشي مع زميلاتك.

خامسًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي الحديث: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا.... ».

٢- عرفي البدعة، وقارني بين البدع المذمومة والمحمودة.

٣- الإسلام دين اتّباع لا ابتداع.. وضحي ذلك.

٤- عددي بعض الأمثلة للأعمال المستحدثة المخالفة لشرع الله، وبعض الأعمال المستحدثة التي لا تخالف شرع الله.

٥- اذكري بعض الأعمال المردودة.

٦- لا يجب تغيير المنكر بمنكر أشد منه. استدلي من رسائل الأستاذ البنا على فهم هذه القاعدة الفقهية.

* * *

الحديث الخامس
الحلال والحرام والمتشابهات

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألاَ وَإنَّ لكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألاَ وَإنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ، ألاَ وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ»[متفق عليه].

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة في الحديث:

بيِّن: ظاهر.

مشتبهات: جمع مشتبه، وهو المشكل؛ لما فيه من عدم الوضوح في الحل والحرمة.

لا يعلمُهُنَّ: لا يعلم حكمها.

اتقى الشبهات: ابتعد عنها، وجعل بينه وبين كل شبهة وقاية.

الحِمَى: المحمي، وهو المحظور على غير مالكه.

مضغة: قطعة من اللحم قدر ما يمضغ في الفم.

يرتع فيها: تأكل منه ماشيته وتقيم فيه.

ثانيًا: المعنى العام:

هذا الحديث واحد من أصول الدين العظيمة وقواعده، يعلمنا فيه النبي ﷺ - بأسلوب عملي مبسط - كيف نزن السلوكيات والتصرفات التي تواجهنا بميزان الإسلام؟

فالأمر الذي يواجهنا ونتعرض له يدخل تحت واحد من أمور ثلاثة:

أ- حلال واضح نعرفه، فنأتيه بلا حرج.

ب- حرام واضح نعرفه، فنتركه بلا تردد.

ج- مشتبه علينا لا نعرف هل هو حلال أم لا، فهو بين الأمرين، من تركه فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فيه استدرجه حتى يقع في الحرام. وهذا مثله مثل الراعي يرعى في الحشائش المحيطة بحمى ملك من الملوك، فإن كان ليس عليه عقاب، إلا أنه يواجه خطر الرعي في الحمى، واستحقاق عقاب الملك.

وهذا ليس مجرد مثل يقرب الصورة، بل إنه أقرب للحقيقة، فلكل ملك من الملوك حمًى، وملك الملوك جلَّ وعلا حِماه في الأرض ما حرمه، وحده بحدود (فلا تعتدوها).

أما إذا أردنا أن نعالج الداء من جذوره، ونضبط معاملاتنا كلها وأخلاقنا وتصرفاتنا، فلا ننظر إلى مجرد السلوك الصادر من أحد الجوارح من لسان أو عين أو غيرهما، بل ننظر إلى الأصل – مربط الفرس – القلب، فإن أصلحناه صلحت سائر الأعضاء، وإلا فسد وفسدت معه سائر الأعضاء.

ثالثًا: الحلال والحرام والمتشابهات.. دراسة موضوعية:

نتناول في هذه الدراسة المبسطة العناصر التالية: الحلال والحرام والمتشابهات، موقفنا من المتشابهات، من أسباب الاشتباه، أهمية العناية بإصلاح القلب لمواجهة الشبهات.

١ - الحلال والحرام والمتشابهات:

قلنا أن النبي ﷺ قسم الأمور إلى ثلاثة أقسام: حلال، وحرام. وهذان قسمان واضحان؛ فالحلال: هو ما لا أثم من فعله، كأكل الخبز، والكلام، والمشي.

والحرام: ما يأثم الإنسان بفعله، مثل: شرب الخمر، والزنى، والتبرج، والخلوة بين الجنسين.

وأما القسم الثالث، فهو المتشابه، الذي يشتبه حكمه.. هل هو من الحلال أم من الحرام؟ ويخفى حكمه على الكثير من الناس، لكن الراسخون في العلم يعلمونه، فقد أنزل الله تعالى على نبيه الكتاب، وبيَّن فيه للأمة الحلال والحرام، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل: ٨٩]، وما قبض الرسول ﷺ حتى أكمل الله له ولأمته الدين، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقال ﷺ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ؛ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ» [رواه ابن ماجة].

٢- موقفنا من المتشابهات:

المتشابهات ليست عين الحرام ليقال أنها حرام، ولا حلال فيقال أنها حلال، وقد اختلف العلماء في حكمها، إلا أن النبي ﷺ أوضح لنا طريقة التعامل مع هذا النوع من الأمور، وأبرز لنا قاعدة هامة هي: الورع، ومن الورع ترك الأمور المتشابهات.

وترك الشبهات كعدم التردد على الأماكن التي تنتهك فيها حرمات الله، وعدم الدخول في معاملات بها شبهة، أو خالطها ربًا.

والتورع هنا مبني على قاعدة أهم، وهي: ضرورة الاستبراء للدين والعرض، ومن اتقى الشبهات فعل هذا الاستبراء، قد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إني أحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها، وقال الحسن البصري: مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا الحلال مخافة الحرام».

ومن وقع في المشتبهات أوشك أن يقع في الحرام، فبممارسة الشيء المشتبه يجد نفسه تسوقه إلى الحرام؛ فيأثم ويهلك.

٣- من أسباب الاشتباه:

١- **قلة العلم**: فقلة العلم توجب الاشتباه؛ لأن واسع العلم يعرف أشياء لا يعرفها الآخرون.

٢- **قلة الفهم**: أي ضعف الفهم، وذلك بأن يكون الشخص صاحب علم واسع كثير، لكنه لا يفهم، فهذا تشتبه عليه الأمور.

٣- **التقصير في التدبر**: بألا يتعب نفسه في التدبر والبحث ومعرفه المعاني.

٤- **سوء القصد**: بألا يقصد الإنسان إلا الانتصار لنفسه، وهذا من أعظم المفاسد.

٤- أهمية العناية بإصلاح القلب لمواجهة الشبهات:

الانغماس في الشبهات أو التورع عنها، فضلاً عن الحرام، وتحري الحلال، كلها سلوكيات وأفعال الجوارح، وما من سلوك إلا ويصدر نتيجة قناعات ومعتقدات، والعاقل لا يهتم بعلاج السلوك، وينسى علاج المعتقدات، فمن استطاع أن يغير معتقد إنسان استطاع أن يملك سلوكه، ولذا مكث النبي ﷺ عهده المكي يبني عقيدة الصحابة ليبني بعدها سلوكياتهم.

فإذا أردت علاج تصرفاتك، أو توجيه غيرك لإصلاح سلوك ما، فانظري للأصل، وهو القلب، فكما قال النبي ﷺ هو مضغة في الجسد، إذا صلح صلُح سائر الجسد، والعكس بالعكس.

والمراد من الحديث صلاح القلب المعنوي، والمقصود منه صلاح النفس من داخلها، حيث لا يطلع عليها أحد إلا الله تعالى، وهي السريرة، والقلب السليم هو عنوان الفوز عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

ثالثًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- احرصي على تحري الحلال، فإذا اشتبه عليك أمر، حلال هو أم حرام؟ فتجنبيه حتى يتبين لك أنه حلال.

٢- لا تضعي نفسك في مواقف تدفع الآخرين لسوء الظن بك.

٣- ابدئي بإصلاح قلبك دائمًا حتى يستقيم على ما ينبغي أن يكون عليه.

٤- داومي على قول: «الله مطلع علي.. الله ناظر إلي.. الله يراني، اللهم إني أسألك قلبًا سليمًا».

رابعًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي الحديث: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ.....».

٢- قسم النبي ﷺ مواقف الإنسان في قيامه ببعض الأعمال إلى ثلاثة أقسام.. ما هي؟

٣- وضحي المقصود بالمشتبهات.

٤- قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. اشرحي هذه الآية الكريمة في ضوء ما فهمت من الحديث.

٥- اذكري معنى الورع.

٦- عددي بعض الأمور التي تتسبب في الوقوع في الشبهات.

٧- عددي مع زميلاتك عددًا من صور الأمور المشتبهات.

***

الحديث السادس
منهج المسلمة في اتباع الرسول ﷺ

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» [متفق عليه].

أولاً: تفسير بعض المفردات الواردة في الحديث:

نهيتكم عنه: طلبت منكم الكفَّ عن فعله، والنهي: المَنْع.

فاجتنبوه: اتركوه.

فأتوا: فافعلوا.

ما استطعتم: ما قدرتم عليه، وتيسر لكم فعله دون كبير مشقة.

أهلك: صار سبب الهلاك.

كثرة مسائلهم: أسئلتهم الكثيرة، لاسيما فيما لا حاجة إليه ولا ضرورة.

ثانيًا: المعنى العام:

هذا الحديث يرسم لنا منهجًا لاتباع أوامر الشرع ونواهيه، وتطبيق الشريعة، يتبين هذا المنهج ويتضح أكثر من الرواية الأخرى التي تذكر سبب الحديث، فعن أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء

فدعوه»[رواه ابن حبان]. فنزلت في هذا المعنى الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[المائدة: ١٠١].

ثالثًا: منهج المسلمة في اتباع الرسول ﷺ.. دراسة موضوعية:

نتناول في هذه الدراسة العناصر التالية: اجتناب ما نهى الله عنه، السداد والمقاربة في الأوامر، القصد وترك كثرة السؤال والجدال العقيم.

١ - اجتناب ما نهى الله عنه:

أول خطوة للنجاة باتباع هدي النبي ﷺ هي الامتناع التام عن كل ما نهانا عنه، فالنهي أشد من الأمر، ولم يُرخَّص في ارتكاب شيء منه؛ كالسرقة، والزنى، والرشوة، والربا، ولا مجال للاحتيال على الإتيان بشيء منها، فلا تسمح المؤمنة لنفسها بالتساهل في بعض الخلوة، أو الرشوة، أو شيء مما نهيت عنه، لأي عذر من الأعذار.

والمنهيات نوعان:

- **نهي التحريم**: ومن أمثلة ذلك النهي عن الزنى، وشرب الخمر، وأكل الربا، والسرقة، وقتل النفس بغير حق، فمثل هذه المنهيات يجب اجتنابها دفعة واحدة، ولا يجوز للمُكَلَّف فعل شيء منها، إلا إذا ألجأته إلى ذلك ضرورة، بقيود وشروط بيَّنها شرع الله تعالى المُحكم.

- **نهي الكراهة**: ومن أمثلة ذلك النهي عن أكل البصل أو الثوم النِّيِّئ لمن أراد حضور صلاة الجمعة أو الجماعة، فمثل هذه المنهيات يجوز فعلها، سواء دعت إلى ذلك ضرورة أم لا.

٢ - السداد والمقاربة في الأوامر:

والخطوة الثانية في طريق النجاة هي محاولة فعل الأوامر بتمامها، وهو طلب السداد، أو بعبارة أخرى: طلب المثالية، فإن لم نستطع فلنفعل منه قدر المستطاع، وهذه هي المقاربة أو الواقعية. روي هذا عن الإمام أحمد - رحمه الله - ويشبه هذا قول بعضهم: أعمال البر يعملها البر والفاجر، وأما المعاصي فلا يتركها إلا صدِّيق. وقال عمر بن عبد العزيز: ليست التقوى قيام الليل، وصيام النهار، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى أداء ما

افترض الله، وترك ما حرم الله، فإن كان بعد ذلك عمل؛ فهو خير إلى خير، أو كما قال.

ومن أمثلة ذلك الطهارة، فإذا قدرت على بعضها، وعجزت عن الباقي؛ إما لعدم وجود ماء، أو لمرض في بعض أعضائك دون بعض، فإنك تأتين من ذلك بما تقدرين عليه، وتتيممين للباقي، سواء كان ذلك في الوضوء أو الغسل على المشهور.

ومنها الصلاة، فمن عجزت عن فعل الفريضة قائمةً صلت قاعدة، فإن عجزت صلَّتها مضطجعة، فعن عمران بن حصين ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» [رواه البخاري].

ومن هنا تعلمين أن من خصائص الإسلام النظر إلى واقعنا، والتدرج بنا إلى المثالية.

٣- ترك التعسف وكثرة السؤال والاختلاف:

نهى الإسلام عن السؤال عمَّا لا نحتاج إليه، وما يسوء السائل جوابه، مثل سؤال السائل: هل هو في النار أو في الجنة؟ ونهى عن السؤال على وجه التعنت والعبث والاستهزاء، كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم، وأمثلة ذلك: السؤال عن وقت الساعة، وعن الروح. فالمؤمنة لا تسأل إلا عن شيء لتعمل، لا لمتعة عقلية، ولا لإثراء جلسة جدلية، لا تسأل عن شيء لم يقع بالفعل؛ فكل مسألة لا ينبني عليها عمل تراها لغوًا لا فائدة منه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

كما نُهي المسلمون عن السؤال عن كثير من الحلال والحرام، مما يخشى أن يكون السؤال سببًا لنزول التشديد فيه؛ كالسؤال عن الحج: هل يجب كل عام أم لا؟ وفي الصحيحين عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» [رواه البخاري].

والقصد هنا النهي عن كثرة توليد المسائل التي قد لا تقع، ولا تَكَلُّف أجوبتها، وليس القصد النهي عن السؤال عن كل ما يتعرض له الإنسان في حياته، وخصوصًا بعدما استجد في حياتنا من أمور حديثة في التكنولوجيا والعلوم والمعاملات وغيرها.. مما يستوجب التفقه في

أمور الدين، بما يجعل المرء يجاري ظروف العصر الحديث بما يتفق مع الكتاب والسنة.

رابعًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

يتبين من الحديث أهمية السنة ومكانتها كمصدر ثانٍ للتشريع، وتنبه المسلمة إلى ما يجب أن تنتهي عنه، وحين تؤمر بأوامر الدين تأتي منها ما تستطيع. وهذا فيه ردٌّ كافٍ على من يدَّعون أننا مطالبون بالامتثال لأوامر القرآن فقط، ويشكك في الأحاديث النبوية ومدى أهمية الامتثال للسنة في حياة المسلمة.

١- أن ننتهي عن كل ما نهانا عنه النبي ﷺ.

٢- أن نأتمر بما أمرنا النبي ﷺ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

٣- أن ننتهي عن كثرة المساءلة فيما لا ينفع، أو السؤال من باب التعنت أو الجدال أو السمعة.

خامسًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي الحديث: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه......».

٢- وضحي سبب رواية الحديث.

٣- اذكري بعض الأمثلة الحية التي توضح التناقض في حياة المسلم في امتثاله لبعض أوامر الله وعدم الالتزام بنواهيه.

٤- في الحديث دليل على أهمية السنة كمصدر للتشريع في حياة المسلم. وضحي ذلك.

٥- حددي أنواع النهي مع ذكر أمثلة من الحياة لتوضيحه.

٦- استخلصي من الحديث أسباب هلاك الأمم.

* * *

الباب الثالث

في ريــــاض السيرة

مقدمة السيرة

هيا معًا نقطف في هذا الباب زهرات من بستان السيرة العطرة لأمهاتنا زوجات النبي ﷺ وبناته، ونعيش معهن صورًا من حياتهن المليئة بالعبادة والأخلاق والجهاد والعطاء والدعوة والصبر؛ ليكنَّ قدوة لنا في طريقنا إلى الله.

وإننا بمدارسة هذه السِّيَر العطرة نسعى إلى التعرف على أمهات المؤمنين، وبنات النبي ﷺ، والتأسي بهن؛ فإن الله تعالى أذهب عنهن الرجس، وطهرهن تطهيرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

ولكي نستفيد أكبر فائدة من هذا الباب، ويكون له الأثر الأكبر في حياتنا، فعلينا أن نراعي التالي:

١- أن نوقن أن حبنا لأهل بيت النبي ﷺ، وتأسينا بهم هو سبيلنا إلى جنة الله تعالى؛ فقد قال النبي ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» [رواه البخاري]، فيجب أن نتأدب عند ذكرهن، ونسبق الاسم «بالسيدة»، ونلحقه بـ«رضي الله عنها» حبًا وتأدبًا معهن.

٢- إجابة الأسئلة الملحقة بكل قصة قبل مدارستها؛ حتى تقفي على أهم موضوعات القصة، وكذلك حتى نختبر معلوماتنا عن صاحبة القصة.

٣- مطالعة القصة جيدًا قبل الدرس الأسبوعي، واستخلاص الدروس المستفادة من دراستها، وماذا يجب عليك عمله بعد قراءتها؟ حتى يتسنى لك مناقشة ذلك مع معلمتك، وإفادة زميلاتك بالدروس والعبر المستفادة.

٤- محاولة الاقتداء والتخلق بأخلاقهن الكريمة، وذلك باختيار أهم ما يميز كل شخصية، والتخلق به.

٥- أن تُقوِّمي مدى استفادتك في المعرفة والسلوك بعد مدارسة الشخصية، من خلال الإجابة عن الأسئلة الملحقة في نهاية كل شخصية، ومدى تحقق التكاليف العملية التي اتفقت عليها في الدرس مع المعلمة والزميلات.

وعليك أختي الحبيبة أن تسألي المولى ﷻ في كل وقت أن يرزقك حبه، وحب من يحبه، وحب كل عمل يقربك إلى حبه. وفَّقنا الله وإياك إلى ما يحبه ويرضاه.

أهداف الباب:

١- التعرف على بيت النبوة من خلال دراسة سيرة أمهات المؤمنين، وبنات النبي ﷺ.

٢- اتخاذ القدوة الصالحة التي نقتدي بها في حياتنا.

٣- معايشة الدارسات صورًا من حياة زوجات النبي ﷺ وبناته في العبادة والأخلاق والجهاد والعطاء والصبر.

٤-غرس حب أمهات المؤمنين والاعتزاز بهن في نفس الدارسات.

٥-التعرف على دور المرأة في الدعوة من خلال دراسة هذه السِّيَر.

٦-نشر هذه السِّيَر العطِرَة في المجتمع للاقتداء بها.

* * *

السيدة
زينب بنت جحش (رضي الله عنها)

أولاً: عرض السيرة في سطور:

نتناول الحديث في هذا الدرس عن السيدة زينب بنت جحش، بالارتكاز على النقاط التالية: النسب والنشأة، زواجها من زيد بن حارثة، زواجها من رسول الله ﷺ، السيدة زينب وتشريع الحجاب، حادثة الإفك وإنصافها في الشهادة، روايتها للحديث، شهادات في حقها، وفاتها.

١- النسب والنشأة:

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن خزيمة الأسدي.

ولدت بمكة سنة ٣٣ قبل الهجرة، وهي بنت عمة النبي ﷺ، فأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، كما أن أخاها عبد الله بن جحش ﷺ، وهو صاحب أول لواء عقده الرسول ﷺ. وهي من السابقات إلى الإسلام، ومن أصحاب الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة.

٢- زواجها من زيد بن حارثة ﷺ:

كان الصحابي الجليل زيد بن حارثة ﷺ من أصحاب السبق في دخول الإسلام، وقد اختار رسول الله ﷺ وفضَّله على أبيه وأمه ووطنه، بل اختار العبودية في كنف النبي ﷺ عن الحرية في كنف أبيه وقومه، وقال لأبيه -يوم جاء يتوسل إليه ليحرره-: إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، وما أنا بالذي أفارقه أبدًا. وعند ذلك أخذ النبي ﷺ بيده، وقام به إلى الملأ من قريش فأشهدهم أن زيدًا ابنه وارثًا وموروثًا، ومن يومها عرف بـ"زيد بن محمد"، وكان له مكانة عظيمة في قلب الرسول ﷺ، وقد عبّرت السيدة عائشة رضي الله

عنها عن هذا الحب والتقدير قائلة: ما بعث الرسول ﷺ زيدًا في جيش إلاَّ وأمَّرَه عليه، ولو بقي حيًّا بعد الرسول لاستخلفه.

ولما بلغ زيد سن الزواج اختار له النبي ﷺ بنت عمته السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، ولكن السيدة زينب رضي الله عنها كرهت ذلك؛ لكون الصحابي الجليل زيد من الموالي- وهم العبيد المحررون- وهم طبقة أدنى من طبقة السادة في عُرف الجاهلية.

وحدثها النبي ﷺ عن خُلقه ودينه حتى نزل البيان القرآني: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦]، فخشيت السيدة زينب رضي الله عنها معصية الرسول ومخالفته، وأطاعت ربها ونبيها، فتزوجت الصحابي الجليل زيدًا، لكن الحياة الزوجية بينهما أخذت تتعثر في جو من عدم الانسجام.

وبعد سنة من الزواج اشتكى زيد للرسول هذا التعثر، فكان النبي ﷺ يُوصيه بالصبر قائلاً: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ولكن لم تدم الحياة الزوجية بينهما طويلاً بعد ذلك، فتم الانفصال بينهما، وطُلِّقت منه، وكان لها في ذلك مقالة مشهورة، حيث قالت: يا رسول الله، إني أكره الكفر في الإسلام.

٣- زواجها من رسول الله ﷺ:

وبعد ذلك الانفصال جاء أمر من الله تعالى للنبي ﷺ بأن يتزوج السيدة زينب رضي الله عنها، وتحرَّج الرسول من البَوْح بهذا الخبر، وبالَغ في كتمانه استحياءً من مواجهة العرب بنقض عادتهم؛ حيث كانوا لا يتزوجون من زوجات أبنائهم بالتبنِّي، فنزل قول الحق تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ۞ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٧، ٣٨].

ولما انقضت عدتها من زيد ﷺ، تزوجها رسول الله ﷺ، وكان ذلك سنة ٥ هـ، وكان عمرها يوم تزوجها النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة.

وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ بقولها: زوجكنَّ أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

٤ - السيدة زينب وتشريع الحجاب:

أطال بعض الناس الجلوس بعد الوليمة ليلة دخول النبي ﷺ بالسيدة زينب، وكان الجميع يجلس في غرفة واحدة؛ وتَسبَّب ذلك في إحراجها، وجعلها تعطي وجهها للحائط مدةً، واستحى الرسول ﷺ أن يَصرفَهم، فنزلت الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ولَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ولا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ والله لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ وإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن ورَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٤].

اطولهن يدًا:

كانت أمُّنا الحبيبة كريمة خيِّرة، تصنع بيدَيها ما تُحسن صنعه من دبْغ وخرز، ثم تتصدق به على المساكين والمجاهدين في سبيل الله، وقد ألمح الرسول ﷺ إلى هذا بقوله: «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» [رواه مسلم] يريد التصدق في سبيل الله، وكانت هي المعنية رضي الله عنها.

وورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرسل إليها عطاءها اثني عشر ألفًا، فجعلت تقول: اللهم لا يُدرِكني هذا المال في قابل (أي مقبل)؛ فإنه فتنة. ثم قسّمته في أهل رَحِمِها وأصحاب الحاجة، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر؛ غيري من أخواتي أوْلى مني على قَسْمه. واسترت من عمر بثوب، ولم تُبقِ من العطاء شيئًا لنفسها. ومما يدل على زُهدها في الدنيا ما رواه ابن سعد في طبقاته، قال: ما تركت زينب بنت جحش رضي الله عنها دِرْهمًا

ولا دينارًا، وكانت تتصدق بكل دِرْهم تَقدر عليه، وكانت مأوى المساكين، ولم تكُن تحفل بالمال أو بشيء منه.

٥- السيدة زينب وحادثة الإفك، وإنصافها في الشهادة:

في حادثة الإفك التي كادت تعصف بقلب السيدة عائشة رضي الله عنها، وقفت السيدة زينب وقفة المنصف لها؛ مما جعلها تحتل مكانةً عاليةً في قلب الرسول ﷺ، وقلب السيدة عائشة رضي الله عنها، ففي الحديث الذي رواه البخاري: قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، قال: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ، مَا رَأَيْتِ»؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا».

٦- روايتها للحديث:

روت السيدة زينب عن رسول الله ﷺ ١١ حديثًا، وروت عنها أم حبيبة، وزينب بنت أبي سلمة، ومحمد بن جحش وغيرهم، ومن مروياتها عن النبي ﷺ: أنه ﷺ دخل عليها فزعًا وهو يقول: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وحلّق بأصبعه الإبهام والتي تليها، فقالتْ زينبُ رضي الله عنها: يَا رَسُولَ الله، أنهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ» [رواه البخاري].

٧- شهادات في حقها:

دخل النبي ﷺ منزله ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإذا هو بالسيدة زينب بنت جحش تصلي، وهي في صلاتها تدعو، فقال النبي ﷺ: «إنها لأَوَّاهَةٌ» [رواه الطبراني]، يعني ﷺ أنها خاشعة متضرعة.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تبكيها بعد وفاتها وتقول: كانت تساميني من بين أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول الله، ولم أرَ امرأة قط خيرًا منها في الدين، وأتقى لله ﷻ، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يصدق به، ويتقرب به إلى الله ﷻ منها.

٨- **وفاتها:**

خرجت رضي الله عنها من الدنيا راضيةً مرضيةً من الله، ثم من العباد، وماتت في سنة عشرين من الهجرة وعمرها ٥٣ سنة، وصلَّى عليها عمر بن الخطاب، وكانت أول نساء النبي موتًا بعده، ودُفنت بالبقيع رضي الله عنها.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة من سيرتها رضي الله عنها:

١- التحذير من معصية الرسول ومخالفته، فأمنا أطاعت ربها ونبيها في زواجها.

٢- التصدق على المساكين والمجاهدين في سبيل الله.

٣- إدراك أهمية الإنصاف في الأحداث العصيبة، مثلما وقفت أمُّنا في حادثة الإفك.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- اذكري قصة زواج السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها من النبي ﷺ باختصار.

٢- اذكري موقف السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها من حادثة الإفك، مع ذكر تعليق.

٣- اذكري محاسن وأعمال السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها.

٤- وضحي أهمية وضرورة الالتزام بأمر الله ورسوله ﷺ.

٥- عددي أمثلة في الكرم والعطاء من حياة السيدة زينب رضي الله عنها.

٦- وضحي أهمية الإنصاف في الشهادة، وأثر ذلك على المجتمع.

٧- وضحي معنى كلمة السيدة زينب أنها تكره الكفر في الإسلام.

٨- قصة انفصال السيدة زينب عن زوجها الأول «الصحابي» فيها الكثير من الدروس التي نحتاجها في حياتنا المعاصرة. وضحي.

* * *

السيدة
جويرية بنت الحارث (رضي الله عنها)

أولاً : عرض السيرة في سطور:

نتناول الحديث في هذا الدرس عن السيدة جويرية بنت الحارث، بالارتكاز على النقاط التالية:

١- النسب والنشأة:

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، وهي ابنة زعيم قومها بني المصطلق. ولدت رضي الله عنها قبل الهجرة بخمس عشرة سنة، وتزوجت من مسافع بن صفوان، وقتل يوم المريسيع في العام السادس من الهجرة. وكانت جميلة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه.

٢- نبذة عن غزوة بني المصطلق:

بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون لمهاجمته بقيادة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار، والد السيدة جويرية رضي الله عنها، فخرج إليهم في شعبان سنة ستٍّ من الهجرة حتى لقيهم على ماء يقال له: المريسيع، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم اللهُ بني المصطلق، وقُتل منهم من قتل، ونجا من نجا، وأُسِر أكثر القوم، وغنم المسلمون أموالهم.

٣- زواجها المبارك (رجاحة عقل وشجاعة):

كانت السيدة جويرية رضي الله عنها فيمن أُسِر من بني المصطلق، وعند توزيع الغنائم والسبايا وقعت في سهم الصحابي الجليل ثابت بن قيس ﷺ، وكاتبته على نفسها، فأتت النبي ﷺ تطلب منه العون على هذه المكاتبة، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت

الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي، فقال لها النبي ﷺ: «فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ»؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ»، قالت: نعم، يا رسول الله. [رواه أحمد]، فاشتراها رسول الله ﷺ وأعتقها، ثم تزوجها وأصدقها ٤٠٠ درهم.

٤- زواجها تحقيق لرؤياها:

قالت رضي الله عنها: رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاثِ ليالٍ كأنَّ قمرًا يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحدًا من الناس، حتى قدم الرسول ﷺ، فلمَّا سُبينا رجُوتُ الرؤيا، فأعتقني وتزوجني.

٥- جويرية عظيمة البركة على قومها:

خرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ. فأعتقوا ما بأيديهم لئلا يكون أصهار رسول الله ﷺ في الرقِّ، فبلغ عتقهم مائة بيت؛ لذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، ولقد أسلم أبوها بعد ذلك، وولاه الرسول ﷺ على صدقات قومه.

٦- جويرية كثيرة التسبيح:

روت السيدة جويرية رضي الله عنها، أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا»؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» [رواه مسلم].

٧- إلى الرفيق الأعلى:

توفيت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها سنة خمسين من الهجرة، وهي

يومئذ ابنة خمس وستين سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم، والي معاوية ﷺ على مدينة رسول الله ﷺ، ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة من سيرتها رضي الله عنها:

١- رجاحة العقل والشجاعة ترفع من شأن صاحبتها.

٢- كوني أبية، واستعيني بالله على قضاء حوائجك.

٣- كوني بحسن إسلامك سببًا في التزام وهداية من حولك.

٤- أكثري من ذكر الله، واحرصي على ذكر «سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته».

٥- ليكن لكِ يوم أسبوعي تجلسين فيه من الفجر حتى طلوع الشمس تذكرين مِنن الله عليك.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- ما اسم الغزوة التي كانت سببًا في رؤية النبي ﷺ للسيدة جويرية رضي الله عنها؟

٢- اذكري قصة زواجها من النبي ﷺ.

٣- كانت السيدة جويرية رضي الله عنها عظيمة البركة على قومها. وضحي ذلك.

٤- اذكري ذِكْرًا وصَّى به الرسول ﷺ السيدة جويرية رضي الله عنها.

٥- وضحي أهمية رجاحة العقل في اختيار الزوج.

٦- على ضوء هذه القصة يظهر جواز أن تظهر المرأة رغبتها في الزواج من الشخص المناسب، وجواز أن يخطب الرجل لابنته أو قريبته. وضحي ذلك.

* * *

السيدة
أم حبيبة (رضي الله عنها)

أولاً: عرض السيرة في سطور:

نتناول الحديث في هذا الدرس عن السيدة أم حبيبة، بالارتكاز على النقاط التالية: نسبها، هجرتها وتضحيتها، صبرها على البلاء، الزواج المبارك، رابطة الإيمان تعلو رابطة النسب، راوية الحديث الشريف، إلى الرفيق الأعلى.

١ - نسبها:

هي السيدة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابية جليلة، ابنة زعيم، وأخت خليفة، وزوجة رسول.

فأبوها أبو سفيان، زعيم ورئيس قريش، وأخوها معاوية بن أبي سفيان، أحد الخلفاء الأمويين، وهي زوجة خاتم النبيين محمد ﷺ.

٢ - هجرتها وتضحيتها:

كانت أم حبيبة من ذوات الرأي والفصاحة، تزوجها أولاً عبيد الله بن جحش، وعندما دعا الرسول ﷺ الناس في مكة إلى الإسلام، أسلمت رملة مع زوجها في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

وحينما اشتد الأذى بالمسلمين في مكة هاجرت رملة بصحبة زوجها فارةً بدينها، متمسكةً بعقيدتها، متحملةً الغربة والوحشة، تاركة الترف والنعيم اللذين كانت فيهما، بعيدةً عن مركز الدعوة والنبوة، متحملةً مشاق السفر والهجرة، فأرض الحبشة بعيدة عن مكة، والطريق تتخلله العديد من الطرق الوعرة، والحرارة المرتفعة، وقلة المئونة، كما أن رملة في ذلك الوقت كانت في شهور حملها الأولى.

وبعد أشهر من بقاء رملة في الحبشة أنجبت مولودتها «حبيبة»، فكنيت بـ«أم حبيبة».

٣- صبرها على البلاء:

في إحدى الليالي، رأت أم حبيبة في النوم أن زوجها عبيد الله في صورة سيئة، ففزعت من ذلك، وحينما أصبحت أخبرها زوجها بأنه وجَد في دين النصرانية ما هو أفضل من الإسلام، فحاولت رملة أن ترده إلى الإسلام، ولكنه أبى أن يعود إلى الإسلام.

وفي الليلة التالية، رأت في منامها أن هناك مناديًا يناديها بأم المؤمنين، فأوّلت أم حبيبة بأن الرسول ﷺ سوف يتزوجها. ومع مرور الأيام توفي زوجها على دين النصرانية، فوجدت أم حبيبة نفسها غريبة في غير بلدها، وحيدة بلا زوج يحميها، وجدت نفسها أمًّا لطفلة يتيمة في سن الرضاع، وابنة لأب مشرك تخاف من بطشه، ولا تستطيع اللحاق به في مكة، فلم تجد هذه المرأة المؤمنة غير الصبر والاحتساب، فواجهت المحنة بإيمان، وتوكلت على الله ﷻ.

٤- الزواج المبارك:

علم الرسول ﷺ بما جرى لأم حبيبة، فأرسل إلى النجاشي طالبًا الزواج منها، ففرحت أم حبيبة، وصدقت رؤياها، وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار، ووكلت هي ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص.

٥- رابطة الإيمان تعلو رابطة النسب:

حينما نقض المشركون في مكة صلح الحديبية، خافوا من انتقام الرسول ﷺ، فأرسلوا أبا سفيان إلى المدينة لعله ينجح في إقناع الرسول بتجديد الصلح، وفي طريقه إلى النبي ﷺ مرَّ أبو سفيان على ابنته أم حبيبة في بيتها، وعندما هم بالجلوس على فراش الرسول ﷺ سحبته أم حبيبة من تحته، وطوته بعيدًا عنه، فقال أبو سفيان: «أراغبة بهذا الفراش يا بنية عني؟ أم بي عنه؟»، فأجابته: «بل به عنك؛ لأنه فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل نجس غير مؤمن»، فغضب منها، وقال: «أصابك بعدي شر»، فقالت: «لا والله بل خير».

وسيّر الرسول ﷺ جيشًا من المسلمين لفتح مكة، ففتحها، ودخل العديد من

المشركين في دين الله، وأسلم أبو سفيان، فتكاملت أفراح أم حبيبة، وشكرت الله على هذا الفضل العظيم.

٦- راوية الحديث الشريف:

روت السيدة أم حبيبة (رضي الله عنها) عدة أحاديث عن الرسول ﷺ بلغ مجموعها خمسة وستين حديثًا. وقد اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، ومن هذه الأحاديث المشهورة التي روتها: حديث تحريم الربيبة، فعن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: هل لك في أختي بنت أبي سفيان؟ فقال: «أَفْعَلُ مَاذَا؟»، قلتُ تَنكِحُها، قال: «أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكَ»، قلت: لست لك بِمُخْلِيَة، وأحب من شركني في الخير أختي، قال: «فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِي»، قلت: فإني أُخبِرتُ أنك تخطب درة بنت أبي سلمة، قال: «بنتَ أُمِّ سَلَمَةَ»، قلت: نعم، قال: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي في حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ»[رواه مسلم].

٧- إلى الرفيق الأعلى:

توفيت رضي الله عنها سنة ٤٤ بعد الهجرة، ودفنت في البقيع، وكانت قد دعت عائشة رضي الله عنها قبل وفاتها فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله وتجاوز، وحللتك من ذلك كله، فقالت عائشة: سررتني سرك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- تمسكي بدينك في الشدة والرخاء، وليكن تمسكك بحجابك رغم إغراءات من حولك.

٢- اصبري واحتسبي في مواجهة المحن وقولي: «حسبي الله ونعم الوكيل»؛ لأن هذا من شيم السلف الصالح.

٣- تذكري أن بعد كل محنة تكون هناك منحة من الله.

٤ - ليكن ولاؤك للمؤمنين يعلو على ولائك لغيرهم؛ حتى لو كانوا ذوي قربى.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- كانت أمنا أم حبيبة نموذجًا في الصبر والتضحية. اشرحي العبارة.

٢- ابتليت السيدة رملة رضي الله عنها بتنصُّر زوجها، فماذا كان موقفها؟ وما المستفاد من ذلك؟

٣- رابطة الإيمان تعلو رابطة النسب. اذكري من الحياة أمثلة واقعية تؤيد هذه العبارة.

٤- وضحي أهمية الصبر والاحتساب عند المحنة.

***

السيدة
ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها)

أولاً: عرض السيرة في سطور:

نتناول الحديث في هذا الدرس عن السيدة ميمونة بنت الحارث، بالارتكاز على النقاط التالية: نسبها ونشأتها، ميمونة تتمنى الزواج من رسول الله ﷺ، زواجها برسول الله ﷺ، شهادة النبي ﷺ لها بالإيمان، ميمونة راوية الحديث، مشاركتها في القتال، مما قيل عنها، الأيام الأخيرة والذكريات العزيزة.

١ - نسبها ونشأتها:

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية. ولدت بمكة قبل البعثة بست سنوات، وكان من أخواتها لأبيها: السيدة أم الفضل (لبابة الكبرى)، زوج العباس عم النبي ﷺ، ولبابة الصغرى أم الصحابي الجليل خالد بن الوليد ﷺ، أما أخواتها لأمها، فهُنَّ الصحابية الجليلة: أسماء بنت عميس، وسلمى بنت عميس، زوج حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وسلامة بنت عميس، زوج عبد الله بن كعب.

ولهذا عُرفت أمها هند بنت عوف بأكرم عجوز في الأرض أصهارًا، فأصهارها: أشرف الخلق رسول الله ﷺ، وصاحبه الصديق، وعماه حمزة والعباس ابنا عبد المطلب ﷺ.

تزوجت رضي الله عنها بمسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام، ففارقها، ثم تزوجها أبو رهم بن عبد العزى، فتوفي عنها وهي في ريعان الشباب، حتى حظيت بشرف الزواج من رسول الله ﷺ حين فراغه من عمرة القضاء سنة ٧ من الهجرة.

٢ - ميمونة تتمنى الزواج من رسول الله ﷺ:

في السنة السابعة للهجرة النبوية، دخل رسول الله ﷺ وأصحابه معتمرين، وطاف

الحبيب المصطفى ﷺ بالبيت العتيق بيت الله الحرام، وكانت ميمونة رضي الله عنها بمكة أيضًا، ورأت رسول الله ﷺ وهو يعتمر، فملأت ناظريها به حتى استحوذت عليها فكرة أن تنال شرف الزواج من رسول الله ﷺ، وأن تصبح أمًّا للمؤمنين.

وأفضت ميمونة بأمنيتها إلى أختها أم الفضل، وحدثتها عن حبها وأمنيتها في أن تكون زوجًا للرسول ﷺ، وأمًّا للمؤمنين، وأما أم الفضل فلم تكتم الأمر عن زوجها العباس، فأفضت إليه بأمنية أختها ميمونة.

ويبدو أن العباس أيضًا لم يكتم الأمر عن ابن أخيه، فأفضى إليه بأمنية ميمونة بنت الحارث، فبعث رسول الله ﷺ ابن عمه جعفر بن أبي طالب ﷺ ليخطبها له، وما أن خرج جعفر ﷺ من عندها، حتى ركبت بعيرها وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، وما أن وقعت عيناها عليه ﷺ حتى قالت: «البعير ومَن عليه لله ورسوله».

٣- زواجها برسول الله:

أقام رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة ثلاثة أيام، فلما أصبح اليوم الرابع أتى إليه ﷺ نفر من قريش ومعهم حويطب بن عبد العزى، الذي أسلم فيما بعدُ، فطلبوا من الرسول ﷺ أن يخرج بعد أن انقضى الأجل، وأتم عمرة القضاء، والتي كانت عمرة الحديبية، فقال ﷺ: **«وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ بين أظهركم، فصنعتُ لكم طعامًا فحضرتموه»**، فقالوا: لا حاجة لنا بطعامك، فاخرجْ عنا. [رواه الحاكم في مستدركه]. فخرج رسول الله ﷺ وكلَّف مولاه أن يحمل ميمونة إليه حين يمسي، فلحقت به ميمونة إلى سَرَف، وفي ذلك الموضع المبارك بنى الرسول ﷺ، فعقد عليها بسرف بعد تحلله من عمرته؛ لما روي عنها رضي الله عنها أنها قالت: «تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف».

٤- شهادة النبي لها بالإيمان:

دخل رجل ذو قرابة لميمونة عليها، فوجدت منه ريح خمر، فقالت: «لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدونك، لا تدخل علي أبدًا»، وقد زكَّى الرسول ﷺ إيمان ميمونة رضي الله عنها، وشهد لها ولأخواتها بالإيمان؛ لما روي عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«الأخوات المؤمنات: ميمونة زوج النبي ﷺ، وأم الفضل امرأة العباس، وأسماء بنت عميس امرأة جعفر، وامرأة حمزة هي أختهن لأمهن» [رواه الطبراني في الكبير].

وهكذا تتعلم المرأة المسلمة اليوم واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إن أتيح لها ذلك، ولو لأقاربها.

٥- ميمونة راوية الحديث:

روت عن النبي ﷺ ٤٦ حديثًا، وروى عنها ابن عباس ويزيد بن شداد وعبد الرحمن بن السائب وعطاء بن يسار وغيرهم. ومن رواياتها عن النبي ﷺ أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت- يا رسول الله- أني أعتقت وليدتي؟ قال: «أَوَفَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِيهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ». [رواه البخاري].

٦- مشاركتها في القتال:

شاركت رضي الله عنها في القتال لتنال حظها من الجهاد في سبيل الله، وهي زوجة رسول الله ﷺ، ففي غزوة تبوك كانت ميمونة رضي الله عنها في صفوف المجاهدين تسعف الجرحى، وتراعي المرضى، وتجاهد في سبيل الله حق الجهاد.

ويقال أنها أول امرأة ألفت فرقة نسائية لإسعاف الجرحى، والقيام بواجبات المجاهدين في ساحة القتال، ولقد أصابها في جهادها سهم من سهام الأعداء وهي تحمل الماء للمصابين، فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه.

٧- مما قيل عنها:

- قالت عنها السيدة عائشة رضي الله عنها بعد موتها: «كانت والله من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم».

- وروي عن الزهري أنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى فيها: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

- وفي الصحيحين أنه ﷺ كان في بيتها حين اشتد عليه المرض، فرضيت أن ينتقل ليمرض حيث أحب في بيت عائشة.

٨- الأيام الأخيرة والذكريات العزيزة:

امتدت الحياة بأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها إلى خلافة معاوية ﷺ، وقيل إنها توفيت سنة إحدى وخمسين بسرف وعمرها ثمانون سنة، ودفنت في موضع قبتها الذي كان فيه عرسها، وهكذا جعل الله ﷻ المكان الذي تزوجت به ميمونة هو مثواها الأخير، قال يزيد بن الأصم: دفنت ميمونة بسرف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله ﷺ.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- ليكن اختيارك لشريك حياتك على أساس صلاح خلقه ودينه.

٢- ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- أهمية الجهاد في سبيل الله (بالوقت والمال والعلم...)، وأعلاه القتال في سبيل الله، وتجهيز الغزاة، أو خلافتهم في أهله بخير.

٤- كانت أمُّنا حريصة على صلة رحمها، فكوني حريصة على صلة رحمك.

٥- قومي مع زميلاتك بعمل استقصاء للجمعيات الخيرية بالحي، واختاري الأنسب منها للانضمام لها.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- لماذا عُرفت أمها هند بنت عوف بأكرم عجوز في الأرض أصهارًا؟

٢- كانت السيدة ميمونة رضي الله عنها لها السبق والتنسيق للعمل النسائي الجماعي. اذكري موقفًا لها مما درستِ؟

٣- اذكري بعض الأمثلة للعمل التطوعي اقتداءً بالسيدة ميمونة رضي الله عنها.

٤- تحدثي عن فرضية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

٥- اذكري أهمية دور المرأة على جبهة القتال.

* * *

السيدة
زينب (رضي الله عنها) بنت النبي ﷺ

أولاً: عرض السيرة في سطور:

نتناول الحديث عن سيرة السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ، بالارتكاز على العناصر التالية: نسبها ونشأتها، زواجها، مُشاركة وجدانية لأبيها، وقوع زوجها في الأسر يوم بدر، زينب تعود لجوار أبيها، زينب تجير زوجها، اجتماع شمل الزوجين في المدينة، إلى الرفيق الأعلى.

١- نسبها ونشأتها:

هي زينب بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم خاتم النبيين، وهي كبرى بنا ت الرسول ﷺ، والأولى من بين أربع بنات، هن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن، وهي ثمرة الزواج السعيد الذي جمع بين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ورسول الله ﷺ. ولدت سنة ٣٠ من مولد الرسول ﷺ، أي أنه كان يبلغ من العمر ٣٠ عامًا.

اعتاد أهل مكة والعرب عامة، والأشراف خاصة، على إرسال صغارهم الرضع إلى مرضعات من البادية يعتنين بهم، وبعد ما يقارب السنتين يعيدونهم إلى ذويهم، وبعد أن عادت زينب إلى حضن أمها خديجة، عهدت بها إلى مربية تساعدها على رعايتها، والسهر على راحة ابنتها، فترعرعت زينب في كنف والديها حتى شبت على مكارم الأخلاق والآداب والخصال، فكانت تلك الفتاة البالغة الطاهرة.

٢- زواجها:

كانت العادة عند العرب في ذلك الوقت عندما تتجاوز الفتاه العاشرة بقليل أن تكون محط أنظار الجميع، فيتكلم عنها الشبان، ويطلبون من ذويهم التقدم إلى أهلها بالخطبة والزواج.

وكانت هالة أخت السيدة خديجة رضي الله عنها لها ولد يسمى أبا العاص، فتقدمت لأختها خديجة لتخطب زينب لابنها.

نقلت خديجة رضي الله عنها إلى زوجها محمد ﷺ ما طلبته هالة، فلم يعترض؛ لأن أبا العاص على الرغم من صغر سنه، فقد عرف بخصاله الكريمة، والأفعال النبيلة.

وعندما ذهب أبو العاص بن الربيع إلى رسول الله ﷺ ليخطب ابنته، قال عنه ﷺ: «إنه نعم الصهر الكفء». وهذا يعني أن رسول الله ﷺ لم يجد به عيبًا، ولكنه طلب من الخاطب الانتظار حتى يرى رأي ابنته، ولم يوافق قبل موافقة ابنته، ونادى الوالد زينب، وأسرَّ إليها بكلمات، فاحمرَّ وجهها، وما كان منها إلا أن تسكت إعلانًا منها بقبول ابن خالتها؛ ليكون زوجًا تسهر على رعايته وراحته، وتشاركه فرحه وحزنه، وتوفر له أسباب السعادة.

تهيأ الجميع لحفل الزواج، وذُبحت الذبائح، وأقيمت الموائد، وانتقلت زينب إلى بيت الزوجية، وكانت زينب سعيدة مع أبي العاص، وكان يعمل بالتجارة، وكان يأتي مسرورًا بما يحمل معه من الربح الوفير، فهو محل ثقة الجميع لما يتميز به من خلق كريم.

عاشت زينب حياة سعيدة في كنف زوجها، فكانت له خير الزوجة، وكان لها خير الزوج، وشاء الله أن يكون ثمرة هذا الزواج طفلين أنجبتهما زينب رضي الله عنها، وهما: علي بن أبي العاص، الذي توفي صبيًّا، وأمامة بنت أبي العاص.

٣- مشاركة وجدانية لأبيها:

نزل الوحي على الأمين محمد ﷺ يخبره بأنه نبي ورسول هذه الأمة، وأن عليه أن يدعو الناس إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وعلمت زينب وهي في بيت زوجها بذلك، وكان زوجها في رحلة للتجارة، فعزمت على أن تلقى أباها، وتؤمن بما جاء به، فنطقت بالشهادتين، وحسن إيمانها، وظل زوجها على دينه، وترك لها حرية أن تظل هي على إيمانها.

كانت زينب تتألم كثيرًا من إيذاء المشركين لأبيها، ولكنها لا تستطيع أن ترد أو تقول شيئًا، فهي مع زوجها، ولكن اشتدت وطأة الكفار على المسلمين، وماتت خديجة بنت

خويلد رضي الله عنها، ومات أبو طالب، وبدأت هجرة المسلمين، ولم يبق في مكة إلا عدد قليل من المسلمين.

وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، واستقبله أهلها أحسن استقبال، ففرحت زينب بذلك فرحًا كبيرًا، وهدأت واطمأن قلبها.

٤ - وقوع زوجها في الأسر يوم بدر:

لم ينس المسلمون وهم بالمدينة ما حدث لهم بمكة من تعذيب وسلب لأموالهم، فقرروا العمل على استرداد بعض حقوقهم، وجاءتهم الأخبار بأن قافلة تحمل بضائع لأهل مكة، فخرجوا لاسترداد بعض حقوقهم، فكان ذلك سببًا لوقوع معركة بدر، أولى المعارك مع مشركي مكة، والتي انتصر فيها المسلمون.

وكانت زينب تتابع أخبار أهل مكة وهم يستعدون لقتال المسلمين، فدعت لأبيها ومن معه، وجاءت الأخبار تحمل البشرى بانتصار المسلمين، وقتل صناديد المشركين، ففرحت زينب بانتصار أبيها النبي ﷺ، ولكن فرحتها لم تكتمل؛ لأن زوجها لم يعد إليها، فظنت أنه في عداد القتلى، لكن عمتها عاتكة بنت عبد المطلب أخبرتها بأن زوجها لم يقتل، ولكنه وقع في الأسر.

وصل الخبر إلى مكة أن المسلمين يرغبون في افتداء الأسرى، ومنهم أبو العاص، ولما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمالٍ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها مالها؛ فافعلوا»، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردُّوا عليها الذي لها.[رواه أبو داود].

٥ - زينب تعود لجوار أبيها:

طلب الرسول من أبي العاص بن الربيع أن يخلي سبيل ابنته زينب؛ فما عادت تحل له، فوعد أبو العاص بأن يخلي سبيلها بمجرد أن يصل إلى مكة، فلما عاد أبو العاص بن الربيع طلب من السيدة زينب أن تجهز نفسها لتلحق بوالدها، وطلب من أخيه كنانة بن الربيع

أن يعد لها بعيرًا ليوصلها إلى المكان الذي اتفق عليه مع رسول الله ﷺ.

وخرجت زينب من مكة مع كنانة بن الربيع أخي زوجها، فخرج بعض رجال قريش في طلبها، فأدركها هبار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها، وأهراقت دمًا، فحُمِلتْ واشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية، فقال بنو أمية: نحن أحق بها. وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص، فصارت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت تقول لها هند: هذا بسبب أبيك.

فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «**ألا تنطلق فتجيء بزينب**»؟ قال: بلى، يا رسول الله، قال: «**فخذ خاتمي فأعطها إياه**»، فانطلق زيد، فلم يزل يتلطف حتى لقي راعيًا فقال: لمن ترعى؟ فقال: لأبي العاص، فقال: لمن هذه الغنم؟ فقال: لزينب بنت محمد. فسار معه شيئًا، ثم قال: هل لك أن أعطيك شيئًا تعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ فانطلق الراعي فأدخل غنمه، وأعطاها الخاتم، فعرفته فقالت: مَن أعطاك هذا؟ قال: رجل، قالت: فأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا. فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه، فلما جاءته قال لها: اركبي بين يدي على بعيره، قالت: لا، ولكن اركبْ أنت بين يدي. فركب وركبت وراءه حتى أتت رسول الله ﷺ.[رواه الحاكم].

٦- زينب تجير زوجها:

عاشت السيدة زينب في المدينة مع طفليها في رحاب والدها حتى العام السابع، وكانت الدعوة تنتشر في أنحاء الجزيرة العربية كالبرق، ولكن العداء بين مكة والمدينة ما زال على أشده، وكانت السرايا تُتابع جموع أهل مكة وتجارتهم؛ لاسترداد بعض حقوقهم التي سلبتها مكة منهم.

وكانت هناك قافلة آتية من الشام فحاصروها، وأخذوا ما معها، وكادوا يأسرون الرجال لولا أنهم فروا، وكان منهم أبو العاص، وقد أعطاه رجال من قريش أموالاً طائلة، وهو ملزم بردها، وراح يفكر في طريقة يعيد بها الأموال أو بعضها إلى أصحابها.

لقد هداه تفكيره إلى دخول المدينة، والاستجارة بزوجته زينب رضي الله عنها، ففعل ذلك،

وعندما استعد النبي ﷺ لصلاة الصبح، سمع النبي صوتًا ينادى قائلاً: يا أيها الناس، أنا زينب بنت رسول الله ﷺ، وإني قد أجرتُ أبا العاص، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة قال: «إِنِّي لَمْ أَعْلَمْ بِهَذَا حَتَّى سَمِعْتُهُ الآنَ، وَإِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ» [رواه الطبراني في الكبير].

٧- اجتماع شمل الزوجين في المدينة:

وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص بن الربيع: «أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالا، فَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ، فَهُوَ فَيْءُ الله الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ»، قالوا: يا رسول الله، نردُّهُ. فردوا عليه ماله، حتى إنَّ الرَجل يأتي بالحبل، ويأتي الرجل بالشنة (قربة) والإداوة (مطهرة)، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ (العصا)، حتى إذا ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئًا، احتمله إلى مكة، فردَّ إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع معه.

ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، وجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك عفيفًا كريمًا، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوُّف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فأما إذ أدَّاها الله إليكم، وفرغت منها، أَسْلَمْتُ. وخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ. [رواه الطبراني في الكبير].

وبعد الفُرقة بين الزوجين اجتمع شملهما، ورد رسول الله ﷺ زينب إلى زوجها أبي العاص بن الربيع على النكاح الأول، بعد ست سنين، كما روى ذلك البخاري.

٨- إلى الرفيق الأعلى:

بعد عام من التئام شمل الزوجين، وبعد أن عاشا حياة كريمة سعيدة في دار الإسلام مع ولديهما أمامة وعلي، بدأ المرض يزداد على السيدة زينب رضي الله عنها، حتى توفيت في العام الثامن للهجرة، وحزن رسول الله ﷺ حزنًا عظيمًا، وحزن معه زوجها أبو العاص، الذي وافته المنية بعدها بأربع سنوات.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- أعطاكِ الإسلام حق اختيار الزوج، فتخيري زوجك وشريك حياتك على أسس صحيحة.

٢- خذي السيدة زينب رضي الله عنها قدوة في حيائها. فاجعلي الحياء تاجًا لأخلاقك.

٣- كوني لأسرتك نعم السند، وشاركي أهلك في أفراحهم وأحزانهم.

٤- مشاركة المرأة الآباء والأزواج في دعوتهم.

٥- كوني مخلصة لزوجك، وفيَّةً له في الرخاء والشدة.

٦- أعطي الإسلام مكانة عالية للمرأة، وأعلى من شأنها، فاعتزي بإسلامك، ولا تنبهري بالمرأة الغربية.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- اذكري موقفًا يدل على حياء السيدة زينب رضي الله عنها، مع التعليق.

٢- اذكري مواقف أخرى من حياتك تدل على الحياء.

٣- نطقت السيدة زينب رضي الله عنها بالشهادتين، وحسن إيمانها، وظل زوجها على دينه، وترك لها حرية أن تظل هي على إيمانها. وضحي المستفاد من هذا الموقف (لاحظي أن حكم التفريق بين الزوجين إذا كان أحدهما كافرًا لم يكن قد نزل بعد).

٤- كانت السيدة زينب رضي الله عنها وفية لزوجها. وضحي ذلك.

٥- إن بعد العسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا. اذكري قصة إسلام أبي العاص، واجتماع شمل الأسرة بعد صبرهما.

٦- وضحي أسس اختيار الزوج.

٧- وضحي أهمية مشاركة الأهل في أفراحهم وأحزانهم ودعواتهم.

٨- عددي بعض صور الوفاء للزوج.

٩- أعطي الإسلام مكانة عالية للمرأة، وأعلى من شأنها، واحترم رأيها. وضحي ذلك.

السيدة
رقية (رضي الله عنها) بنت محمد ﷺ

أولاً: عرض السيرة في سطور:

نتناول عرض سيرة السيدة رقية رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، من خلال الارتكاز على العناصر التالية: نشأتها، زواجها، طلاقها من عتبة، زواجها من عثمان، رقية صاحبة الهجرتين، رقية في المدينة، وفاتها.

١- نشأتها:

هي رقية بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية رضي الله عنها، وأبوها النبي محمد ﷺ، وأمها أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد القرشية رضي الله عنها.

وهي الابنة الثانية للنبي ﷺ بعد زينب رضي الله عنها. ولدت في مكة قبل البعثة النبوية بنحو سبعة أعوام، وكما درجت وتربت زينب تربت رقية، فلقد عاشت في البيت المحمدي تنعم بالسعادة والأمان بقرب أبويها وشقيقتها.

٢- زواجها:

وما مضى على زواج زينب من أبي العاص بن الربيع وقت طويل حتى استقبل البيت المحمدي وفدًا من آل عبد المطلب، جاءوا يلتمسون مصاهرة ابن عمهم الأمين محمد ﷺ في بنتيه رقية وأم كلثوم، وقد خافوا أن يسبقهم إليه كفء كريم من فتية وشباب قريش، وكان الخاطبان هما: عتبة وعتيبة ابني عبد العزى (أبي لهب)، فتزوج عتبة برقية، وعتيبة من أم كلثوم.

٣- طلاق رقية من عتبة:

ما كاد يتلقى النبي ﷺ رسالة ربه، ويدعو إلى الدين الجديد، حتى أُخرجت رقية ومعها أُختها أم كلثوم من بيت أبي لهب، ورُدَّتا إلى بيت أبيهما، ذلك أن قريشًا تآمرت على الرسول في بناته قائلة: إنكم قد فرَّغتم محمدًا من همِّه، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن. ومشوا إلى أصهار الرسول الثلاثة فقالوا لهم واحدًا بعد الآخر: فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئتَ. فأما أبو العاص زوج زينب فأبى مُؤثِرًا صاحبته على نساء قريش، وأما ابنا أبي لهب فما كان بحاجة لأن تطلب منهما قريش ذلك، فقد كانت أم جميل هي الأسرع، فقد أقسمت ألا يظلها مع ابنتي محمد سقف، وما زالت بزوجها أبي لهب حتى أثارت حفيظته على البنتين البريئتين، فقال لولديه: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد. فاستجابا لطلب أبي لهب، وطلقا بالفعل السيدة رقية ومعها أختها أم كلثوم.

٤ – زواج رقية من عثمان:

طاب لرقية رضي الله عنها أن تشاطر والدها الجهاد والعذاب، وخاب ظن حمَّالة الحطب وظن قريش، فلم يُشغل محمد ببناته، ولم تلبث رقية أن أبدلها الله خيرًا من زوجها زوجًا آخر صالحًا كريمًا، من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو الصحابي الجليل عثمان بن عفان.

فعثمان بن عفّان أعزه الله في الجاهلية، فكان من أعرق فتيان قريش نسبًا، ويلتقي نسبه مع الرسول الكريم، وكان بهيَّ الطلعة، فَخْمَ السَّمْت، موفور المال، رضي الخلق، ثم جاء الإسلام فزاده الله عزَّةً به.

تقدم عثمان ﷺ إلى رسول الله ﷺ يسأله شرف المصاهرة، فزوجه ابنته رقية، ولم تشارك مكة هذه المرة في هذا الاحتفال بالعُرس البهي.

٥- رقية رضي الله عنها صاحبة الهجرتين:

دخلت رقية رضي الله عنها بيت الزوج العزيز وهي تدرك أنها ستشاركه دعوته

وصبره، وأن سبلاً صعبة سوف تسلكها معه دون شك إلى أن يتم النصر للإسلام وأتباعه، وسعدت رقية رضي الله عنها بهذا الزواج من التقي عثمان بن عفّان.

وبعد أن اشتد التعذيب على المسلمين بمكة، أذن النبي ﷺ لأصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة، وكان من ضمن هؤلاء الصحابة الذين خرجوا إلى الحبشة زوج ابنته عثمان بن عفان، فهاجرت السيدة رقية رضي الله عنها مع زوجها في أوائل من هاجروا، ووقفت مع زوجها على مشارف مكة تودع الأحبة، وتشيع الذكريات، وظلت وهي في الحبشة تتحرق شوقًا إلى أبيها؛ وفي ظمأ أن تعلم أخبار الدعوة، مُتخوفةً من إيذاء المشركين لأبيها، حتى إن شدة الشوق والقلق أضرًّا بصحتها، فأسقطت جنينها الأول.

وصلت إلى الحبشة شائعات كاذبة مفادها: أن قريشًا أسلمت وآمنت، فسارع المهاجرون يغلبهم الحنين إلى الأهل والوطن متجهين إلى مكة، يتقدمهم عثمان ورقية، ولكن آمالهم خابت وهم على مشارف مكة.

ودخلت رقية رضي الله عنها مكة، وطرقت في سواد الليل باب الأهل والأحبة، وما أن فُتح الباب حتى اشتد العناق، وانهمرت الدموع فرحًا باللقاء، وتلفتت رقية إلى أختها فاطمة تسألها عن أمها: أين هي؟ فيأخذها رسول الله ﷺ بين يديه يهدِّئ حزنها، ويوصيها بالسكينة والصبر، فالأم خديجة قد قاست مع الرسول ﷺ وآل هاشم الكثير من الاضطهاد، حتى ألقاها المرض طريحة الفراش؛ لتودع الدنيا وابنتها ما تزال غائبة في الحبشة، فحزنت رقية لذلك حزنًا شديدًا.

ولم يطل المقام برقية في مكة؛ فعندما علمت قريش برجوع المؤمنين المهاجرين، عملت على إيذائهم، واشتدت عداوتها لجميع المؤمنين؛ مما جعل أصحاب رسول الله ﷺ في قلق، لكنهم اعتصموا بكتاب الله، مما زاد في تعذيب المشركين لهم، فذهبوا إلى رسول الله ﷺ يستأذنونه في الهجرة إلى المدينة، فأذن لهم، وهاجرت رضي الله عنها مرة ثانية مع زوجها إلى المدينة مع المؤمنين، وبهذا تتفرد رضي الله عنها بأنها الوحيدة من بنات النبي الطاهرات التي كُتِب لها الهجرة إلى الحبشة، وإلى المدينة، ومن هذا عُدَّت من أصحاب الهجرتين.

٦- رقية في المدينة:

لم يطل المقام برقية في المدينة، ففي عام 13 من البعثة كان المؤمنون بالمدينة ينتظرون نبيهم محمدًا ﷺ، وسعدت رقية باجتماع الأهل والأحبة في دار الهجرة، وفى المدينة وضعت رقية لعثمان طفلاً أسمته عبد الله، فملأ عليهما منزلهما الجديد أنسًا وبهجة، وأقبلت عليه تريد أن تنسى به مرارة ما لاقته من مرارة فقدها الجنين الأول، ولتعوض به حزنها على أمها، وما ذاقته في الغربة من شجن وألم، وحسبت أنها استوفت حظها من الألم، لكن الله امتحنها بمصاب جديد، فلم يكد عبد الله- ابن المجاهدين العظيمين- ينمو حتى ذبلت ريحانته، وأخذ الزوجان يرقبان بعين دامعة، وقلب حزين ذبول هذه الوردة الفواحة، واختلاج سكرات الموت وهي تغالب صغيرهما.

مات ابن رقية، فبكته أمه، وبكاه أبوه، حتى أتت الحُمَّى رقية، فسقطت طريحة الفراش، وأقام عثمان إلى جانبها يمرضها.

٧- وفاتها:

واشتد عليها المرض حتى فاضت روحها الطاهرة العامرة بالإيمان، بعد رحلة كفاح في سبيل الله، تنقلت فيها من عذاب في بيت أم جميل، إلى عذاب الهجرة والاغتراب في الحبشة، إلى ألم وفقد الأم الغالية خديجة، ثم فقد فلذة الكبد، وحلقت روحها في سماء المدينة مع صوت المنادي والبشير بانتصار المسلمين في بدر، ويشيع المسلمون جثمان بنت الرسول ﷺ، بعد أن يصلوا عليها، ويوارون جسدها في الثرى الطيب باكين.

رحم الله أم عبد الله رضي الله عنها، وزوجة عثمان ﷺ، وبنت الرسول ﷺ، رحم الله رقية بطلة الهجرتين، وواحدة من النساء المجاهدات الكريمات في درب الإسلام المنير، وكانت أول من لحقت بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من بناتها.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة من سيرتها:

١- أهمية الصبر عند الابتلاء، والثقة في عطاء الله، فقد ابتليت السيدة رقية رضي الله عنها بطلاقها من ابن أبي لهب، فلما صبرت أبدلها الله خيرًا منه بزوج صالح كريم

من السابقين إلى الإسلام، وأحد العشر المبشرين بالجنة.

٢- ضرورة مساندة الزوج في دعوته.

٣- احتساب أجر الابتلاء عند الله، فقد تعددت ألوان الابتلاء التي تعرضت لها السيدة رقية رضي الله عنها، فقد عانت في بيت حمالة الحطب، واغتربت في الحبشة، وفقدت الأم الغالية، وفقدت فلذة الكبد، فيا لها من رحلة كفاح في سبيل الله احتسبت أجرها عند الله! ليكن شعارك عند الابتلاء: فصبر جميل والله المستعان.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- إن الصبر على الابتلاء يليه عطاء من الله. استشهدي من القصة السابقة بموقف يبرهن على هذه العبارة.

٢- لماذا سميت رقية بصاحبة الهجرتين؟

٣- كانت الابتلاءات كثيرة على السيدة رقية. اذكري صورًا من الابتلاءات، موضحة كيفية الاستفادة منها.

٤- وضحي أهمية الصبر عند البلاء.

٥- عددي صورًا من جهاد السيدة رقية في الهجرة.

٦- اذكري صورًا من الوفاء بين السيدة رقية وزوجها عثمان رضي الله عنهما.

***

السيدة
أم كلثوم رضي الله عنها بنت النبي ﷺ

أولاً: عرض السيرة في سطور:

نتناول الحديث عن السيدة أم كلثوم رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، بالارتكاز على النقاط التالية: نشأتها، إلى بيت الزوجية، طلاق ظالم، صبرها واحتمالها، أم كلثوم مع المهاجرين والأنصار، زواجها المبارك، إلى الرفيق الأعلى.

١ - نشأتها:

هي السيدة أم كلثوم رضي الله عنها بنت النبي ﷺ، وأمها السيدة خديجة رضي الله عنها، خير النساء، وصاحبة الفضل العظيم، والمقام الرفيع.

أسلمت السيدة أم كلثوم رضي الله عنها مع آل بيت النبي ﷺ، مع أمها خديجة رضي الله عنها وأخواتها جميعًا.

٢ - إلى بيت الزوجية:

لما بلغت السيدة أم كلثوم وأختها السيدة رقية رضي الله عنهما مبلغ الزواج خطبهما أبو طالب لابني أخيه عبد العزى (أبي لهب)، وهما عتيبة وعتبة، فوافق رسول الله ﷺ؛ لما لأبي طالب من مكانة عنده؛ ولأن الخاطبين هما ابنا عمه، وقد خطبت أم كلثوم لعتيبة.

٣ - طلاق ظالم:

ما كاد رسول ﷺ يتلقى رسالة ربه تعالى، ويدعو إلى دين الحق حتى بدأت قريش حربها ضده، ومن ألوان هذه الحرب التي أشعلوها ضده أن اجتمع سادة قريش وقالوا: إنكم قد فرَّغتم محمدًا من همِّه، فردُّوا عليه بناته؛ فاشغلوه بهن.

وذهب سادة قريش إلى أصهار رسول الله ﷺ الثلاثة، وقالوا لهم واحدًا بعد الآخر:

فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت. فأبى أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب رضي الله عنها، أما ابنا أبي لهب فاستجابا على الفور، وكان أبو لهب قد قال لابنيه: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد.

ولم يكتف عتيبة زوج السيدة أم كلثوم بذلك، بل تمادى فآذى رسول الله ﷺ، ولم تمنعه حَمِيَّة القرابة، فدعا عليه رسول الله ﷺ قائلاً: «اللهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك»، فقتله الأسد.[رواه ابن حجر العسقلاني] واستجاب الله تعالى لدعوة نبيه ﷺ.

٤- صبرها واحتمالها:

بعد أن طلقها عتيبة، عاشت السيدة أم كلثوم رضي الله عنها مع والديها، ثم تزوجت أختها السيدة رقية من الصحابي الجليل عثمان بن عفان، وهاجرت إلى الحبشة، وبقيت السيدة أم كلثوم مع أختها الصغرى السيدة فاطمة رضي الله عنها في بيت النبي ﷺ.

وهكذا عاشت رضي الله عنها في صميم معركة الاضطهاد الأولى، ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فطار صواب قريش، وقاطعوا بني هاشم وحاصروهم في شعب أبي طالب، فعاش المسلمون وقد بلغ بهم الجوع مبلغه.

وكانت السيدة أم كلثوم رضي الله عنها صابرة محتسبة تراعي أمها السيدة خديجة رضي الله عنها، التي كانت قد أنهكتها الأحداث.

ثم توفيت المجاهدة العظيمة السيدة خديجة رضي الله عنها، وصبرت ابنتاها المجاهدتان السيدة أم كلثوم والسيدة فاطمة رضي الله عنهما.

٥- أم كلثوم مع المهاجرين والأنصار:

وجاء الإذن بالهجرة للنبي ﷺ، فهاجر إلى المدينة وترك ابنتيه السيدة أم كلثوم والسيدة فاطمة عند زوجته السيدة سودة رضي الله عنهن.

وهكذا افترقت الأسرة المحمدية، فالأم إلى دار الآخرة، والأب بعيد في يثرب، والسيدة أم كلثوم والسيدة فاطمة في مكة، ولم تمض مدة طويلة حتى جاء زيد بن حارثه ليصطحبهما وآل أبي بكر رضي الله عنه إلى دار الهجرة، وودعت أم كلثوم بنظرة وداع باكية

مكة ومواقع طفولتها، ومواضع صباها، وبيت أمها وقبرها، ومضت مع الركب المهاجر يشدها الشوق للمدينة حيث رسول الله ﷺ.

وفى المدينة مضى عامان على أم كلثوم زاخران بجليل الأحداث، حيث شهدت أم كلثوم عودة أبيها مكللاً بالنصر من بدر، وشهدت فراق الغالية شقيقتها رقية زوج عثمان، ولقد قاست من فراق أختها الكثير، فقد كانت وإياها كالروح الواحدة ترعرعتا معًا، وزوجتا لابني العم معًا، وطلقتا معًا، وجمعتهما دار الهجرة معًا.

٦- زواجها المبارك:

وفي أحد الأيام بعد وفاة السيدة رقية رضي الله عنها، رأى رسول الله ﷺ صاحبه عثمان وزوج ابنته رقية وهو مغموم، فقال: «ما شأنك يا عثمان»؟ قال: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ وأمي، هل دخل على أحد من الناس ما دخل علي؟ توفيت بنت رسول الله ﷺ، وانقطع الصهر فيما بيني وبينك إلى آخر الأبد، فقال رسول الله ﷺ: «أتقول ذلك يا عثمان؟ وهذا جبريل يأمرني عن أمر الله عزَّ وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها، وعلى مثل عدتها»، فزوجه رسول الله ﷺ إياها. [رواه الحاكم].

٧- إلى الرفيق الأعلى:

وتعيش السيدة أم كلثوم في كنف زوجها بعد ذلك ست سنوات؛ لترى فيها الإسلام وراياته ترتفع وتخفق في أرجاء الجزيرة العربية، ورأت أباها يجاهد في سبيل الله لنشر دعوة الإسلام، ورأت زوجها يشاركه الجهاد والتفاني في سبيل نشر الدعوة الكبرى، وتقف إلى جوار زوجها تشاركه جهاده وتأييده لرسول الله ﷺ.

وفي العام التاسع من الهجرة، داهم المرض بنت رسول الله ﷺ السيدة أم كلثوم، فلزمت الفراش حينًا، ثم وافتها المنية في ذلك العام في شهر شعبان، وتألم النبي ﷺ وحزن حزنًا شديدًا.

رحم الله السيدة أم كلثوم رضي الله عنها، كانت نعم الزوجة والمجاهدة، وجمعنا وإياها في الجنة إن شاء الله تعالى، ورزقنا جميعا حب آل بيت النبي ﷺ.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- التأكيد على ضرورة الصبر والاحتساب عند الابتلاء.

٢- التأكيد على أهمية مشاركة الزوج في الجهاد.

إعلمي واعملي:

١- شاركي السيدة أم كلثوم في الجهاد (شاركي في مجالات الدعوة المختلفة بنية الجهاد).

٢- تعلَّمي برك لأمك من السيدة أم كلثوم وهي تراعي أمها السيدة خديجة «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم».

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- كانت السيدة أم كلثوم مثالاً في الصبر، دللي على ذلك.

٢- اذكري قصة زواجها بالصحابي الجليل عثمان بن عفّان.

٣- وضحي أهمية مشاركة المرأة في الجهاد والدعوة إلى الله.

٤- تحدثي عن رعاية السيدة أم كلثوم لوالدتها في أثناء مرضها.

* * *

السيدة
فاطمة (رضي الله عنها) بنت النبي ﷺ

أولاً: عرض السيرة في سطور:

نتناول الحديث عن السيدة فاطمة بنت محمد رضي الله عنها بالارتكاز على النقاط التالية: التعريف بها، حب النبي لها، نداء النبي لها: لا أغني عنك من الله شيئًا، إيذاء الكفار لأبيها، سنوات الحصار، زواجها من عليٍّ (رضي الله عنه)، حماتها وبيت الزوجية، إطعام الطعام، أولادها، قول النبي لها: بنت أبيك، وفاة أبيها، حياؤها، وفاتها.

١- تعريف بها:

فاطمة هي رابع بنات النبي ﷺ، وآخرهن في بيت رسول الله ﷺ، تلك الطاهرة هي التي يكثر ذكرها على لسان كل مسلم، فهي حبيبة رسول الله ﷺ، وحياتها مثال لنساء المسلمين، وقدوة لبناتهم، وكنيتها: أم أبيها، ولقبها: الزهراء.

٢- حب النبي لها حبًا جمًا:

ومن يعلم أنها جاءت إلى الدنيا بعد ثلاث أخوات يدرك ما قد تلاقيه بنت رابعة في بيئة تكره البنات، لكن الذي حدث عكس ذلك، فلقد أحب محمد وزوجته هذه البنت حبًّا لا يوصف، وقد لاقت من عناية أبويها وأخواتها الثلاث ما لا تلاقيه بنت في مثل حالها. ولقد قدر لها التاريخ قدرها موفورًا كاملاً، ولمع اسمها في سماء الدعوة الإسلامية أكثر مما لمعت أسماء أخواتها الثلاث.

٣- نداء النبي لها: لا أغنى عنك من الله شيئا:

لا تنسى فاطمة هذا اليوم الذي وقف والدها على جبل الصفا ينادي الناس: يا بني عبد مناف، يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، يا صفية، يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك

من النار، يا فاطمة، سليني من مالي ما شئْتِ؛ فإني - والله - لا أملك لكم من الله شيئًا.

إنها الصغيرة.. إنها التي كملها ربها من النساء مع آسية ومريم وأمها خديجة، وفي هذه السن المبكرة تدرك فاطمة أهمية العمل لله، وأن أحدًا لا يملك لآخر يوم القيامة شيئًا.. إنها تربية المسلم على الإحساس بحق الإسلام.

٤ - فاطمة وإيذاء الكفار لأبيها:

نمت فاطمة (رضي الله عنها) في هذه الروضة، ولم تر إلا إكرامًا للضيف، وصدقًا في الكلمة، وعطفًا على اليتامى، وسلامة في القلب.. ألا ما أصعب على الفتاة أن ترى والدها يؤذى؟ وما أشد صعوبة هذا الأمر إذا كان الوالد هو محمدًا!.. فأمام البيت تجد القاذورات، والأب الكريم يزيلها عن باب بيته، وتساعده فاطمة، وترقب فاطمة وجه أبيها لا يعلوه الغضب، بل هو مملوء بالصبر، وأي نوع منه؟ إنه الصبر الجميل، ألا ما أحلمك يا رسول الله ﷺ! شيء عصيب أن التي تضع لك القاذورات هي أم جميل زوجة عمك! وترفع فاطمة (رضي الله عنها) الأذى عن أبيها.

ثم ماذا حدث.. وأي أذى أصابه؟

ما حدث أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت يسبح ربه ويعبده، ثم بدأ الصلاة، فلما سجد نظر مشركو مكة بعضهم إلى بعض والحقد يملأ صدورهم، ويشعرون أن محمدًا على الحق، والكبر يمنعهم من الإيمان به، فيقوم أحدهم ويضع سلا الجزور على ظهر خير خلق الله وهو ساجد، ليضحك السفهاء، وجاءت فاطمة لترفع الأذى من على ظهره، وتدفع القذر بعيدًا..

وأشد ما رأت فاطمة من أذى لأبيها حين دخل عليها والتراب على رأسه، فأخذت تمسح التراب عن وجهه وهي تبكي، فيطلب الأب الكريم من ابنته ألاّ تبكي؛ فالله يعصمني منهم.

وتفهم معنى هذا الأمر أن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فكم قُتل من أهل الخير على مر العصور! وكم من صاحب حق عذب دون جريرة! إنه صراع أهل الحق وأهل الباطل.

٥- فاطمة وسنوات الحصار والهجرة:

رأت فاطمة (رضي الله عنها) أنواعًا جديدة من الأذى؛ فقريش اتفقت على مقاطعة المسلمين، ورأت ما يحدث لرقية وأم كلثوم أختيها، فقد طلقتا نكاية في أبيها، ورأت أهل الإيمان جميعًا في شعب أبي طالب، لأن قريشًا تحاصرهم، وتمنع عنهم الطعام. وأصعب ما رأت فاطمةُ أمَّها خديجة قد أثقلتها الأمراض، وشق عليها الحصار وهي صابرة.

ثم ينتهي الحصار، وتمر الأزمة بعد شدتها، لكن السعادة لا تستمر، فقد مات أبو طالب، وهاهي خديجة يشتد بها المرض، وتزداد آلامها، وتعيش فاطمة هذه اللحظات التي تعاني فيها خديجة من سكرات الموت، وتفارق الروح الجسد، وتصعد لخالقها، وتشاهد فاطمة ثقل الأمر على أبيها، ويُسمى هذا العام بعام الحزن.

ويشتد الإيذاء بالمسلمين بعد ذلك، فيهاجر المسلمون إلى المدينة، وبهذه الهجرة خرجت كل الدنيا من قلب فاطمة (رضي الله عنها)؛ لتستقبل دارًا جديدة أصلها الإسلام.

٦- زواجها من علي ﷺ:

جاء أبو بكر ﷺ يطلب فاطمة لنفسه، وهو نسب شريف يتطلع إليه كل إنسان، ولكن يرده النبي ردًّا جميلاً، ويقول له: انتظر فيه القضاء.

ويذهب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يطلب فاطمة، فيرده النبي أيضًا، ثم يذهب كلاهما إلى علي ﷺ ويقولان له: ما يمنعك أن تأتي ابن عمك رسول الله فيزوجك؟ وكان علي مترددًا؛ لأنه ليس عنده ما يتزوج به.

ثم ذهب علي إلى النبي ﷺ، ودار بينهما هذا الحوار:

قال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك، ألك حاجة؟

فسكت علي ولم يُجِبْ، فقال ﷺ: لعلك جئت تخطب فاطمة؟

قال: نعم.

قال: وهل عندك من شيء تقدمه لها؟

قال: لا- والله- يا رسول الله.

فقال: ما فعلت في درعك الحُطَمِيّة (وهي درع أخذها عليّ من غنيمة قيمتها أربعة دراهم)؟

قال: هي عندي.

فقال: قد زوجتكما، فابعث إليَّ بها.

إن سعادة الزواج ليست بكثرة المال، ولكن بحسن الاختيار (اظفر بذات الدين تربت يداك).

وتم الزفاف في نهاية السنة الثانية من الهجرة، وزُفت فاطمة ومعها جهازها، فما تُرَى ما هو جهازها؟

قربة ماء- إهاب شاة (جلد شاة بعد ذبحها)- منخل- قدح- خميلة (قَطِيفة).

٧- العروس وحماتها وبيت الزوجية:

كان يعيش مع فاطمة (رضي الله عنها) في البيت فاطمة بنت أسد، أم علي ﷺ، وكانت فاطمة تؤدي واجبها نحو أم زوجها، وأكرمت فاطمة بنت أسد زوجة ولدها، وتحقق للبنت الاستقرار والسعادة.

كان الزوج عليٌّ قليل المال، وكانت فاطمة تقوم بمسئوليتها على خير وجه، تبذل الجهد، وتعاني المشقة، فيطلب علي من فاطمة أن تذهب إلى النبي ﷺ، لتطلب خادمًا يعينها، فتستحي فاطمة أن تطلب من أبيها، فيذهبا معًا ويدور هذا الحوار:

قال علي: والله يا رسول الله، لقد سَنَوتُ. (أي حملت الماء حتى جئت لأشتكي ظهري)

وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى ملخت يداي، وقد منَّ الله عليك بسبي وسعة، فأخدمنا (أي أعطنا خادمًا).

فقال ﷺ: «والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم»، ثم قال: «مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني»؟.

قالا: بلى.

قال: «كلمات علمنيهن جبريل؛ تسبحان في دبر كل صلاه عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمد ثلاثًا وثلاثين، وكَبِّرا أربعًا وثلاثين» [رواه أحمد]. ألا ما أروع هذا الحنان!

٨- الزوجان يطعمان الطعام على حبه:

يعود عليٌّ إلى بيته ومعه دراهم معدودة، ويشتري بها دقيقًا وشيئًا من سمن؛ لقرب مجيء أيام الصيام، ويصبح علي وفاطمة صائمين، ثم تقوم فاطمة لتصنع فطيرة حين حان وقت الإفطار، وإذا بطارق مسكين يطلب طعامًا، فيقدمان له الفطيرة كلها.

إنها نفوس كبيرة تتطلع إلى جنة ﴿ **أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ** ﴾ [الرعد: ٣٥]، وكان الماء إفطار هذه الأسرة، وفي اليوم التالي تصنع فاطمة فطيرة أخرى، ويتكرر ما حدث من طارق يتيم، فيقضيان يومًا آخر من الصيام بلا طعام.

ويوم ثالث، والطارق اليوم أسير، وتستجيب الأسرة التي طوت الأيام جوعًا، استجابت للأسير ودفعت بالفطيرة كلها إليه. هذه أمة تدعو إلى الخير وتبذله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وتستجيب لأوامره: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا** ﴾ [الإنسان: ٨-٩].

٩-أولادها:

ولدت فاطمة الحسن في رمضان من العام الثالث من الهجرة، وكان أشبه الناس بجده من الرأس إلى صدره، ثم ولدت الحسين في آخر السنة الرابعة من الهجرة، ويشبه جده من صدره إلى رجليه، ومات شهيدًا، وولدت محسنًا سقطًا، وولدت أم كلثوم في السنة الخامسة من الهجرة، وزينب في السنة السادسة من الهجرة.

أخذ النبي ﷺ بعلي وفاطمة والحسن والحسين وقال: «اللهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» [رواه الترمذي].

١٠ -قول النبي لها: بنت أبيك:

ما كانت فاطمة (رضي الله عنها) تتزين بالذهب الكثير، سوى قلادة تتحلى بها في عنقها، ويقع نظر النبي ﷺ على شيء، ويكرر النظر إلى الشيء، وتلاحظ فاطمة تغيرًا في وجه أبيها، ومضت لحظة صمت خرجت فاطمة بعدها والحزن يملأ قلبها؛ لما بدا على وجه أبيها من آثار الغضب والحزن، وأخذت فاطمة تفكر كيف تتخلص من القلادة، وتدخل السرور على قلب أبيها؟ وجاءت الفكرة أن تشتري بثمن السلسلة عبدًا وتعتقه. إنها فكرة جميلة. وكان من الممكن أن تشترى بثمنها عبدًا يعينها في المنزل، ولكنها اشترت عبدًا بثمنها.

وجاءت إلى النبي ﷺ وسألها عن القلادة، فقالت: بعتها، واشتريت عبدًا بثمنها وأعتقته. فيتهلل وجه النبي بالبشر والسرور، وويناديها: بنت أبيك.

١٢ - فاطمة ووفاة الرسول ﷺ:

دخلت فاطمة يومًا على أبيها فناداها وأسرَّ إليها، فبكت، ثم ناداها مرة أخرى وأسرَّ إليها فضحكت، والسيدة عائشة (رضي الله عنها) أم المؤمنين في جانب البيت ترقب ما يحدث، فسألتها عائشة (رضي الله عنها) عمَّ حدث؟ فقالت فاطمة: ما كنت لأفشي سر رسول الله.

وعندما سألت السيدة عائشة (رضي الله عنها) مرة أخرى عن هذا الأمر بعد وفاة النبي ﷺ، قالت فاطمة (رضي الله عنها): الآن نعم- لقد كان السر متعلقًا بحياته- قالت: لقد أخبرني بدنو أجله، وقرب فراقه، فبكيت، ثم أسرَّ إلي وقال: «أترضين أن تكوني أول أهلي لحوقًا بي»، فضحكت.

تلك هي الدنيا لقاء الفراق.. أحبب من شئت فإنك مفارقه.. ولكن من الميت، إنه خير خلق الله، ورحمة الله للعالمين، فكيف كان حال فاطمة.. تردد فاطمة:

يا أبتاه إلى جبريل ننعاه   يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه

وقالت فاطمة لأنس: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ.

١٢ - فاطمة والحياء:

كانت فاطمة بجوار أسماء بنت عميس، فقالت: يا أسماء، إني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله، ألا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة؟ إنهم يحملون موتاهم على خشبة ذات جوانب، وتُغطّى بغطاء من قماش، وبهذا يستر الميت.

وهذا ما كانت ترجوه فاطمة، فتسعد بذلك، وتستبشر خيرًا، وتوصي أن يُصنع بها مثل ذلك، وتدعو فاطمة لأسماء: سترك الله كما سترتني. فما أروع هذا الحياء!

وهكذا كانت فاطمة (رضي الله عنها) أول من غُطّي نعشها من النساء في الإسلام على الصفة المذكورة في هذا الخبر، ثم بعدها زينب بنت جحش (رضي الله عنها).

وماتت فاطمة (رضي الله عنها) بنت رسول الله ﷺ، وكانت أول أهله لحاقًا به.

١٣ -الوفاة:

عاشت فاطمة بعد وفاه أبيها في شوق إلى لقاء والدها الحبيب، ومرضت فاطمة، وكانت أم سلمى تقوم على تمريضها، فقالت فاطمة: يا أماه، اصنعي لي غسلاً. فاغتسلت أحسن ما يكون، ولبست ثيابًا جددًا، واضطجعت واستقبلت القبلة.

حدث هذا في ليلة الثلاثاء في شهر رمضان بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر، وصلى عليها العباس عم الرسول ﷺ.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة من سيرة السيدة فاطمة (رضي الله عنها):

١- أهمية العمل لله، وأن أحدًا لا يملك لآخر يوم القيامة شيئًا. إنها تربية المسلم على الإحساس بحق الإسلام.

٢- إدراك أن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وعلى قدر إيمانك يكون ابتلاؤك.

٣- إدراك أن السعادة الزوجية ليست بكثرة المال، ولكنها بالاختيار الصحيح.

٤- اليسر والبساطة في الجهاز والمهر (كوني رحيمة بشريك حياتك ووالديك عند الزواج).

٥- ضرورة الإيثار والإنفاق في سبيل الله.

٦- أهمية الحياء في حياة المسلمة (فقد منع الحياء السيدة فاطمة من أن تموت ويطرح عليها ثوب يصفها).

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- ضربت السيدة فاطمة (رضي الله عنها) وأبيها مثلاً لنا في أسس الزواج الصحيحة. وضحي ذلك.

٢- إذا أتاكِ فقيرٌ يريد طعامًا ولا يوجد في بيتك غير القليل من الطعام، فماذا تفعلين بصدق؟

٣- اذكري موقفًا لكتمان السر مما قرأتِ.

٤- الحياء تاج الأخلاق. اذكري من القصة ما يفيد هذه المقولة.

٥- على قدر الإيمان يكون الابتلاء. وضحي هذه العبارة.

٦- وضحي أهمية الاختيار الجيد لشريك الحياة، والبساطة في الاستعداد للزواج.

٧- وضحي أهمية الإنفاق في سبيل الله.

٨- عددي أمثلة لصور الحياء المختلفة في المجتمع.

٩- كان علي وفاطمة وأولادهما مثالاً للبيت المسلم، وضحي ذلك مع بيان كيفية الاستفادة من هذا النموذج في إنشاء البيت المسلم.

* * *

الباب الرابع

باب العقيدة

عقيدة المرأة المسلمة

المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يَهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فإن أصل الفساد مخالفة الحق، وتنكب طريقه، وصلاح الأمر كله في اتباع الحق، والتزام طريقه، والحق هو الوضع الثابت الذي خلق الله عليه مخلوقاته، أو أرادها أن تكون عليه، وذلك لأنه ليس من مخلوق في الدنيا إلا وخلقه الله وحده، ودبر أمره بكيفية معينة، والله ﷻ كامل مُنزَّه عن الخطأ، فالصلاح كله في خلق الله وتدبيره، وكل شيء يحول عن الوضع الإلهي وتدبيره سبحانه يفسد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

والإنسان مخلوق من مخلوقات الله ﷻ، وصلاح حياته مرهون بمعرفة الحق واتباعه، وفساد حياته نتيجة محتومة لجهله بالحق، أو تمرده عليه إن عرفه.

ولَمَّا كان الله سبحانه هو الحق، ومنه الحق، وأمره وتدبيره هو الحق، فإن سبب صلاح الحياة البشرية كلها هو الإيمان بالله ﷻ، وبما نزل من عنده، والالتزام بإرادته وأمره في شئون الإنسان كلها، وسبب فساد البشرية كلها هو الكفر بالخالق، والكفر بأمره وتدبيره، وبما أنزل من الحق، لهذا قال الله: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

والإنسان في هذه الدنيا ممتحن بهذين الأمرين: ذكر الله واتباع هديه، أو نسيانه والضلال عن طريقه؛ لذا فهو في مفترق طريقين لا ثالث لهما:

طريق الإيمان والهدى والسعادة في الدنيا والآخرة، وطريق الكفر والضلال والشقاء في الدارين.

لذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان، ويتربى عليه، ويعلمه لغيره هو أركان الإيمان، وحقيقته، ومظاهره.

وهكذا نجد العقيدة تغرس في النفس الإحساس بقدرة الخالق وإرادته وحكمته وعلمه وخبرته، وسائر أسمائه الحسنى، وجماله الأسنى، وتدفع المسلم إلى خير الأعمال؛ لأن الإيمان المعتبر مقترن بالسمع والطاعة، والتطهر من الجحود والاستكبار.

تستطيع العقيدة أن تصنع سمية، بل وآلافًا مثلها، وتصبغهم بصِبغة الله، ومَن أحسن من الله صِبغة!

إن العقيدة الإسلامية هي التي حولت الحفاة العراة، عبَّاد الصنم والحجر والوثن والشجر، إلى أبطال دانت لهم فارس والروم وغيرها من الممالك.. جمعتهم بعد تمزق.. أعزّتهم بعد ذل.. أغنتهم بعد فقر.. ألفت بين قلوبهم بعد عداء، فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا.. ففتحوا قلوب العباد قبل البلاد بأخلاقهم الكريمة، وسيرتهم الحميدة، فأصبحوا أساتذة البشرية، ومازال ثناء الله عليهم في القرآن غضًّا طريًّا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

في هذا الباب:

الفصل الأول: التعريف بحقيقة التوحيد وبعض مظاهره.

الفصل الثاني: معرفة بعض أسماء الله الحسنى، والعبادات القلبية المتعلقة بها.

والله ﷻ هو الموفق للصواب، فما أصبنا فيه الحق، فهو من الحق ﷻ، وما أخطأنا فهو من أنفسنا ومن الشيطان، ونتضرع إلى الله أن يغفر لنا، ويجعلنا وآباءك من عباده الصالحين.

أهداف الباب:

١- توضيح حقيقة التوحيد ومظاهره.

٢- معرفة بعض الأعمال التي قد تفسد العقيدة.

٣- استشعار عظمة الله سبحانه وتعالى، من خلال معرفة ومدارسة بعض أسمائه الحسنى.

٤- تزكية النفوس من خلال معايشة العبادات القلبية المتعلقة بكل اسم.

* * *

الفصـــل الأول
التوحيد ومظاهره

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

في هذا الدرس نتناول: اشتمال كلمة التوحيد على أنواع التوحيد الثلاثة، تفصيل أنواع التوحيد الثلاثة، التوحيد تحلٍّ بالإيمان وتخلٍّ عن الكفر والشرك، نواقض الإيمان ومداخلها.

١ - اشتمال كلمة التوحيد على أنواع التوحيد الثلاثة:

ذكرنا أن الإيمان بالله عزَّ وجلَّ معناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق أن يفرد بالعبادة: من صلاة وصوم ودعاء وخوف ورجاء وذل وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها، والمنزه عن كل نقص[١].

ونحن نعرف أن مفتاح الإيمان هو قول: لا إله إلا الله. وهي كلمة التوحيد.

وهذه الكلمة تتضمن توحيد الله سبحانه وتعالى في ثلاثة أمور: ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية، وصفات الكمال، وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء، ولا رب غيره، وإله كل شيء، ولا إله غيره، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره.

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل في معنى الإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

٢ - تفصيل أنواع التوحيد الثلاثة:

النوع الأول: توحيد الربوبية:

معناه الإجمالي: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره.

---

(١) يراجع الإيمان بالله من الكتاب الأول.

وتوحيد الله في الربوبية: هو الإقرار بأن الله سبحانه وحده خالق الخلق ومالكهم، ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارّهم، ومجيب دعائهم، والقادر عليهم، ومعطيهم ومانعهم، وله الخلق والأمر كله، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد إفصاح، ولا تكاد سورة تخلو من ذكره أو الإشارة إليه، فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى؛ لأن الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع، وهو المستحق وحده للحمد والشكر والذكر والدعاء والرجاء والخوف وغير ذلك، والعبادة كلها لا يصح أن تكون إلا لمن له الخلق والأمر، أي لله. لهذا نجد أن القرآن الكريم قد ذكر هذا النوع من التوحيد في مقام الحمد لله، وعبادته، والانقياد له والاستسلام، وفي مقام بيان صفاته الجليلة، وأسمائه الحسنى.

معنى مقام الحمد: المسلم في كل ركعة يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ويقول سبحانه وتعالى في مقام الاستسلام لله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وفي مقام التوجه لله وإخلاص القصد إليه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وفي مقام الدعاء قال جل وعلا: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤، ٥٥].

النوع الثاني: توحيد الألوهية:

معناه الإجمالي: الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده بالعبادة.

والعبادة في اللغة: هي الانقياد والتذلل والخضوع، وقد عرفها بعض العلماء بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع، فتوحيد الإلوهية يُبنى على إخلاص العبادة لله وحده في باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه، فالمؤمن بالله يعبد الله وحده، ولا يعبد

غيره، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع، وجميع أنواع العبادة وأشكالها.

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى.

إن العبد الذي يوحد الله في إلوهيته على الخلق، فيُقر بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق للعبادة، وأن غيره لا يستحقها، ولا يستحق شيئًا منها، يقر في الواقع بأن الله رب العالمين، وبأن له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة؛ لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب، ولا يكون لمن فيه نقص، وهذا يستلزم توحيد الله في إلوهيته، بمعنى أن تتوجه إليه وحده بجميع أنواع العبادة وأشخاصها، ونخلص قلوبنا فيها.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

معناه الإجمالي: الاعتقاد الجازم بأن الله عزَّ وجلَّ متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه، أو أثبته رسوله ﷺ له من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف.

٣- التوحيد تحلٍ بالإيمان وتخلٍ عن الكفر والشرك:

عرفتِ أختنا أن للأيمان أركانًا تتفرع عن كلمة التوحيد، وأن أهم ما تنشغل به المؤمنة هو معرفة الله؛ ليزداد إيمانها، وتحقق المعنى الكامل للعبودية، إلاَّ أن هناك جانبًا آخر ينبغي أن تُعنى به المؤمنة، وتحسم موقفها منه، ألا وهو: طرح الكفر والشرك؛ إذ إنه من غير المستبعد أن تلتبس علينا المعتقدات أو الأفعال التي تناقض الإيمان من حيث لا نشعر، وهو ما حذرنا الله منه سبحانه بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

وجملة القول: لا يستقيم الإيمان إلا إذا سلمت صاحبته من كل اعتقاد أو قول أو فعل يناقض معاني التوحيد السابقة.

٤ - نواقض الإيمان ومداخلها:

إذا انتقض إيمان المرء صار كافرًا، ولا يكفر أحد إلا بجحود ما دخل فيه، والجحود

شيء في القلب لا يطلع عليه أحد من البشر، إلا أن هناك أعمالاً تدل على أن إيمان فاعلها ليس خالصًا.

ولسنا بصدد حصر هذه المظاهر، فهو أمر يطول، ولسنا بصدد الحكم على الناس، ولكننا نخاطب مؤمنات صادقات نحذرهن من بعض المظاهر التي قد تؤدي بهن إلى ما لا تحمد عقباه من التباس إيمانهن بكفر أو شرك.

وسنعنى في دراستنا هذه في الصفحات التالية بأبرز هذه المظاهر، وهي:

المظهر الأول: الحلف بغير الله.

المظهر الثاني: النذر لغير الله.

المظهر الثالث: التوسل بغير ما شرع الله

المظهر الرابع: التعلق بكلام السحرة والدجالين وأشباههما.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضنا، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك، فاحذري على عقيدتك وإيمانك أن ينتقض شيء منهما، لاسيما توحيد الألوهية.

٢- نؤمن بما وصف الله به نفسه، ولا نصفه بشيء سواه، والله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

٣- تقوية عقيدتنا تكون بطرح الشرك، والتدرج في درجات الإيمان، يعني كلا الطريقين معًا.

٤- معرفتنا للعقائد الخاطئة ليس لمحاسبة الناس والحكم عليهم، بل لنحذرها ونحذر منها الآخرين.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي:

- يتضمن ... جميع أنواع التوحيد الثلاثة، وهو أخطر الأنواع؛ حيث إن الشيطان

يراهن عليه في معركته.

- يعد توحيد ... بمثابة الأساس لأنواع التوحيد الأخرى.

- توحيد الأسماء والصفات معناه: ...

٢- التوحيد تحلٍّ بالإيمان، وتخلٍّ عن الكفر والشرك، اشرحي هذه العبارة.

٤- ما الفائدة من معرفة نواقض الإيمان ومظاهر الشرك والكفر؟

٥- الإيمان قول وعمل. وضحي ذلك.

***

المظهر الأول
الحلف بغير الله

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الموضوع: المقصود بالحلف، والحلف في ميزان الإسلام، مظاهر الانحراف بالحلف، الضوابط الشرعية لحسم هذه الانحرافات.

١ - حقيقة الحلف:

الحلف: هو اليمين، وهي توكيد الحكم بذكر مُعَظَّم على وجه الخصوص.

فالمقصود بالحلف أصلاً هو توكيد حكم المقسوم عليه، فإذا لم يكن القصد توكيد الحكم لا يعد حلفًا؛ كلغو اليمين، وهو: ما يقع في عامة الكلام بلا قصد الحلف، كأن يقول: لا والله ليس كذا، أو بلى والله إنه كذا، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة:٨٩].

والحلف يكون باقتران أحد حروف القسم بالمقسم به، وهي الباء والواو والتاء، فمن يقول: في ذمتك أو بالأمانة، ليس من الحلف، إلا إذا كان معه تقدير: في ذمتك يمين.

٢ - الحلف في ميزان الإسلام:

الحلف دليل على تعظيم المقسوم به، والتعظيم حق لله تعالى وحده، وقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، فلا يجوز الحلف بغيره، وهو من التنديد الداخل تحت قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

والحلف بغير الله شرك يدخل في شرك الربوبية، وقد يدخل في شرك العبادة، روى ابن عمر (رضي الله تعالى عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ الله فقد كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» [رواه الترمذي].

وتختلف درجته باختلاف حال الحالفة، فإن جرى ذلك على لسانها دون قصد تعظيم، فهو من الشرك الأصغر؛ شرك الألفاظ الذي يجب أن تطهر المسلمة لسانها منه.

أما إذا كانت تقصد بذلك تعظيم المحلوف به، واقترن مع ذلك عقيدتها في أنه يطلع على حالها، وأنه قد يعاقبها؛ فإن هذا يكون من الشرك الأكبر الذي يخرج من الدين الإسلامي، والعياذ بالله.

ويجب توقير اليمين بالله فلا نكثر منها، قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، أي لا تحلفوا إلا عند الحاجة، وفي حالة الصدق والبر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» وجاء فيه: «ورَجُلٌ جعَل اللهَ بضاعَتَهُ، لا يَشْتَرِي إلاَّ بِيَمِينِهِ ولا يَبِيعُ إلاَّ بِيَمِينِهِ» [رواه الطبراني، والبيهقي في الشعب].

وكذلك يحرم الحلف بالله كاذبًا، وهي الغموس، وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون.

فنخلص من ذلك إلى:

أ - تحريم الحلف بغير الله تعالى؛ كالحلف بالأمانة، أو الكعبة، أو بالنبي، وأن ذلك شرك.

ب - تحريم الحلف بالله كاذبًا متعمدًا، وهي اليمين الغموس.

ج - تحريم كثرة الحلف بالله - ولو كان صادقًا - إذا لم تدع إليه حاجة؛ لأن هذا استخفاف بالله سبحانه.

د - جواز الحلف بالله إذا كان صادقًا وعند الحاجة.

٣ - مظاهر الانحراف بالحلف:

أدى ضعف الإيمان لدى البعض، وجهلهم بالمعنى الحقيقي لتقديس عظمة الله إلى التساهل في أمر الحلف، فساروا على أخطاء السابقين، وتلبسوا بغيرها من الأخطاء، ومن هذه الانحرافات:

أ - الحلف بالآباء والأمهات وقولهم: ورحمة أبي أو أمي.

ب- الحلف بأشياء تتعلق بالدين أو المقدسات الإسلامية؛ كالكعبة والنعمة والمسجد.

ج- يتساهل البعض ليحلف بكل شيء؛ بالأمانة وبالكلمة وبالذمة، حتى إن واحدة تحلف وتقول: وحياة المشوار الذي نسير فيه.

د- ما نراه من بعض زوار الأضرحة من تعظيم أهلها، والحلف بهم، حتى إنه إذا طلب من أحدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمه لم يحلف به إلا إذا كان صادقًا.

هـ الحلف بالرسول أو النبي، وما قيل من أنه يُستثنى في النهي عن الحلف بغير الله الحلف بالنبي ﷺ باطل لا دليل عليه.

٤- الضوابط الشرعية لحسم هذه الانحرافات:

وضع الإسلام قواعد لحسم الأخطاء الموجودة، والتي قد تستحدث في شأن الحلف، ومن هذه القواعد:

أ- النص على تحريم كل ما يُحلف به سوى الله، فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَلاَ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»** [رواه البخاري]، وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: **«لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلاَ بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلاَ بِالأَنْدَادِ، وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ بِاللهِ، وَلاَ تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلاَّ وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»** [رواه أبو داود والنسائي]، وعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»** [رواه أبو داود].

ب- لم يكتفِ الشرع بمجرد النهي، بل نصَّ على تصويب تلك الأخطاء، فعن قتيلة بنت صفي، أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون، وإنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: **«ورب الكعبة، ويقول أحدهم: ما شاء الله ثم شئت»**. [رواه أحمد والنسائي وصححه].

ج- شرع الكفارة لمن حلف بغير الله، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ وَاللاَتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»** [متفق عليه]، عن أبي هريرة ﷺ قال: «كنا حديثي عهد بالجاهلية، فحلفت باللات والعزى، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ

فقال: «قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ثُمَّ انْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلاَثًا، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثُمَّ لاَ تَعُدْ» [رواه النسائي].

د- توقير النبي وتعزيره يكون بلا غلو؛ يقول النبي ﷺ: «لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» [رواه البخاري].

هـ جعلت الشريعة من الشرك الأصغر قول ما شاء الله وشئت، وصواب هذه المقولة مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، قَالَ: «جَعَلْتَنِي عَدْلاً، قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ» [رواه الطبراني في الكبير].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

* نُبصِّر غيرنا بخطأ الحلف بغير الله؛ وذلك بأن ننبهه إذا أقسم أمامنا بغير الله، ونعرفه كيف يُكفِّر عن ذلك.

* إذا نسينا أو أخطأنا وأقسمنا بغير الله؛ فلنقل: لا إله إلا الله.

* أعلم أن العظمة لله وحده؛ لذلك لا أحلف بغيره أبدًا، مثل: (النبي، الكعبة، المصحف..).

* تكليف النفس وتحريض الآخرين على ضرورة الالتزام بأوامر الشرع، والاقتداء بعمر بن الخطاب ﷺ؛ حيث قال- بعدما سمع نهي رسول الله ﷺ-: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها، ولا تكلمت بها.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي:

الحلف هو: ... والمقصود منه: ....

٢- اذكري الأسس الأربعة التي يزن بها الإسلام مسألة الحلف.

٣- اذكري مثالاً لما يلي:

أ- الحلف بالآباء والأمهات.

ب- الحلف بأشياء تتعلق بالدين أو المقدسات الإسلامية.

ج- تساهل البعض للحلف بكل شيء.

د- تعظيم بعض زوار الأضرحة لأهلها، والحلف بهم.

٤- نصت الأحاديث على تصويب أخطاء الحلف بمثل الكعبة. وضحي هذا.

٥- بم وجه الرسول ﷺ من حلفت بغير الله لتكفر عن خطئها؟

٦- توقير النبي وتعزيره يكون بلا غلو. وضحي صلة العبارة بالحلف، وما الدليل على صحتها؟

* * *

المظهر الثاني
النذر لغير الله

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الموضوع: حقيقة النذر، والنذر في ميزان الإسلام، ومظاهر الانحرافات، والضوابط الشرعية لحسم هذه الانحرافات.

١- حقيقة النذر:

النذر لغة: هو الوعد بخير، والنذر المقصود في الشرع: هو التزام الناذر طاعة محددة من تلقاء نفسه، إما مطلقًا، كأن تقول المرأة: لله عليَّ الصيام غدًا، أو مقيدًا؛ كأن تقول: لله عليَّ الصيام غدًا إذا نجَّح الله ولدي.

وهو أمر معهود قبل الإسلام بكثير، قال تعالى عن مريم: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:٢٦]، وسأل عمر ﷺ رسول الله ﷺ عن نذر صيام ليلة في الجاهلية، ماذا يفعل فيه؟ فأوصاه أن يقضيه.

والنذر يقصد به التقرب إلى المعبود إظهارًا لهيمنته، وافتقار الناذر إليه.

٢- النذر في ميزان الإسلام:

اختلف العلماء هل النذر عبادة أم لا، فقد أثنى الله على الأبرار بأنهم: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾، وفي الحديث: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ» [رواه البخاري].

في حين جاء النص على كراهته، فقد سئل النبي ﷺ عن النذر، فقال: «إِنَّهُ لاَ يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ» [رواه مسلم].

والذي تستريح له النفس ويستقيم مع ظاهر الآيات والأحاديث في النذر:

أ- أن النذر عبادة يجب الوفاء بها، إلا أن تكون في معصية.

ب- كراهة النذر المقيد مع لزوم الوفاء به.

ج- أن النذر يجب ألا يكون إلا لله.

د- النذر لغير الله شرك به تعالى.

وهذا المعنى الخاطئ يستحضره كثير من العوام الذين يستعملون النذور، فإنهم يظنون أن حاجتهم لا تحصل إلا بالنذر، وخطورة الأمر هنا عظيمة؛ لأنها منزلق إلى الشرك الأكبر؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله.

٣- مظاهر الانحراف في عبادة النذر:

قد يحصل الانحراف بالنذر عن ميزان الشريعة بصور، منها:

أ- أن تنذر المرأة صلاة أو صدقة لأحد الأولياء إن حصل لها مصلحة معينة؛ كنجاح أو زواج أو إنجاب.

ب- أن تكون هذه العبادة ذبحًا مشروطًا على طريقة النذر.

ومما يجب التنبه إليه أن كون النذر شركًا أكبر يخرج من الملة لمن خلصت نيته في التقرب لغير الله بهذه الطاعة، واعتقاد قدرة المتقرب إليه على فعل الأمر، أو أن الله أودعه قدرة يتصرف بها مطلقًا. وهذه النية أمر خفي؛ لذا يجب التحري، وعدم التسرع في رمي أحد بالشرك والخروج عن الملة.

٤- الضوابط الشرعية لحسم هذه الانحرافات:

ومن الضوابط التي يمكن ملاحظتها من الأحكام الشرعية المتعلقة بالنذر لحسم أي انحراف:

أ- اعتبار أن النذر لله وحده أمرٌ مُسلمٌ به ولا خلاف عليه، إذ النذر خلاف الحلف، والانحراف فيه بالصورة المخرجة من الملة قليلٌ بفضل الله، فنجد الكلام عن النذر أنه لله، وأن الناذر لا يقصد به سوى الله، حتى ولو معصية، ففي الحديث: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلاَ يَعْصِهِ**» [رواه البخاري].

ب- مشروعية النية والبسملة والذكر عند عامة العبادات والنسك، ففي الحديث: «كُلُّ كَلاَمٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُفْتَحُ بِذِكْرِ الله عزَّ وجَلَّ فَهُوَ أَبْتَرُ» [رواه أحمد]، ويقول تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، ويقول جل وعلا عن الهدي: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهَا﴾ [الحج: ٣٦].

ج- التنبيه لضرورة الإخلاص لله في النذر والصدقة خاصة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة:٢٧٠].

د- تأكيد عقيدة أن الاستعانة لا تكون إلا بالله، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وقال النبي ﷺ لابن عباس ﷺ: «يَا غُلامُ، إِنِّي أعلّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ اللهَ، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحفُ». [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

ه- الأولياء لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا: فالمرء مهما بلغ من إيمان وصلاح فهو عبد لله، والضار النافع هو الله: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلا هُوَ وإن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

ثانيا: جوانب تطبيقية مستفادة:

* إذا نذرت لله طاعة فلتوفي بنذرك؛ فإنه عبادة.
* زيارة مساجد الأولياء والصالحين والنذر لهم على أنهم مباركون من مظاهر الشرك.
* نكرم مكانة الأولياء والصالحين المقبورين، ولكن لا نعتقد أن لهم من الأمر شيئًا.
* نبين للناس حرمة النذر لغير الله.
* إدارة حلقة نقاش حول المعنى التالي:

المسلمة الحق هي التي تتوكل على الله، وتوقن به، وتُحسن الأخذ بالأسباب.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي:

النذر لغة: ... وشرعًا: ... ويقصد به: ...

٢- إلى أي مدى تؤيدين العبارات التالية؟ ولماذا؟

*النذر عبادة. *يجب الوفاء بالنذر مطلقًا.

٣- متى يكون النذر لغير الله شركًا أصغر؟ ومتى يكون شركًا أكبر؟

٤- اذكري الدليل على ما يلي:

أ- مشروعية النية والبسملة والذكر عند عامة العبادات والنسك دعمًا للإخلاص، وطرحًا للشرك.

ب- ضرورة الإخلاص لله في النذر والصدقة خاصة.

ج- الاستعانة لا تكون إلا بالله.

د- الأولياء لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا.

* * *

المظهر الثالث
التوسل غير المشروع

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الموضوع: حقيقة التوسل، الوسيلة والتوسل في ميزان الإسلام، مظاهر الانحرافات في مسألة التوسل، الضوابط الشرعية لحسم مسألة التوسل.

١- حقيقة التوسل:

التوسل مأخوذ من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد، والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع: التوصل إلى رضوان الله والجنة بوسيلة (فعل أو قول).

والتوسل معروف قبل الإسلام، فقد كان العرب يقرون لله بأنه الخالق، وكان منهم من يقول عن عبادة الأوثان: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فاعتبروا تقديم أموالهم وأولادهم للأصنام وسيلة وقربة لهم عند الله.

وقد علمت في الدرس السابق أن النذر يقصد به التقرب للمعبود، وينبغي أن يكون لله، فالتوسل أعم من النذر؛ لأنه مطلق التقرب.

٢- التوسل والوسيلة في ميزان الإسلام:

أمرنا الله بعبادته والتقرب إليه بالوسيلة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقد أثنى على عباده بتوسلهم له، وانتقائهم الأقرب إلى الله، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

والمراد بالوسيلة في الآيتين: العمل الصالح. قاله غير واحد من السلف، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ...﴾ الآية، قال: نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنْ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ وَالإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ» [رواه مسلم]. فالوسيلة إلى الله الحق إسلام الجن لله لا عبادة الإنس لهم.

ومن التوسل المشروع:

أ- التوسل باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته، كأن تقولي في دعائك: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أو برحمتك أن تعافني.

ب- التوسل بعمل صالح قمت به، كأن تقولي: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو تقولي: اللهم بحبي لنبيك محمد ﷺ، وإيماني به، فرِّج عني، أو تذكري عملاً صالحًا ذا بال قمتِ به، فتتوسلي به إلى ربك، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة.

ج - التوسل إلى الله بدعاء الصالحين، فيجوز أن تطلب المسلمة ممن ترى فيهم الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعة الله دعاء لله لها بما تنشده وترجوه.

٣ - مظاهر الانحرافات في مسألة التوسل:

الواقع أن التوسل يكون لله، لكن الكلام في نوع الوسيلة: أهي مشروعة أم لا؟ وقد عرفت الوسيلة المشروعة، أما الوسيلة غير المشروعة فمنها:

أ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين، والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر.

ب - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة؛ بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٤ - الضوابط الشرعية لحسم هذه الانحرافات:

يمكن إجمال القواعد الشرعية الصحيحة في التوسل فيما يلي:

أ – التوسل إلى الله يكون بالإيمان والعمل الصالح.

ب- دعم الدعاء بالتوسل باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته مشروع.

ج- التوسل بطلب الدعاء من الصالحين، وتجنب التوسل بالأموات مطلقًا.

د- من الأفضل ترك الخلاف في التوسل بالصالحين أحياء وأمواتًا، أو جاه الأنبياء.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

* استشعري عند العمل الصالح؛ كالصلاة والصوم، التقرب إلى الله.

* اجعلي القرب من الله على رأس قائمة النوايا من العمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:٩٩].

* إذا دعتك نفسك للتقرب إلى الله بجاه أحد، أو رأيت أحدًا يفعل ذلك، فتذكري أن عظم أسماء الله وصفاته أكرم من كل المخلوقين.

* ترك التوسل إلى الله بالأنبياء والصالحين لا ينقص من مكانتهم شيئًا.

* نبين للناس ما يجوز وما لا يجوز من الوسيلة..

* اجعلي لك مخزونًا من العمل الصالح تتوسلين به عند الله، وتَعَرَّفي على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١ – ما التوسل لغة وشرعًا؟

٢ – ما العلاقة بين النذر والتوسل؟

٣- ما الوسيلة التي أمرنا الله بها للتقرب إليه تعالى؟

٤ - أكملي: من صور التوسل المشروع: ....، ....، ...

من صور التوسل غير المشروع: ....، ...

٥- ماذا تقولين لمن تسألك عن التوسل بجاه الأنبياء إلى الله؟

المظهر الرابع
التعلق بكلام السحرة والدجالين وأشباههما

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الموضوع: حقيقة السحر والدجل وأشباههما، موقف الإسلام من هذه الأمور، مظاهر الانحراف، الضوابط الشرعية للوقاية من هذه الانحرافات.

١ - حقيقة السحر والدجل وأشباههما:

السحر: رقى وعزائم وعُقَد وأمور من أدعية مع النفث فيها.

والعقد بواسطة الشيطان، وتؤثر في الأبدان والقلوب، فتُمْرِض، وقد تميت، وتفرق بين المرء وزوجه، ولها حقيقة تؤثر، وليست خيالاً.

الكهانة: ادعاء معرفة الغيب (المستقبل).

العرافة: ادعاء معرفة الماضي (بعلم مخصوص).

التنجيم: الاستدلال على الغيبيات (المستقبلية) بواسطة النجوم.

الطيرة: التفاؤل والتشاؤم بناء على أحوال مخصوصة للطير.

وهذه كلها من أمور الجاهلية التي قاومها الإسلام، والتعلق بها دليل على اعتقاد قدرتها وهيمنتها وانفرادها بالتصرف.

٢ - السحر والدجل وما شابههما في ميزان الإسلام:

- السحر متحقق وجوده وتأثيره مع مصادفة القدر الكوني، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- والسحر منه ما يُتَلقَّى عن الشياطين، وهو حرام، وفاعله كافر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ... وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- الساحر بهذه الصفة يقتل، فعن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ» [رواه الترمذي]، وقال الشافعي (رحمه الله تعالى): إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر، فأما إذا عمل دون الكفر فلم يُرَ عليه قتلاً.

- والساحر لا خلاق له في الآخرة، أي نصيب، وقيل معنى لَمن اشتراه: اعتاض بالسحر بدل الإيمان.

- والسحر حرام تعلمه واستعماله وصنعه، وهو محرم في جميع الأديان، روى عبد الرزاق، عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ السِّحْرِ قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيرًا، كَانَ آخِرَ عَهْدِهِ مِنَ اللهِ» [رواه عبد الرزاق في مصنفه].

- أوردت السنة أمورًا ألحقتها بالسحر؛ فعن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ» [رواه أحمد والطبراني]. والعيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: رنة الشيطان.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» [رواه أبو داود].

وعن أبي هريرة: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» [رواه الطبراني في الكبير]، وعن ابن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» [رواه مسلم].

- المقصود أن هذه الأمور تشبه السحر فقط في اعتقاد تأثيرها، وهو اعتقاد باطل لا أصل له، ولا تأثير لهذه الأشياء.

- حل السحر عن المسحور (النشرة) لا يجوز بسحر مثله، واختلف فيه العلماء، والأولى منعُه، ويجوز بالرقى والتعاويذ المشروعة.

- كثيرًا ما يُشفى بغير السحر؛ بالرقى، كما شُفي رسول الله ﷺ بالاستعاذة بالله جل وعلا، وكذلك بالدعاء والالتجاء إلى الله، وكذلك بالعلاج الطبيعي.

- الحسد من الأمور المعنوية التي لا تؤثر بالضرر على الإنسان إلا بإذن الله، وقد

أوصى الإسلام برقية المحسود، قال النبي ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ» [متفق عليه]، وَرَأى ﷺ جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ» [رواه البخاري]، وقالت عائشة (رضي الله عنها): أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنْ الْعَيْنِ. [رواه البخاري]، وقال ﷺ: «لاَ رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» [رواه البخاري].

٣- الانحراف بالتعلق بكلام السحرة والدجالين:

لقد ربانا الإسلام على التوكل على الله النافع الضار، وأخذ الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار، والإيمان بقدر الله وقضائه.

وقد أغرى الشيطان بعض الناس بالتحول عن هذه الصورة من الإيمان إلى انحرافات منها:

أ- تعلم السحر وفنونه، وإيذاء الناس به، وقد علمتِ أحكامه.

ب- رد السحر بالسحر، ومعالجة الخطأ بالخطأ.

ج- التعلق بالدجل والخرافات، وبناء البعض تصرفاتهم على أخبارها، والسعي إلى تعلم هذه الفنون الخاطئة.

وهذا كله يأتي على حساب العمل الجاد، والتوكل، والأخذ بأسباب التقدم والنجاح.

٤- الضوابط الشرعية لحسم هذه الانحرافات:

ومن الأحكام التي سبق لك أن عرفتها، يمكن استخلاص الإجراءات التي وضعها لنا الشرع لتوقي هذه الانحرافات وحسمها:

أ- التشديد في النهي عن السحر والدجل وأشباههما.

ب- تشريع الرقية لصد الأذى من السحرة والحاسدين، بثلاثة شروط:

١- أن تكون مأثورة من كتاب أو سنة.

٢- أن تكون باللفظ العربي.

٣- أن يعتقد الراقي والمُسترقِي أنها لا تؤثر إلا بإذن الله، لا من تلقاء نفسها.

ح – التشديد في النهي عن الذهاب للدجالين ومعالجة الخطأ بالخطأ، يقول النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا يُؤْمِنُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» [رواه الطبراني في الكبير].

د- النص على تحريم الرقى غير الشرعية؛ كالتعاليق من التمائم والأوتار والحلق والخيوط والودع ونحوها؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» [رواه الطبراني في الكبير]، وقوله ﷺ: «الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» [رواه أبو داود]، وقال ﷺ: «مَنْ علَّق تَمِيمَةً فَلاَ أَتَمَّ اللهُ له، ومَنْ علَّقَ ودَعَةً فَلاَ ودَعَ اللهُ لَهُ» [رواه ابن حبان في صحيحه]، وَرَأى ﷺ رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الحَلْقَةُ»؟ قَالَ: هَذِهِ مِنْ الْوَاهِنَةِ، قَالَ: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْنًا» [رواه ابن ماجة].

هـ- وأكثر السلف على منع المعلقات من القرآن للاسترقاء، وهو الأَوْلَى؛ لعموم النهي عن التعليق، ولصون القرآن عن إهانته؛ إذ قد يحملونه غالبًا على غير طهارة، ولئلا يتوصل بذلك إلى تعليق غيره.

و- تحريم التنجيم، وحصر وظيفة النجوم فيما خلقها الله له، قال النبي ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُوم اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ ما زَادَ» [رواه أبو داود]، وقال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث؛ زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

ز- تحريم الاستسقاء بالأنواء، يقول ﷺ: «وقَالَ اللهُ تَعالَى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأَما مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ» [متفق عليه].

ح – تحريم الطيرة واعتبارها من الشرك، وتشريع كفارتها، قال النبي ﷺ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ» (متفق عليه)، وعن عبد الله بن عمرو قال: قال ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِن حَاجَةٍ فقدْ أشْرَكَ»، قالوا: يَا رسولَ الله، مَا كفَّارَةُ ذَلكَ؟ قال: «أنْ يَقُولَ أَحَدُهُم اللهُمَّ لاَ خَيرَ إلاَّ خَيرُكَ، ولاَ طَيرَ إلاَّ طَيرُكَ، ولاَ إِلَهَ غَيرُكَ» [رواه احمد]، وقال النبي

ﷺ: «أَحْسَنُهَا الفَألُ- أي التفاؤل الحاصل برؤية سير الطيور إلى جهة معينة- وَلاَ تَرُدُّ مُسْلِمًا، فإذا رَأى أحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ؛ فَلْيَقلْ: اللهُمَّ لاَ يَأتِي بِالحَسَناتِ إلاَّ أنتَ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلاَّ أنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِكَ» [رواه أبو داود].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

* لا تفكري أبدًا في الذهاب للدجالين والعرافين مهما كانت المشكلة، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، قالت: «سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ الْكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ» [رواه البخاري].

* تجنبي الأشياء المشابهة لأعمال السحرة والعرافين، مثل: قراءة الكف والفنجان، وقراءة حظك اليوم، وتعليق التمائم؛ يقول ﷺ: «مَنْ علَّق تَميمةً فقدْ أشْرَكَ»[رواه أحمد].

* بيني ووضحي لمن حولك أثر هذه الأشياء على العقيدة، فمن اعتقد في شيء أنه يضر أو ينفع غير الله، فقد اختلت عقيدته، وصدق الإمام القائل: (والتمائم والرقى والودع والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب- منكر تجب محاربته، إلا ما كان آية من قرآن، أو رقية مأثورة).

* من أضرار التعلق بكلام هؤلاء ما جاء في الحديث: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» [رواه مسلم]. فمن منا مستغنٍ عن صلاة أربعين يومًا.

* الاستعاضة عن السحر والدجل بالرقى الشرعية، والأدعية، والتوجيهات المأثورة، ومنها ما جاء في الحديث: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» [رواه مسلم]. والبَطَلَة هم السحرة.

* اجتهدي في تحرير المجتمع من حولك من الاستعانة بغير الله.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- ما المقصود بما يلي:

السحر – الكهانة – العرافة – التنجيم – الطيرة – العيافة؟

٢ - ما هي النشرة؟ وما حكمها؟

٣ – أكملي:

*من صور الانحراف في موضوع السحر والدجل: ....، ....، ....

*الطيرة حرام، وكفارتها أن تقول المتطيرة: ....

*من صور الرقية المحرمة التي نهى الرسول ﷺ عنها: ....، ....، ....

٤ – للرقية الشرعية أثر في دفع ضرر السحر أو الحسد، قبل أو بعد وقوعه.

ما الدليل على صحة العبارة السابقة؟

وما هي الرقية الشرعية؟

هل تتعارض هذه العبارة مع اعتقاد أن الله وحده هو الذي يدفع الضرر؟ ولماذا؟

٥ – ماذا تقولين لمن تسأل عن تعليق آية من المصحف في البيت أو السيارة ونحوهما؟

* * *

الفصل الثاني
أسماء الله الحسنى

مقدمة:

معرفة الشيء تقتضي الإحاطة به ذاتًا وصفات ومؤثرات، والله عز وجل لا يعلم كيف هو إلا هو، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون به علمًا.

وإذا كان من الواجب على كل مؤمنة أن تعرف ربها، والحالة هذه، فإن الطريق الأمثل لمعرفة الله هو معرفة صفاته وأسمائه، ورؤية آثاره جل وعلا في كونه.

وهذا الفصل يهدف إلى الأخذ بيد المتربيات نحو التعرف على الله، بمعالجة بعض أسمائه تعالى، في منهج محدد، يمكنها أن تطبقه بذاتها على بقية الأسماء المقدسة والصفات العُلا.

الأهداف العامة لدراسة أسماء الله الحسنى:

١- هذه الدراسة- وكل دراسة توصل إلى معرفة الله- زيادة في الإيمان، واستكمال للدين، وتدرج في درجات اليقين.

٢- ومن جانب آخر، فإننا نهيب بالمتربية أن تتجه إلى دراسة الصفات العلا مُحاوِلة أن تتخلق قدر تكوينها البشري بمعاني هذه الأسماء. وتعالى الله أن يضاهيه أحد.

٣- كما أنه بدراستها، وكثرة ذكرها، ومداومة التأمل فيها تفيض علينا الرحمة، وتفتح لنا أبواب القبول، ويعم علينا خيرها، والثواب الكبير، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

٤- وهي خطوة فعالة للتجرد من الشرك تجردًا كاملاً وتامًّا، كما أنها تعليم لثلث التوحيد (توحيد الأسماء والصفات)، وإيماء لثلثيه الآخَرَينِ (توحيد الربوبية والألوهية).

منهجية عرض الدروس في هذا الفصل:

١- يبدأ كل درس بالتعريف بالاسم، بما يفتح الأذهان للحديث عنه.

٢- استعراض بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عنه، والإشارة إلى جهة تعرضها للاسم.

٣- اصطحاب إحدى الآيات بمزيد من التوضيح.

٤- ذكر آثار الاسم في الكون.

وبعد إتمام المحتوى النظري للدرس ينتقل الدرس إلى الجوانب التطبيقية المستفادة من الدرس، ثم يختم بالتقويم عن طريق الأسئلة النظرية، وبطاقات الملاحظة.

والله نسأل أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علمًا؛ إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

* * *

اسم الله (الجبار)

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نستعرض الحديث عن اسم الله الجبار من خلال العناصر التالية: معنى الاسم، مع الاسم في القرآن، بعض آثار الاسم في الكون، حالنا مع الله وفق مقتضى الاسم.

١ - تعريف باسم الله (الجبار):

الجبار مأخوذ من الجبر، وهي كلمة تدل على الإصلاح، وجبر الفقير واليتيم: كفاه حاجته، وتجبر: تكبر، والجبروت: القهر، والجبار من الناس: المتمرد العاتي، والمتكبر منهم الذي لا يرى لأحد عليه حقًّا، والمتكبر عن عبادة الله، والذي يقتل على الغضب أو بغير حق. وقلب جبار: ذو كبر لا يقبل موعظة، أو لا تدخله رحمة، ورجل جبار: مسلط قاهر.

وعلى ذلك فالجبر إذا وصف به الإنسان كان ذمًّا له، وعيبًا فيه.

والجبار: اسم من أسماء الله الحسنى، له معان كثيرة، وكلها تُحمل في حق الله على جهة المدح والكمال، ونختار منها ثلاثة، هي:

أ - أنه الذي يجبر الضعيف وكل قلب منكسر لأجله.

ب - أنه الذي قهر كل شيء؛ فدان له كل شيء وخضع.

ج - أنه العليُّ على كل شيء.

فصار اسم الجبار متضمنًا لمعنى الرءوف القهار العَلِيّ.

٢ - مع الاسم في القرآن الكريم:

لم يرد هذا الاسم في القرآن إلا مرة واحدة في أواخر سورة الحشر، قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

فقد ذكر اسم الجبار في سلسلة الأسماء التي تُعرِّف بالله جل وعلا، وهي تمثل سلمًا متدرجًا يبدأ بأعلى درجات الجمال والرحمة (الرحمن)، وينتهي بأعلى درجات الكمال (المتكبر)، ليكون اسم لله الجبار سابقًا اسم المتكبر، وتاليًا اسم العزيز.

أما الأسماء التي تحمل معنى الجبار، فقد وردت في القرآن كما يلي:

- الله رءوف بعباده ولن يضيع أعمالهم: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]، ويعدهم بالقبول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧]، ولن يعذب أولياءه أو يخزيهم: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠]. وهو الذي تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، من بعد أن أوشكت الفتنة أن تلحق بعضهم فثبتهم ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

- والله تعالى قاهر فوق عباده يحييهم ويميتهم، وفق علمه وحكمته، فهو خير مما يعدل الكفار إليه من عبادة الأصنام: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، و: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦].

لقد أمر النبي أن ينذر الناس ويذكرهم بالله الواحد القهار: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥]، الذي ليس له شريك في ملكه وقهره: ﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]، فبُعدًا لمن لم يؤمن ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، و: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].

- والله هو العلي فوق الخلائق أجمعين، فوق الأرض والسموات بمن فيهن: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ..﴾ [الشورى: ٤-٥].

٣- من آثار الاسم في الكون:

بالرجوع إلى المعاني التي يشملها اسم الله (الجبار)، نجد آثاره بينة في الوجود، وإليكِ بيانها:

أ- انظري يرحمك الله كيف أذل الله الجبابرة:

- فقديمًا أذلَّ سبحانه أولئك الذين احتلوا القدس، على رغم عتوهم، حتى قالت فيهم بنو إسرائيل: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة:٢٢].

- وما كان من عادٍ الجبارين الذين حملوا غيرهم على اتباعهم والكفر بالله، فماذا كانت نهايتهم؟ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود:٥٩].

-إنها نهاية كل الظلمة مع رسلهم لما طال إنذارهم فأبوا، فاستفتح الرسل ربهم عليهم: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧].

ب- إن الله لا يحب لعباده التجبر، فمن يرد الله به خيرًا برَّأه من التجبر، فهذان يحيى وعيسى عليهما السلام يقول ﷻ عنهما: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤]، و: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢].

ومن كان في الضلالة أمدَّ الله له، وطبع على قلبه: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۞ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٤،٣٥].

ج- الله يجبر كسر المستضعفين المتوكلين عليه، فهاهم الصحابة في غزوة حمراء الأسد:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

٥- كما نرى من غيرنا هذا الذل والانكسار الذي حاق ويحيق بالجبارين والمتكبرين. إنها سنة الله الماضية إلى يوم القيامة.

٤ - حالنا مع الله وفق مقتضى الاسم:

إذا ما استشعرت المسلمة معاني اسم الجبار، ستجد أنها تتجه- غالبًا- إلى سلوك الانكسار بين يدي الله، والتعلم من اسم الله الجبار.

ومن السلوكيات التي تقتضيها المعرفة بهذا الاسم الجليل:

١ - أن ندعو الله دائمًا: اللهم اجبر كسرنا.

٢ - أن نَعطف على الضعفاء والمساكين، ونَجبُر كسْرَهم.

٣- أن نجتهد في إصلاح ما نراه في حاجة إلى إصلاح بيدنا، أو لساننا، أو قلبنا.

٤ - ألا نتجبر على الناس بقوتنا أو مالنا أو علمنا أو سلطاننا.

٥- التوكل على الله الجبار، واستشعار معنى: حسبنا الله ونعم الوكيل (أي هو كافينا كل شر وهمٍّ)، مع كمال الأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء:٧١].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١ - أختي الفاضلة، اجعلي لسان حالك يقول:

- أعود المريض وأتذكر ضعفي وضعفه أمام ربي الجبار.

- أمد يد المساعدة للفقير لأجبر حاجته.

- أتبرع لأولاد الأسرى والشهداء في أرض الجهاد، مُحاوِلةً أن أَجْبُر ما يعانونه من فقدان عائلهم.

-أتذكر عند معاملتي للناس بالحسنى أنِّي أُحب أن يتبعوني في التزامي بأوامر ديني.

٢- اللهم اجبر كسرنا. أكثري من هذا الدعاء.

٣- جددي في قلبك عبادة التوكل على الله وفق ما علمتِ (الثقة واليقين مع الأخذ بالأسباب).

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- عددي المعاني التي يحملها اسم الله الجبار.

٢- من آثار هذا الاسم في الكون: إذلال الجبابرة، وجبر كسر المستضعفين. اشرحي هذه العبارة بذكر أمثلة من الواقع والتاريخ.

٣- عددي مظاهر استثمار معاني اسم الله الجبار.

* * *

اسم الله الخالق

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نستعرض الحديث عن اسم الله (الخالق) من خلال العناصر التالية: معنى الاسم، مع الاسم في ظلال القرآن، بعض آثار الاسم في الكون، حالنا مع الله بمقتضى ما علمنا عن الخالق.

١ - معنى اسم الله الخالق:

الخالق ﷻ: هو الذي أوجد العوالم كلها بكل ما فيها، خلق السموات وما بها، والأرض وما عليها، وكل ما له في هذا الكون وجودٌ: ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ ﴾[الزمر:٦٢].

البارئ: اسم من أسماء الله الحسنى ورد متوسطًا بين اسمي الله الخالق والمصور: ﴿ هُوَ الله الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤]، ووجود هذا الاسم بين هذين الاسمين يوضح معنى البارئ، فهو أمر يخص الخلق؛ لذلك قيل: إن البارئ هو الذي خلق كل ما خُلق لا على مثال سبق تعلمه، أو سبب تقيّد به، فلم يتمرن من قبل الخلق على الخلق حتى يخلق، وإنما خلق فورًا ومباشرة بإرادته كما شاء.

والمصور: هو الذي صور الأنواع كلها كيف شاء، فجعل النوع الإنساني بالصورة التي نراها، والأنواع الغيبية بالصورة التي لا نراها، وصور الرجل بصورة غير صورة الأنثى، رغم أنهما على صورة واحدة هي صورة الإنسان: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر:٦٤].

٢ - مع اسم الله (الخالق) في ظلال القرآن:

تناول القرآن الحديث عن هذا الاسم بصورة شاملة تتضح فيما يلي:

أ- **التعريف بالخالق ﷻ**: فالله وحده هو الخالق، ويخلق وفق مشيئته وحده: ﴿وَرَبُّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]. وقد خلق ما علِمْنا وما لم نعلم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦]، وخلقه لا يتوقف: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

أما قدرته على الخلق فلا تقف عند حدٍّ، فهو الذي إن شاء خلق مثل خلقه الذي خلق: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس:٨١]، وإن شاء بدل الخلق بخلق آخر: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٦، ١٧]، وقادر على أن يعيد الخلق في أدق صورة كان عليها: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:٤]، أو أن يعيده في صورة أخرى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:٦٠، ٦١].

ب- بدء الخلق وإعادته، والحكمة من ذلك:

وقد حدثنا ربنا ﷻ عن بدء الخلق وإعادته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود:٧]، وعن الإنسان قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:١-٣]. وسيعود الخلق كما كان: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، و: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً..﴾ [الروم:٥٤].

ج- وصف طبيعة الإنسان:

أحسن الله تعالى خلق الإنسان كما أحسن خلق كل شيء؛ حيث بدأ خلقه من طين، ثم جعل خلق الذرية في الرحم: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [السجدة:٧-٩]، فقد خلقه وسواه وعدله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، إلا أنه يحمل طباعًا ينبغي أن يقاومها: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]، و ﴿وَخُلِقَ

الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، و ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

وجملة الأمر كما وصفه ربنا تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

د- التساوي والتمايز بين المخلوقين:

كرم الله الإنسان على سائر المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠]، لكن أخطأ الخلق في تفضيل أنفسهم على غيرهم، فأولهم إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، ثم اليهود والنصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨]، وهو منطق الكافرين أينما كانوا: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم:٧٧]، ولكن الحقيقة كما قال ربنا: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة:١٨]، و: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٢- آثار الاسم في الكون:

خلق الله السموات والأرض وما بينهما، والشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وآثار خلق الله لا يحصرها العد: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧]. وهذه تأملات في بعض آيات الله في الكون:

*** في الليل والنهار آية:**

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ۞ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص ٧٠-٧٣].

هو الله الذي لا شريك له في خلق ولا اختيار، وله الحمد على اختياره، وعلى نعمائه،

وعلى حكمته وتدبيره، وهو يقضي في عباده بقضائه، لا رادَّ له، ولا مبدل لحكمه، ثم يجول بهم جولة في مشاهد الكون الذي يعيشون فيه، غافلين عن تدبير الله لهم، واختياره لحياتهم ومعاشهم، فيوقظ مشاعرهم لظاهرتين كونيتين عظيمتين، ظاهرتي الليل والنهار.

والناس لطول ما اعتادوا من تتابع الليل والنهار لا يروعهم مطلع الشمس ولا مغيبها إلا قليلاً، ولا يهزهم طلوع النهار وإقبال الليل إلا نادرًا، ولا يتدبرون ما في تواليهما من رحمة بهم، وإنقاذ من الهلاك والدمار، والناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلاً في أيام الشتاء، ويحنون إلى ضياء الشمس حين تتوارى عنهم فترة وراء السحاب! فكيف بهم لو فقدوا الضياء؟.

والناس يستروحون الظلال حين يطول عليهم الهجير ساعات من النهار، ويحنون إلى الليل حين يطول النهار بعض ساعات في الصيف.

ويجدون في ظلام الليل وسكونه الملجأ والقرار، والحياة كلها تحتاج إلى فترة الليل لتجدد ما تنفقه من الطاقة في نشاط النهار، فكيف بالناس لو ظل النهار سرمدًا إلى يوم القيامة، على فرض أنهم ظلوا أحياء، خاصة وأن الحياة كلها لمعرضة للتلف والبوار إن دام عليها النهار؟!

ألا إن كل شيء بقدر، وكل صغيرة وكبيرة في هذا الكون بتدبير، وكل شيء عنده بمقدار: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ولِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣].

فالليل سكينة وقرار، والنهار نشاط وعمل، والاتجاه فيه إلى فضل الله، فما يُعْطى الناس شيئًا إلا من فضله؛ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أعطاه الله لكم من نعمة ومن رحمة، وما دبره لكم واختاره من توالي الليل والنهار، ومن كل سنن الحياة التي اختارها، وقد اختارها الله عن رحمة، وعن علم، وعن حكمة تغفلون عنها لطول الإلف والتكرار.

*** وفي خلق الكائنات آية:**

﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ

تُخْرَجُونَ﴾[الروم:١٩]، تلك العملية الدانية التي لا تكف ولا تني لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار في كل مكان على سطح الأرض، وأجواء الفضاء، وفي أعماق البحار؛ ففي كل لحظة تتم هذه المعجزة الخارقة التي لا ننتبه إليها لطول الألفة والتكرار، في كل لحظة يخرج حي من ميت، ويخرج ميت من حي، في كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حبة أو نواة فيفلقها، ويخرج إلى وجه الحياة، وفي كل لحظة عود أو شجرة تستوفي أجلها، فتتحول إلى هشيم وحطام، ومن خلال الهشيم أو الحطام توجد الحبة الجديدة المتهيئة للحياة والإنبات.

إنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لمن يتأملها بالحس الواعي، والقلب البصير.

﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ فالأمر عادي واقعي لا غرابة فيه، وليس بدعة مما يشهده الكون في كل لحظة من ليل أو نهار.

*** وفي الأزواج آية:**

قلما يذكر الناس يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنسًا للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]؛ فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقًا للآخر، ملبيًّا لحاجته الفطرية؛ نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة.

٤- حالنا مع الله بمقتضى ما علمنا عن الخالق:

إن واجباتنا تجاه ما علمنا عن اسم الله الخالق واضحة ومحددة في كتاب الله، ولن يتسنى لنا أي تغيير إلا إذا أمعنا التفكير في ملكوت الله، ولكن كيف؟ ومن أجل ماذا؟

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ

فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۞ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٥].

إن هذا الكون بذاته كتاب مفتوح، ويحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته، فلا بد أن وراءه يد تدبره بحكمة، ويوحي بأن وراء هذه الحياة الدنيا آخرة، وحسابًا وجزاء، إنما يدرك هذه الدلائل، ويقرأ هذه الآيات، ويرى هذه الحكمة، ويسمع هذه الإيحاءات ﴿أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ من الناس، الذين لا يمرون بهذا الكتاب المفتوح، وبهذه الآيات الباهرة مغمضي الأعين غير واعين.

ولكن ما علاقة التفكر في آيات خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ما علاقتها بذكر أولي الألباب لله ﷻ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم؟ وكيف ينتهون من التفكير فيها إلى هذا الدعاء الخاشع الواجف: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾؟.

إن الإجابة تأتي مع هاتين الحقيقتين المُهمَّتين:

الحقيقة الأولى: أن التفكر في خلق الله، والتدبر في كتاب الكون المفتوح، وتتبع يد الله المبدعة وهي تحرك هذا الكون، وتقلب صفحات هذا الكتاب.. عبادة لله من صميم العبادة، وذكر لله من صميم الذكر.

ولو اتصلت العلوم الكونية بتذكر خالق هذا الكون وذِكْره، والشعور بجلاله وفضله، لتحولت من فورها إلى عبادة لخالق هذا الكون وصلاة، ولاستقامت هذه الحياة بهذه العلوم واتجهت إلى الله، ولكن الاتجاه المادي الكافر في دراسة العلوم حول حياتنا إلى خواء روحي يطارد الإنسان كالمارد الجبار.

الحقيقة الثانية: أن آيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها الموحية إلا للقلوب الذاكرة العابدة، وأن هؤلاء الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جوانبهم- وهم يتفكرون في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، هم الذين تتفتح لبصائرهم الحقائق الكبرى المنطوية في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار.

والتفكر في الكون بحق يقودنا إلى ما يلي:

أ- زيادة الإيمان واليقين بالله واليوم الآخر وما فيه من جزاء: «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»[الجاثية: ٤].

ب- الانتباه لقرب الأجل والعمل له: «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ج- الشكر والتسبيح: «وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، و: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى:١، ٢].

د- التعارف والتآلف مع الناس وبين الأزواج: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات:١٣].

هـ الإنابة إلى الله والحياء منه: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٦، ٧].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

بجانب ما علمت من واجبات يقتضيها ما عرفتِ، اجعلي شعارك ما يلي:

١- أتفكر ١٠ دقائق- ولو مرة واحدة أسبوعيًا- في عظمة خلق الله (طفل رضيع، السماء، الجبال، نعمة البصر...).

٢- أتدبر آيات الخلق والإعجاز في القرآن عند قراءتي لوردي اليومي.

٣- أدوّن في كراسة خاصة آيات الخلق والإعجاز لأتصفحها مع الزميلات.

٤- أحدد لنفسي كل يوم عملاً معينًا أتقنه وأؤديه على أكمل وجه (ترتيب غرفتي، تنظيف المنزل، مذاكرتي...).

٦- أحدد أمرًا نهى عنه سبحانه فأبتعد عنه؛ كالغيبة والكذب.

- للمزيد نهيب بك مشاهدة حلقات الإيمان والعلم في القرآن للدكتور زغلول النجار وغيره.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- حددي معنى أسماء الله (الخالق- البارئ- المصور).

٢- اذكري بعض النقاط التي توضح بجلاء اسم الله الخالق من خلال القرآن الكريم.

٣- اذكري بعض السلوكيات التي يقودنا إليها التفكر.

٤- اذكري آثار أسماء الله (الخالق- البارئ- المصور) في:

- آية الليل والنهار.
- في آية خلق الكائنات.
- وفي آية خلق الأزواج.

٥- عبري بكلماتك عن استشعارك لاسم الله (الخالق).

***

اسم الله الوهاب

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول الحديث عن اسم الله الوهاب من خلال العناصر التالية: حقيقته، مع الاسم في القرآن، آثاره في الكون، مقتضيات المعرفة باسم الله الوهاب.

١ - حقيقة اسم الله الوهاب:

الوهاب: المتفضل بالعطايا.

والله سبحانه الوهاب: الذي يعطي ويمنح مما عنده بكثرة عطاء ومِنَحًا لا لمقابل أو جزاء، إنما يعطي ويمنح لأن هذه صفته ﷻ.

ويقترب من معنى اسم الله الوهاب عدد من الأسماء الحسنى:

فالرزَّاق: خالق الأرزاق، والمتكفل بإيصالها إلى خلقه.

والله سبحانه الرزاق لأنه تكفل بالأرزاق، وقدّرها فأحكم تقديرها، وبسطها فأحسن مدّها، لتصل إلى كل الخلق في توقيت محدود، وبقدر محدود من وراء الحجب والأستار، وإلى ثنايا الكهوف وداخل الأحجار.

والفتاح: الذي يفتح خزائن رحمته لعباده.

والقابض: القابض يده عمن يشاء من عباده حسب إرادته.

والباسط: بأسراره على من يشاء.

٢ - مع الاسم في ظلال القرآن:

لاسم الله الوهاب في القرآن لمسات متنوعة الصور:

أ- في حقيقة الهبات من الله تعالى:

- الله جل وعلا يجمع بين العزة والهبة، فهو العزيز الوهاب، وهذا غاية في الكمال

والجلال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾[ص:٩].

- والهبة من الله تكون أو لا تكون، تكون شيئًا بعينه دون غيره وفق مشيئته تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى:٤٩].

- وتكون موافقة للأسباب والسنن الكونية، وتكون غير ذلك، فقد يهب الزوجين الولد على الكبر: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وهبات الله عديدة منها الولد، ومنها الوزير المساعد: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٩] ومنها الحكم والنبوة: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشعراء:٢١]، ومنها: عودة الأهل وصلاح الأسرة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [ص:٤٣]، ومنها الملك: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۞ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ۞ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٥-٣٩].

٣- آثار الاسم في الكون:

لو تفكر الإنسان: كم هي مخلوقات الله من الناس والدواب والهوام والحشرات والأسماك والطيور والنباتات والأشجار! وهذا ما نعلم، وكم من الأنواع والأصناف ما لا نعلم! ولو تأمل الإنسان كل نوع وعلم أن أقل هذه الأنواع عددًا هو النوع الإنساني على كثرته البالغة؛ لتصور أعدادًا تقارب كل حبات الرمل في كل الصحاري ومختلف الشواطئ، وكلها تُرزق دائمًا وأبدًا، وفي كل لحظة وكل حين، ولعرف أن الوجود كله من رزقه ﷻ، والحياة نفسها صورة من هذا الرزق الذي رزقه ﷻ للعالمين.

فالله تعالى أجرى رزقه للجنين وهو في بطن أمه منذ لحظات تكوينه، ففي الرحم عندما تتكون الخلية الناتجة من تلقيح البويضة بالحيوان المنوي ليتكون الجنين، في هذا المكان البعيد جدًّا عن أي مصدر من الغذاء يحصل الجنين على رزقه كاملاً، وبلا جهد أو سعي، وبلا فضل من الأم أو الأب!

لقد أثبت العلم خطأ الاعتقاد الذي ساد طويلاً بأن الجنين يتغذى بدم أمه عن طريق الحبل السري، إذ إن الحقيقة هي أنه بمجرد تكوُّن الخلية الحية وانقسامها لتكوين الجنين؛ تتكون بطريقة غامضة ومثيرة على المحيط الخارجي لتلك الكتلة من الخلايا طبقة مغذية تسمى بـ(الغلاف الأكال) أو (التروفوبلاست)، والذي يأكل ما يصادفه من أنسجة، ويمتص الأكسجين والماء، ويرسله ذلك كله غذاءً مهضومًا خلال الأوعية الدموية لهذا الكتلة من الخلايا التي سيتكون منها الجنين.

ويشبه العلماء ذلك بمثل إنسان يسكن في منزل جدرانه وسقوفه وأرضه تقدم له الفاكهة والخضر والخبز واللحوم واللبن والماء، وكلها مهضومة ومعدة في أحسن صورة، وأشهى طعومها، وأجمل صنيعها، وهذا نوع من رزق الرزاق لجنين في عالم الخفاء لم يكتمل بعد.

وكثيرًا ما وجد الإنسان داخل الخشب والحجر دودة صغيرة تعيش وتحيا؛ مما يعني أنها تأكل وتشرب، فقد رزقها الله وهي في هذا المكان البعيد السحيق الذي لا يصل إليه الماء ولا الهواء.

وكذلك السمك في البحار، والطيور في الفضاء، والنبات والأشجار رزقها جميعًا ميسر وموصول، ولا يقتصر رزق الرزاق على المادة والطعام، ولكنه يرزق العلم والحكمة والصحة والقبول. إنه الرزاق.. يرزق كل شيء.

٤- مقتضيات المعرفة باسم الله الوهاب:

على كل مسلمة أن توقن أن الأرزاق بيد الله- ولا رزاق على الإطلاق إلا الله تعالى- الله وحده، وغير الله ﷻ إن رزق أو أعطى فإنما يعطي من رزق الله الرزاق الذي أعطى، وأن توقن أن الله ﷻ هو المتفرد بالهبات؛ فأنفقي مما رزقك الله يأتِك الخُلف من الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

ومهما درَّ الله عليك من الرزق فوق احتياجك، فلا تدخريه في مخادع البيوت، وأنفقيه في أبواب الخير يزددْ نماءً، فما أقبح المرء أن يكون بطنه مملوءًا وأخوه يتألم جوعًا!

وإن كنت ممن وهبهن الله كنوز العلم والمعرفة، والقدرة على فتح مغاليق القلوب والعقول؛ فأفيضي على الناس من علمك، ولا تشحي بما جعلك الله فيه مستخلفة.

ومتى استشعرت المسلمة أن الله هو الوهاب لم ترفع حوائجها إلا إليه، ولم تتوكل إلا عليه.

وبقدر ما يهب الإنسان لغيره من الهبات في الله؛ يكن حظه من اسم الله الوهاب، وعلينا أن نحسن الظن بالله، فندعوه أن يهبنا حاجاتنا كما علمنا في كتابه: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤]، و: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]، و: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً..﴾ [آل عمران:٣٨]، و: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠].

ورحم الله من قال:

عليك بتقوى الله إن كنت غافلاً ... سيأتيك بالرزق من حيث لا تدري
فكيف تخاف الفقر والله رازق؟! ... فقد رزق الطير والحوت في البحر
ومن ظن أن الرزق يأتي بقوة ... فما أكل العصفور رشفًا من النسر
ترحل عن الدنيا فإنك لا تدري ... إذا جن الليل هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من صحيح مات من غير علة! ... وكم من سقيم عاش حينًا من
وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري!
يا جامع المال ما أعددت للحضر؟ ... هل يغفل الزاد من أضحى على سفر؟
أفنيت عمرك في اللذات تطلبها ... يا خيبة السعي، بل ويا أضيع العمر!
قف في ديار بني اللذات معتبرًا ... وانظر إليها ولا تسأل عن الخبر

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

- استشعري هبات الله تعالى، ونعمه عليك، وتأملي في ذلك.

- أكثري من ترديد هذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

- اسألي الله من فضله، ولا تتوكلي إلا عليه ﷻ.

- اجعلي لنفسك صدقه يومية مهما قلَّتْ، ومهما كان نوعها (مال، طعام، كتب، لباس).

- كوني على يقين أن رزقك سيأتيك لا محالة؛ فأجملي في طلبه.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- اذكري بعض الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة (الوهاب، الرزاق)، وذلك من خلال ورد المعرفة.

٢- وضحي معنى لفظ الجلالة (الوهّاب، الرزّاق)؟

٣-اذكري المقصود من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

٤-وضحي أثر اسم الله (الوهّاب، الرزّاق) في الكون.

٥-وضحي كيف تأثر النبي ﷺ باسم الله (الوهّاب، الرزّاق) في حياته.

٦-حددي حظ العبد من اسم الله (الوهّاب، الرزّاق).

* * *

الباب الخامس

الفقه

الدرس الأول
منزلة الصلاة في الإسلام

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الدرس العناصر التالية: تعريف الصلاة وتاريخ مشروعيتها، منزلة الصلاة، حكم تارك الصلاة، مَن تجب عليه الصَّلاة، تدريب الصبي على الصلاة، أمر الأهل بالصلاة.

١- تعريف الصلاة وتاريط مشروعيتها:

الصلاة في اللغة: الدعاء.

وفي الشرع: هي عبادة تتضمن أقوالاً وأفعالاً مخصوصة، مفتتحة بتكبير الله ﷻ، ومختتمة بالتسليم.

وقد فُرِضت على المسلمين في ليلة الإسراء والمعراج.

ولقد كانت القاعدة في الإخبار بالفروض الدينية والأحكام الشرعية أن ينزل بها جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، أما في فرض الصلاة، فقد جاء الأمر على خلاف القاعدة المعروفة، إذ استدعى الله ﷻ رسوله ﷺ إلى السموات العُلا، ليكون بنفسه في الحضرة الربانية، فيتلقى الأمر بالصلاة، فتكون بمثابة هدية من الله ﷻ له ولأمته، ومنحة ينالون بها درجة القرب، وعظيم الحب منه ﷻ.

٢- منزلة الصلاة في الإسلام:

- للصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أية عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، قال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ[1] الْجِهَادُ» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٥٤١].

(١) ذروة سنامه: أعلى شيء فيه.

- والصلاة هي الحد الفاصل بين المسلم والكافر، ولذا فهي أول ما يُحاسَب عليه العبد، فعن أبي هريرة ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»

[رواه الترمذي، الحديث ٣٧٨].

- وهي آخر وصية وصَّى بها النبي ﷺ أُمَّته عند مفارقة الدنيا، حيث جعل يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»

[رواه أبو داود، من الحديث ٤٤٨٩].

-والصلاة نور يتلألأ في قلب المؤمن، ويسطع على وجهه، وينعكس على جوارحه، يقول ﷺ: «وَالصَّلاةُ نُورٌ» [رواه مسلم، من الحديث ٣٢٨].

- وهي تدفع العبد دفعًا إلى طاعة الله ﷻ، وتنأى به عن المعاصي والمنكرات، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]، وذلك إذا أداها بخشوع وخضوع وإخلاص، وحافظ عليها في أوقاتها، وأتم ركوعها وسجودها، ووجد فيها راحته.

- وهي فوق ذلك مكفرة للذنوب، يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[2]، وعن النبي ﷺ أنه قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»

[رواه مسلم، الحديث ١٠٧١].

- وعنه ﷺ أنه قال: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إلا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» [رواه مسلم، الحديث ٣٣٥].

- وقد بلغت عناية الإسلام بالصلاة أن أمر بالمحافظة عليها في جميع الأحوال: في

(١) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.
(٢) من الآية ١١٤ من سورة هود.

الحضر والسفر، في الأمن والخوف، في الصحة والمرض، وبيَّن كيفيتها في جميع هذه الأحوال.

- وقد شدّد النكير على من يفرِّط فيها، وهدَّد الله ﷻ الذين يضيعونها، فقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(١).

٣- حكم تارك الصلاة:

تارك الصلاة إما أن يكون جاحدًا منكرًا لها، أو يكون معترفًا بوجوبها، ولكنه يتكاسل عنها.

من تركها جحودًا وإنكارًا:

أجمع الفقهاء على أن من ترَكَ الصلاة وهو مُنكِر لفرضيتها، مستهزئ بها، غير معترف بوجوبها، فهو كافر مرتد عن الإسلام، لا تجري عليه الأحكام الشرعية، وليس له حقوق المسلمين، فلا يرث، ولا يُورَث، ولا يصح - إن كان رجلاً - أن يتزوج بمسلمة، وإن كانت امرأة فلا يصح أن يتزوجها مسلم، وإذا مات لا يُغَسَّل، ولا يُكَفَّن، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين. وعلى الحاكم أن يأمره بها، فإن صلى فبها، وإلا قتله كفرًا.

وقد صحت أحاديث كثيرة بذلك، منها قوله ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ**» [رواه مسلم، الحديث ١١٦]، وقوله ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» [رواه الترمذي، الحديث ٢٥٤٥]، وعنه ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلا بُرْهَانٌ وَلا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**» [رواه أحمد، الحديث ٦٢٨٨]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ(٢) قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ. [رواه الترمذي، الحديث ٢٥٤٦].

---

(١) الآيتان ٤، ٥ من سورة الماعون.

(٢) هو أحد التابعين، أقام بالبصرة، وتوفي عام ١٠٨هـ.

أما عن قتله، فقد وردت فيه أحاديث عدة، منها: قول رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله» [رواه البخاري، الحديث ٢٤]

من تركها كسلاً:

اختلف العلماء في حُكْم مَن تَرَكَ الصلاة كسلاً وانشغالاً بالدنيا، فظاهر الأحاديث يدل على كُفْره، وبذلك أفتى البعض، ومنهم الحنابلة، ولم يفرقوا بينه وبين من تركها إنكارًا، أما جمهور العلماء فيذهبون إلى عدم تكفيره، ويقولون: إنه فاسق بعيد عن الله. واحتجوا بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وأن الحاكم يجب أن يحمله على الصلاة بمختلف الوسائل حتى يقيمها، فإن أصرَّ على عدم الصلاة قتلَه حدًّا، لا كُفرًا[1]، واستدلوا على ذلك بقوله عز وجل: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

٤- مَن تجب عليه الصلاة:

تجِب الصلاة على الذكور والإناث من المسلمين، بشرط البلوغ، والعقل؛ لقوله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنْ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ» [رواه الترمذي، الحديث ١٣٤٣]، وبشرط الطهارة من الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة.

٥- تدريب الصبي على الصلاة:

الصبي - ذكرًا كان أو أنثى - وإن كانت الصلاة لا تجب عليه إلا أنه ينبغي على ولي أمره أن يأمره بها، ويدربه عليها، حتى يتعود على أدائها، ويتشرب حُبَّها، قال النبي ﷺ: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ» [رواه أبو داود، الحديث ٤١٨].

---

(١) الفرق بين مَن قُتِل كُفرًا ومن قُتِل حدًّا: أن المقتول كفرًا لا تجري عليه الأحكام الشرعية، فلا يُغَسَّل، ولا يُكَفَّن، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، أما المقتول حدًّا فتجري عليه الأحكام الشرعية، فيُغَسَّل، ويُكَفَّن، ويُصلَّى عليه، ويُدفَن في مقابر المسلمين.

فالنبي ﷺ يأمر أولياء الأمر أن يعلموا أولادهم الصلاة، ويأمروهم بها إذا بلغوا سبع سنين، دون أن يضربوهم عليها إن تهاونوا في أدائها؛ حتى لا يؤدوها على كُره في البداية، فإذا بلغوا عشر سنين وجب على الأولياء أن يضعوا الأمر موضع الجد، وأن يتابعوا أولادهم في أداء الصلاة، فإن هم أدَّوها كما ينبغي، فليحمدوا الله على هذا التوفيق، وإلا وجَب عليهم أن يضربوهم ضربًا غير شديد.

٦- أمر الأهل بالصلاة:

كما يجب على ولي الأمر أن يأمر بالصلاة أهله، وكل من له عليه حق الولاية، يقول تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه: ١٣٢].

والزوجة من الأهل، بل يُطلَق لفظ الأهل عليها كثيرًا، لذا يجب على الزوج أن يأمرها بالصلاة من أول ليلة تدخل عليه فيها، أمرًا لا هوادة فيه، ويكرر عليها الأمر، ويصبر عليها.

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- اذكري معنى الصلاة في اللغة والشرع.

٢- وضحي منزلة الصلاة في الإسلام.

٣- اذكري الحكمة من فرض الصلاة في الملأ الأعلى ليلة الإسراء والمعراج.

٤- اذكري أهمية المحافظة على الصلاة في جميع الأحوال.

٥- عددي ما حكم تارك الصلاة جحودًا وإنكارًا وتكاسلاً.

٦- وضحي على من تجب عليه الصلاة.

٧- وضحي كيفية وأهمية تدريب الصبي على الصلاة.

٨- اذكري دور ولي الأمر مع أهله في المحافظة على الصلاة.

٩- عددي مع زميلاتك الوسائل التي نقنع بها الآخرين بأداء الصلاة والحفاظ عليها.

***

الدرس الثاني
أقســـــام الصلاة

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

يحتوي هذا الدرس على أقسام الصلاة الثلاثة، وهي: الصلاة المفروضة فرض عين، الصلاة المفروضة فرض كفاية، الصلاة النافلة (التطوع) وأنواع صلاة التطوع، والإشارة إلى الصلوات المسنونة التي تُسنّ فيها الجماعة.

تنقسم الصلاة إلى ثلاثة أقسام:

١- صلاة مفروضة فرض عين[(١)]:

وهي خمس صلوات في اليوم والليلة، تؤدى في أوقات محددة[(٢)]، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ الإِسْلام، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لا، إِلا أَنْ تَطَوَّعَ» [رواه البخاري، من الحديث ٤٤]، ويلحق بالصلوات الخمس صلاة الجمعة بدلاً من صلاة ظهر يوم الجمعة بالنسبة للرجال ممن توفرت فيهم شروط الجمعة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الجمعة:٩].

وعدد ركعات الصلوات المفروضة: صلاة الفجر (الصبح) ركعتان، وصلاة الظهر أربع ركعات، وكذلك صلاة العصر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، وصلاة العشاء أربع ركعات.

٢- صلاة مفروضة فرض كفاية[(٣)]:

وهي صلاة الجنازة، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أُتِيَ

---

(١) فرض العين: هو ما يلزم تحصيله من كل مكلَّف.
(٢) سيأتي الحديث مفصلاً عن أوقات الصلوات المفروضة.
(٣) فرض الكفاية هو الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

بِجَنَازَةٍ فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟»، قَالُوا: لا، قَالَ: «فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟» قَالُوا: لا، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ أُخْرَى فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، صَلِّ عَلَيْهَا، قَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟»، قِيلَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟»، قَالُوا: ثَلاثَةَ دَنَانِيرَ. فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِالثَّالِثَةِ فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا، قَالَ: «هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟» قَالُوا: لا، قَالَ: «فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ»، قَالُوا: ثَلاثَةُ دَنَانِيرَ، قَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: صَلِّ عَلَيْهِ، يَا رَسُولَ الله، وَعَلَيَّ دَيْنُهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ. [رواه البخاري، الحديث ٢١٢٧]، فلو كانت فرض عين ما ترك النبي ﷺ الصلاة عليه، مع أمره أصحابه بها.

٣- صلاة نافلة:

وهي الزيادة عن الفريضة، وتُسمَّى صلاة التطوع، أو الصلاة المندوبة، أو المستحبة، وهذه النوافل يُجْبِر الله ﷻ بها النقص الحادث في الفرائض، فعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِن تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِن الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ» [رواه الترمذي، الحديث ٣٧٨].

ومنها المطلق غير المحدد، ومنها المقيَّد بحد معين:

أ- **التطوع المطلق**: يقتصر فيه على نية الصلاة؛ قال النووي: فإذا شرع في تطوع ولم ينو عددًا، فله أن يسلم من ركعة، وله أن يزيد فيجعلها ركعتين أو ثلاثًا أو مائة أو ألفًا، أو غير ذلك، ولو صلى عددًا لا يعلمه ثم سلم، صحَّ بلا خلاف.

ب- **التطوع المقيد.**

٤- أنواع التطوع المقيد، ونبذة عن كل نوع:

١- **السنن الرواتب**: وهي ما شرع تبعًا للفرائض، وهي: ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، واثنتان بعده، واثنتان بعد المغرب، واثنتان بعد العشاء. فهذه اثنتي عشر ركعة مؤكدة، يقول النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ

لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» [رواه مسلم].

وهناك رواتب أخرى غير مؤكدة، وهي: ركعتان أو أربع قبل العصر، وركعتان قبل المغرب، وركعتان قبلَ العشاء. وكل هذا ثابت بالأحاديث عن رسول الله ﷺ.

٢- **الوتر**: وهي الصلاة فردية العدد، والتي يختم بها صلاة الليل، وهي سنة مؤكدة.

٣- **قيام الليل**: وقد كان فريضة على المسلمين أول الإسلام، ثم نسخ وصار نافلة، إلا أن فرضيته أولاً تشعرنا بأنه لازم لمن أراد أن يتخذ إلا ربه سبيلاً، وهو زاد الدعاة والمصلحين لمقاومة الفتن، والوقوف أمام المحن. وتجوز في أول الليل، ووسطه، وآخره، ما دامت الصلاة بعد صلاة العشاء. والأفضل تأخيرها إلى الثلث الأخير من الليل.

وليس لصلاة الليل عددٌ مخصوص، ولا حد معين، فهي تتحقق، ولو بركعة الوتر، بعد صلاة العشاء.

٤- **قيام رمضان**: وهو مسنون على وجه الخصوص، روى الجماعة، عن عائشة (رضي الله عنها)، أن النبي ﷺ مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً [رواه البخاري]، وهذا هو الوارد عن رسول الله ﷺ في عدد ركعات قيام رمضان.

وصحَّ أن الناس كانوا يصلون على عهد عمر وعثمان وعليٌّ عشرين ركعة، ويرى البعض أن المسنون إحدى عشرة ركعة، وما عداه من العشرين نفل.

٥- **صلاة الضحى**: ويبتدئ وقتها بارتفاع الشمس قدر رمح، وينتهي حين الزوال، ولكن المستحب أن تؤخر إلى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر؛ وأقل ركعاتها اثنتان، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله ﷺ ثماني ركعات، وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة، وقد ذهب قوم؛ منهم أبو جعفر الطبري، وبه جزمَ الحليمي، والروياني من الشافعية، إلى أنه لا حدَّ لأكثرها.

٦- **صلاة الاستخارة**: يسن لمن أراد أمرًا من الأمور المباحة، والتبس عليه وجه الخير

فيه أن يصلي ركعتين من غير الفريضة، ولو كانتا من السنن الراتبة، أو تحية المسجد، في أي وقت من الليل أو النهار، يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله، ويصلي على نبيه ﷺ، ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ» أي يسمي حاجته عند قوله: «اللهم إن كان هذا الأمر».

ولم يصح في القراءة فيها شيء مخصوص، كما لم يصح شيء في استحباب تكرارها، وقال النووي: ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له، فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان فيه هوًى قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأسًا، وإلا فلا يكون مستخيرًا لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة، وفي التبري من العلم والقدرة، وإثباتهما لله تعالى، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة، ومن اختياره لنفسه.

٧ - صلاة التوبة: روى أحمد، بسند صحيح، عن أبي الدرداء ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يتِمُّهُمَا أَعْطَاهُ اللهُ مَا سَأَلَ مُعجَّلاً أو مُؤَخَّرًا».

٧- صلاة الحاجة: عن أبي بكر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلاَّ غَفَرَ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُوْلَئِكَ

جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦] [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

وروى الطبراني في الكبير، بسند حسن، عن أبي الدرداء ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أوْ أرْبعًا، مَكْتُوبَةً أوْ غَيرَ مَكْتُوبَةٍ، يُحْسِنُ فِيهِنَّ الرُّكُوعَ والسُّجُودَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ غَفَرَ لَهُ».

٥- صلوات مسنونة تسن فيها الجماعة:

هناك صلوات مسنونة تسن فيها الجماعة، وهي خمس صلوات، وهي:

١، ٢- العيدين.

٣، ٤- الكسوف والخسوف.

٥ - الاستسقاء.

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- أي العبارات التالية صواب وأيها خطأ؟ مع الدليل.

-الصلوات الخمس فقط هي المفروضة فرض عين.

-صلاة الجنازة فرض عين على كل من علِم بالميت.

-صلاة التطوع تفيد في صلاة الفريضة.

٢- ماذا تسمى الصلاة التي تنوي فيها المصلية صلاة ركعتين لله؟

٣- ما أنواع الرواتب؟ وكم عدد ركعات كل نوع؟

٤- ما المقصود بصلاة الوتر؟ وما حكمها؟

٥- كم عدد ركعات صلاة كلٍّ من قيام رمضان والضحى؟

٦- كيف تكون صلاة الاستخارة؟

الدرس الثالث
أوقات الصلاة

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الدرس: تشريع توقيت الصلاة، تفصيل أوقات الصلاة، الحكم عند زوال العذر قبيل خروج وقت الصلاة، وقت الأداء ووقت القضاء، قضاء الصلاة، الأعذار المشروعة التي يقبل معها تأخير الصلاة، أحكام قضاء الصلاة، الحكم إذا كثرت الفوائت.

١-تشريع توقيت الصلاة:

للصلوات الخمس المفروضة أوقات محددة لابد أن تؤدَّى فيها؛ لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، أي فرضًا مؤقتًا بوقت لا يصح التقدم عليه ولا التأخر إلا لضرورة شرعية.

وقد بينت السُّنَّة المطهرة هذه الأوقات في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «وَقْتُ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ، وَكَانَ ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ، مَا لَمْ يَحْضُرْ الْعَصْرُ، وَوَقْتُ الْعَصْرِ مَا لَمْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبْ الشَّفَقُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَوْسَطِ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ مَا لَمْ تَطْلُعْ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ فَأَمْسِكْ عَنْ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ» [رواه مسلم، الحديث ٩٦٦].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ، أن النبي ﷺ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَت الشَّمْسُ[1]، ثُمَّ جَاءَهُ الْعَصْرَ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبَ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى حِينَ وَجَبَت الشَّمْسُ[2]، ثُمَّ جَاءَهُ

---

(١) زالت الشمس: مالت عن وسط السماء إلى جهة الغرب.

(٢) وجبت الشمس: غرَبَت.

الْعِشَاءَ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى حِينَ غَابَ الشَّفَقُ[١]، ثُمَّ جَاءَهُ الْفَجْرَ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ[٢]، ثُمَّ جَاءَهُ مِن الْغَدِ لِلظُّهْرِ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ لِلْعَصْرِ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ جَاءهُ لِلْمَغْرِبِ الْمَغْرِبَ وَقْتًا وَاحِدًا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَ لِلْعِشَاءِ الْعِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ نِصْفُ اللَّيْلِ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءهُ لِلْفَجْرِ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا[٣]، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهْ، فَصَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ. [رواه أحمد، الحديث ١٤٠١١].

٢-تفصيل اوقات الصلاة:

وقت صلاة الفجر (الصبح): وقتها يبدأ من طلوع الفجر الصادق- وهو البياض المنتشر في الأفق-[٤] حتى طلوع الشمس؛ لقوله ﷺ: «**وَوَقْتُ الْفَجْرِ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ**» [رواه مسلم، من الحديث ٩٦٥].

وقت صلاة الظُّهر: ووقتها يبدأ من زوال الشمس عن وسط السماء، حتى يصير ظِلُّ كل شيء مثله، ويُستحب تأخيرها عن أول الوقت عند شدة الحر، حتى لا يذهب الخشوع، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَرَادَ الْمُؤَذِّنُ أَنْ يُؤَذِّنَ لِلظُّهْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَبْرِدْ**»[٥]، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُؤَذِّنَ، فَقَالَ لَهُ: «**أَبْرِدْ**»، حَتَّى رَأَيْنَا فَيْءَ التُّلُولِ[٦]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ[٧] جَهَنَّمَ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلاةِ**»[رواه البخاري، الحديث ٥٠٦].

وقد اختلف العلماء في غاية الإبراد، والجاري على القواعد أنه يختلف باختلاف الأحوال، لكن يشترط ألاَّ يمتد إلى آخر الوقت[٨].

---

(١) الشفق: الحمرة التي ترى في الأفق بعد مغيب الشمس.
(٢) برق الفجر: ظَهَر.
(٣) أسفر الصبح: انكشف وأضاء.
(٤) الفجر الكاذب: بياض مستطيل يظهر في الأفق في أعلى السماء ثم ينخفض.
(٥) أبرد: المراد تأخير الصلاة حتى تخف شدة الحر.
(٦) فيء التلول: الفيء هو الظل بعد الزوال، والتلول جمع تل، وهو الموضع المرتفع.
(٧) الفيْح: شدة الحر واللهب.
(٨) الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بتصرف.

وقت صلاة العصر: ويبدأ عندما يصير ظل الشيء مثله بعد الزوال، ويمتد إلى غروب الشمس، قال النبي ﷺ: «وَمَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الْعَصْرِ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْعَصْرَ» [رواه البخاري، من الحديث ٥٤٥].

إلا أنه يُكْرَه تأخيرها إلى آخر الوقت؛ لقوله ﷺ: «تِلْكَ صَلاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لا يَذْكُرُ الله فِيهَا إلاَّ قَلِيلا» [رواه مسلم، من الحديث ٩٨٧].

وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى التي أتى التوكيد في المحافظة عليها في قوله ﷻ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾[1]، فعَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ صَلاةِ الْعَصْرِ حتَّى احمَرَّتْ الشَّمْسُ أَوْ اصْفَرَّتْ[2]، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى، صَلاةِ الْعَصْرِ، مَلأَ الله أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا» [رواه مسلم، من الحديث ٩٩٧].

وقت صلاة المغرب: ويبدأ بغروب الشمس، ويمتد حتى مغيب الشفق الأحمر؛ لقوله ﷺ: «وَوَقْتُ صَلاةِ الْمَغْرِبِ إِذَا غَابَت الشَّمْسُ، مَا لَمْ يَسْقُط الشَّفَقُ» [رواه مسلم، من الحديث ٩٦٧].

وقت صلاة العشاء: يدخل وقت صلاة العشاء بمغيب الشفق الأحمر، ويمتد حتى ثلث الليل أو نصفه، ويبقى وقت الجواز والاضطرار حتى طلوع الفجر، فعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ الله عَنْهَا - تُخبِر عن النبي ﷺ وأصحابه، قالت: وَكَانُوا يُصَلُّونَ الْعَتَمَةَ[3] فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ. [رواه البخاري، من الحديث ٨١٧].

إلا أنه يستحب تأخيرها عن أول وقتها، بشرط ألا تتعدى نصف الليل، فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ قَالَتْ: أَعْتَمَ[4] النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ، وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ

(١) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة.
(٢) وذلك يوم الأحزاب.
(٣) العتمة: شدة الظلام، والمقصود صلاة العشاء؛ لأنها تكون في هذا الوقت.
(٤) أخَّر صلاة العشاء حتى اشتداد ظلمة الليل.

خَرَجَ فَصَلَّى، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَوَقْتُهَا لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي» [رواه مسلم، الحديث ١٠٠٩].

٣- زوال العذر قبيل خروج وقت الصلاة:

إن طهرت الحائض أو النفساء، أو بلغ الصبي، أو أسلم الكافر، أو أفاق المجنون، أو المُغمَى عليه وقد بقي من وقت الصلاة قدر ركعة أو ما دونها، فجمهور العلماء وعامة التابعين - عدا الحسن البصري - يرون أنه يلزمهم صلاة الوقت الذي زال العذر فيه، وصلاة الوقت الذي قبله، فمثلاً إذا زال العذر قبيل المغرب وجب عليهم صلاة الظهر وصلاة العصر، مع مراعاة الترتيب، مستدلين بما ورد عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، حيث قال ابن عباس: إذا طهرت الحائض بعد العصر صلت الظهر والعصر، وإذا طهرت بعد العشاء صلت المغرب والعشاء" وقال عبد الرحمن بن عوف: إذا طهرت الحائض قبل أن تغرب الشمس صلت الظهر والعصر، وإذا طهرت قبل الفجر صلت المغرب والعشاء. [رواهما سعيد بن منصور في سننه][(١)].

٤ -وقت الأداء ووقت القضاء:

لكل صلاة وقتان، وقت أداء، ووقت قضاء.

ووقت الأداء له ثلاثة أوقات: وقت فضيلة، ووقت اختيار، ووقت ضرورة.

ووقت الفضيلة هو أول الوقت، وهو الأفضل للعبد أن يؤدي الصلاة فيه؛ لينال رضوان الله ﷻ، فعَن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الأعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله» [رواه البخاري، الحديث ٦٩٨٠].

ووقت الاختيار هو وقت الوسط، ويجوز للعبد أن يؤخر الصلاة عن وقت الفضيلة إليه، دون أن يتعرض لسخط الله وغضبه.

أما وقت الضرورة فهو نهاية الوقت، ولا يجوز تأخير الصلاة إليه إلا لضرورة شرعية[(٢)].

---

(١) د. عبد الكريم زيدان، المفصَّل في أحكام المرأة والبيت المسلم، (١/ ١٨٨).

(٢) سيأتي الحديث - بمشيئة الله - عن الضرورات الشرعية التي تبيح تأخير الصلاة عن وقتها.

٥- قضاء الصلاة:

فإذا خرج الوقت، وجاء وقت صلاة أخرى، فقد أصبحت الصلاة التي فات وقتها قضاءً، أي دينًا في ذمة العبد، يجب عليه الوفاء به، ويعتبر بهذا التأخير عاصيًا لله ﷻ، مستحقًا لعقابه؛ حيث يقول ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٥].

وتأخير الصلاة من غير عذر معصية كبيرة تستلزم قضاءها، ثم التوبة أو الحج[١].

٦- الأعذار المشروعة التي يقبل معها تأخير الصلاة:

أ- خوف العدو، وقد أخَّر ﷺ الصلاة يوم الخندق[٢]، قال ابن مسعود ﷺ: إنَّ الْمُشْرِكِينَ شَغَلُوا رَسُولَ الله ﷺ عَنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ الله، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعِشَاءَ» [رواه الترمذي، الحديث ١٦٤].

ب- النوم والنسيان:

لحديث أبي قتادة ﷺ قال: ذكروا للنبي ﷺ نومهم عن الصلاة، فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا؛ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» [رواه الترمذي، الحديث ١٦٢] إلاَّ أن بعض الفقهاء قالوا: يكون النسيان عذرًا إذا لم يكن ناشئًا عن تقصير، فإن نسي الصلاة لاشتغاله بلعبٍ مثلاً، فلا يكون معذورًا، ويأثم بتأخير الصلاة عن وقتها[٣].

٧- من أحكام قضاء الصلاة:

أ- وقضاء الصلاة واجب؛ لقوله ﷺ: «إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنْ الصَّلاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا؛ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ أَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]» [رواه مسلم، الحديث ١١٠٤].

---

(١) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، جـ١، صـ١٢٩.
(٢) المرجع السابق، جـ١، صـ١٣٠.
(٣) المرجع السابق.

ب- يكون القضاء فورًا على مذهب جمهور الفقهاء، سواء فاتت الصلاة بعذر أم بغير عذر، إلا أن الشافعية فصّلوا في الأمر فقالوا: يبادر بالفائت ندبًا إن فاتته بعذر كنوم أو نسيان، ووجوبًا إن فاتته بغير عذر، وذلك تعجيلاً لبراءة ذمته، ودليل إيجاب الفورية قوله تعالى: ﴿ أَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[(١)].

والدليل يؤيد ما ذهب إليه الشافعية من التفريق بين الفورية إذا كان بغير عذر، والتراخي إن كان بعذر؛ فقد روى أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى عَرَّسَ وَقَالَ لِبِلالٍ: «اكْلأْ[(٢)] لَنَا اللَّيْلَ». فَصَلَّى بِلالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بِلالاً عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ الله ﷺ وَلا بِلالٌ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمْ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَوَّلَهُمْ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «أَيْ بِلالُ»! فَقَالَ بِلالٌ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ- بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله- بِنَفْسِكَ، قَالَ: «اقْتَادُوا» فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَمَرَ بِلالاً فَأَقَامَ الصَّلاةَ، فَصَلَّى بِهِمْ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا؛ فَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿ أَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾» [رواه مسلم، الحديث ١٠٩٧]، ففي قوله: «فاقتادوا رواحلهم شيئًا» قال الإمام النووي: فيه دليل على أن قضاء الفائتة بعذر ليس على الفور[(٣)].

ج- القضاء على الترتيب: قال الإمام النووي:... إذا قضى صلوات استُحبَّ قضاؤهن مرتبًا، فإن خالف ذلك صحت صلاته عند الشافعي ومن وافقه، سواء أكانت الصلاة قليلة أو كثيرة[(٤)].

د- يجوز قضاء الفرائض الفائتة في جميع أوقات النهي وغيرها، وذلك لحديث أنسٍ

(١) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، جـ١، ص ١٣٧، ١٣٨.
(٢) اكلأ: أي قم بالحراسة.
(٣) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، جـ٥، صـ٣١٢.
(٤) المرجع السابق، جـ١، صـ٣١٠.

بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا؛ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]»[رواه مسلم، الحديث ١١٠٤]، ولحديث أبي قتادة ﷺ أنهم ذكروا للنبي ﷺ نومهم عن الصلاة، فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا؛ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» [رواه الترمذي، الحديث ١٦٢]، فلو طلعت الشمس وهو في صلاة الصبح أتمها؛ لحديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا أَدْرَكَ أَحَدُكُمْ سَجْدَةً مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَلْيُتِمَّ صَلاتَهُ، وَإِذَا أَدْرَكَ سَجْدَةً مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَلْيُتِمَّ صَلاتَهُ» [رواه البخاري، الحديث ٥٢٣]. وهذا الحديث نصٌّ في المسألة[1].

٨- الحكم إذا كثرت الفوائت:

إذا كان على المكلف فوائت لا يدري عددها، فيجب عليه أن يقضي حتى يتيقن براءة ذمته، فلا يكفي غلبة الظن[2]، فلو شك هل عليه خمس وعشرون صلاة أم ست وعشرون بنى على الأكثر؛ لأن اليقين لا يحصل إلا به وهكذا.

ولا يلزم عند القضاء تعيين الزمن، بل يكفي تعيين المنوي كالظهر أو العصر مثلاً، فلا يشترط مثلاً أن يحدد ظهر يوم كذا، وعصر يوم كذا، وعشاء يوم كذا، والله أعلم.[3]

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- لو انقطع دم الحيض عن المرأة قبيل صلاة المغرب، فهل تصلي الظهر والعصر؟ أم تبدأ من صلاة المغرب؟

٢- اذكري الضرورات الشرعية التي تبيح تأخير الصلاة عن وقتها.

٣- ما هو الإبراد؟ وما حكمه (مع الدليل)؟ وما غايته؟

٤- متى يبدأ وقت كل من صلاة المغرب والعشاء والصبح؟ ومتى ينتهي؟

---

(١) المرجع السابق.
(٢) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة، جـ١.
(٣) المرجع السابق.

٥- أكملي:

تنقسم أوقات الصلاة إلى: وقت ..... وهو أول دخول وقت الصلاة، ووقت .... وهو الوقت الممتد بين الصلاتين إلى أن يبقى من الوقت ما يسع الصلاة، ووقت ضرورة وهو.......، أما إذا خرج وقت الصلاة قبل تصلى فيسمى.......

٦- ما حكم ما يلي (مع ذكر الدليل):

هل يشترط في قضاء الصلوات الترتيب؟

وهل تكون على الفور أم يجوز تأخيرها؟

كثُرت الفوائت على المرأة ولا تدري كم عددها وتريد قضاءها.

٧-يسقط قضاء الصلاة على:

أ- المرتد إذا أسلم. ب- الكافر إذا أسلم.

ج- من زال عقله بشرب المسكر. د- جميع ما سبق.

٨ –الصلاة عماد الدين، من أقامها أقام الدين، ومن تركها هدم الدين. تذاكري مع أخواتك: كيف نجعل المجتمع مقيمًا للصلاة محافظًا عليها؟

***

الدرس الرابع

شروط صحة الصلاة

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

شروط الصلاة هي أشياء ليست من أجزاء الصلاة، ولكن لا تصح الصلاة إلا بها، وسنتناول هذه الشروط بشيء من التفصيل، وبعض المسائل المتفرعة عن بعض هذه الشروط.

١- الإسلام:

فلا تصح الصلاة من كافر، وكذلك سائر العبادات لا تصح منه ولا تقبل، وليس له عليها في الآخرة ثواب، يقول عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول تعالى: ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ووَجَدَ الله عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ والله سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

٢- العقل:

فلا تصح الصلاة من مجنون، ولا غير مميز، ولا سكران؛ لأنهم لا يعلمون ما يقولون، وقد قال الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

٣- الطهارة من الحدثين:

وذلك بالوضوء، أو بالغسل، أو بالتيمم؛ لقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وامْسَحُوا بِرُءوسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ

وأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ [المائدة: ٦]، ولقوله ﷺ: «لاَ تُقْبَلُ صَلاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ[(١)]» [رواه مسلم، الحديث ٣٢٩].

٤ - طهارة البدن:

أما طهارة البدن، فلما رُوي عن عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً، فَأَمَرْتُ رَجُلاً أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَسَأَلَ، فَقَالَ ﷺ: «تَوَضَّأْ وَاغْسِلْ ذَكَرَكَ» [رواه البخاري، الحديث ٢٦١]، وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي» [رواه البخاري، من الحديث ٣١٩].

٥ - طهارة الثوب:

لقول الله ﷻ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾[(٢)]، وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ: أُصَلِّي فِي الثَّوْبِ الَّذِي آتِي فِيهِ أَهْلِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، إلا أَنْ تَرَى فِيهِ شَيْئًا فَتَغْسِلَهُ» [رواه أحمد، الحديث ٢٠٠١٥].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَخَلَعُوا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَائِكُمْ نِعَالَكُمْ؟» قَالُوا: رَأَيْنَاكَ خَلَعْتَ فَخَلَعْنَا، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا أَذًى أَوْ قَذَرًا، فَإِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَقْلِبْ نَعْلَيْهِ، فَإِنْ رَأَى فِيهِمَا أَذًى؛ فَلْيُمِطْ[(٣)] وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا» [رواه الدارمي، الحديث ١٣٤٣].

وفي الحديث دليل على أن المصلي إذا دخل في الصلاة وهو مُتلبِّس بنجاسة غير عالم بها أو ناسيًا لها، ثم علم بها في أثناء الصلاة، فإنه يجب عليه إزالتها، ثم يستمر في صلاته، ويبني على ما صلَّى، ولا إعادة عليه[(٤)].

أما إن صلى وفي ثوبه أو على بدنه نجاسة يعلمها - وإن قلَّت - أعاد صلاته؛ إلا أن

---

(١) الغلول: ما يؤخذ من غنائم الحرب خُفية قبل قسمتها.
(٢) الآية ٤ من سورة المدثر.
(٣) فليمط: فليُزِل القذر.
(٤) السيد سابق، فقه السنة، (١/ ١٠٥، ١٠٦).

يكون ذلك دمًا أو قيحًا يسيرًا، فيُعفى عنه[١].

صلاة المرأة في ثوب حاضت فيه:

عَنْ أَسْمَاءَ بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) قَالَتْ: جَاءت امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِحْدَانَا تَحِيضُ فِي الثَّوْبِ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: «**تَحُتُّهُ ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ**[٢] **وَتَنْضَحُهُ وَتُصَلِّي فِيهِ**» [رواه البخاري، الحديث ٢٢٠]، فيجوز للمرأة أن تصلي في ثوب حاضت فيه، ولكن بعد غسله وإزالة أثر الدم.

صلاة المرأة في ثوب بال عليه رضيعها:

وبول الرضيع الذَّكر الذي لم يأكل الطعام يُكتفى في تطهير الثوب منه بالرش بالماء، فعَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ، أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ بِابْنٍ لَهَا لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ، فَوَضَعَتْهُ فِي حَجْرِهِ فَبَالَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ نَضَحَ بِالْمَاءِ. [رواه مسلم، الحديث ٤٣٢].

أما البنت فيجب غسل بولها، سواء طعِمت أم لم تطعم، فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي بَوْلِ الْغُلامِ الرَّضِيعِ: «**يُنْضَحُ بَوْلُ الْغُلَامِ، وَيُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ**»، وقَالَ قَتَادَةُ[٣]: وَهَذَا مَا لَمْ يَطْعَمَا، فَإِذَا طَعِمَا غُسِلا جَمِيعًا. [رواه الترمذي، الحديث ٥٥٥].

صلاة العامل في ثوب حرفته:

يجوز للعامل - أيًّا كانت حرفته - أن يصلي بملابس حرفته على ما فيها من تلوث بأشياء غير نجسة؛ كالزيوت والشحوم وغيرها، ولكن لو صلَّى بغيرها كان ذلك أولى وأكمل، أما لو تحققت نجاستها، فلا تجوز الصلاة فيها.

فوائد:

- من خفي عليه موضع النجاسة في ثوبه أو بدنه، فيجب عليه غسل ما يتيقن به أن الطهارة قد لحقته، أو يغسله كله.

---

(١) راجع الحديث عن النجاسات في الجزء الأول من هذه السلسلة.

(٢) تقرصه بالماء: تدلكه بالماء بأطراف أصابعها.

(٣) هو قتادة بن دعامة، أحد التابعين.

- من سقطت عليه في أثناء صلاته نجاسة يابسة فزالت من نفسها أو أزالها هو بسرعة لم تبطل صلاته؛ لأنه زمن يسير يعفى عنه.
- يعتبر حامل النجاسة كلابسها، فحمل الطفل أو جلوسه في حجر المصلي إذا كان معه نجاسة ظاهرة لا يحجزها عن المصلي حاجز كحفَّاظ أو غيره- يبطل الصلاة، أما إن كان الطفل ليس معه نجاسة ظاهرة، فحمله جائز في الصلاة، فعن أبي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ.. فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا.

[رواه البخاري، الحديث ٤٨٦].

- إن كان عليه ثوب طاهر وطرفه موضوع على نجاسة، كالعمامة على رأسه وطرفها على أرض نجسة، لم تجز صلاته؛ لأنه حامل لما هو متصل بنجاسة.
- لو سلَّم المصلي ثم رأى عليه نجاسة لا يذكر هل كانت عليه في الصلاة أم حدثت بعدها؛ فصلاته صحيحة، وتُستحب إعادتها.
- إن كان على ثوبه نجاسة غير معفو عنها، ولا يملك غيره، ولم يجد ماء يغسل به، فالجمهور على أنه يجوز له الصلاة في الثوب النجس للضرورة ولا يعيد؛ لأن التكليف على قدر الوسع، ولأن الستر أولى من إزالة النجاسة، واستحب البعض إعادتها في الوقت عند الاستطاعة، والشافعية يرون عدم جواز الصلاة في الثوب النجس، وأن يصلي عريانًا ولا يعيد؛ لأن الصلاة مع العُرْي يسقط بها الفرض، ومع النجاسة لا يسقط، إلا إن اضطر إلى لبسه لحر أو برد أو غيرهما، فإنه يصلي فيه ويعيد إذا قدر.

٦- طهارة المكان:

المقصود بمكان الصلاة المواضع التي تقع عليها أعضاء المصلي، وتلاقيها ثيابه التي عليه، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ

مُبَشِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» [رواه البخاري، ٥٦٦٣].

فوائد:

- إذا كانت الأرض نجسة، فوضع عليها المصلي ثوبًا ثخينًا لا يشف النجاسة وصلى عليه؛ جازت صلاته.
- تصح الصلاة على سجادة أحد أطرافها نجس إن لم يصلِّ المصلي على الطرف النجس.
- تصح الصلاة على سجادة ذات بطانة، وجهها طاهر والوجه الآخر نجس، إذا كان يمكن فصل كل وجه على حدة.
- من حُبِس في مكان نجس، فإنه يصلي فيه ولا إعادة عليه، فإن كانت النجاسة رطبة في محل السجود يومئ ولا يسجد، وإن كانت جافة سجد على الأرض.
- يعفى عن ذرق الطير[١] في الأماكن؛ لمشقة الاحتراز منه، وينبغي ألا يتعمد المصلي الوقوف عليه، وقال الإمام النووي: إذا عمت البلوى به- كما في صحون المساجد- وتعذر الاحتراز منه، يعفى عنه، وتصح الصلاة[٢].
- إن سقطت على المصلي نجاسة يابسة فزالت من نفسها أو أزالها هو بسرعة، لم تبطل صلاته؛ لأنه زمن يسير يعفى عنه[٣].
- إن كان الكلب يُتخذ لضرورة؛ كالحراسة أو الصيد، فيتخذ له صاحبه مأوى بعيدًا عن بيته ومكان صلاته، فلا يقرب البيت ولا مكان الصلاة.

٧- العلم بدخول الوقت:

لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]، فلا تجب الصلاة إلا إذا دخل وقتها، ولا تصح إذا وقعت قبل دخول وقتها، فعلى كل من أراد

(١) ذرق الطير: بُرازه.
(٢) الحاجة/ درية العيطة، فقه العبادات على المذهب الشافعي.
(٣) الحاجة/ سعاد زرزور، فقه العبادات على المذهب الحنبلي.

الصلاة أن يتحرى حتى يتيقن أو يغلب على ظنه دخول الوقت بأية وسيلة ممكنة، سواء أكان ذلك بإخبار من ثقة، أو أذان من مؤتمن، أو تقويم معتمد، أو غير ذلك.

٨- ستر العورة:

العورة لغة: مأخوذة من العَوَر، وهو النقص والعيب، وسميت بذلك لقبح ظهورها، وتعرف شرعًا بأنها ما يُطلب سَتْره.

وستر العورة من الواجبات الدينية في الصلاة وخارجها[١]، فعن معاوية بن حيدة (رضي الله عنهما) قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إن اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلا يَرَاهَا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: «فَالله أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ» [رواه الترمذي، الحديث ٢٦٩٣].

والدليل على وجوب ستر العورة في الصلاة قوله عز وجل: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، والمراد بالزينة ما يستر العورة، والمراد بالمسجد الصلاة عمومًا، ويقول ﷺ: «لا تُقْبَلُ صَلاةُ الْحَائِضِ إلا بِخِمَارٍ»[٢]. [رواه الترمذي، ٣٤٤]. وقال الإمام الترمذي معقبًا على الحديث: والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أدركت فصلَّت وشيء من شعرها مكشوف لا تجوز صلاتها.

وما يقال في الشَّعر يقال في سائر ما يعتبر عورة من بدنها.

ويجب ستر العورة في الصلاة حتى في الخلوة والظلمة وعن المصلي نفسه.

حد العورة في الصلاة:

وقبل الحديث عن حد العورة في الصلاة بالنسبة للرجل والمرأة والأطفال، نحب أن

---

(١) سنقتصر في هذا الجزء على العورة في الصلاة بالنسبة للرجل والمرأة، أما خارج الصلاة فسيأتي بحثها في جزء قادم، إن شاء الله.

(٢) المقصود بالحائض هنا المرأة البالغة التي بلغت سن المحيض، وليست التي في حالة الحيض، فمعلوم أن المرأة في أثناء الحيض تحرم عليها الصلاة. والخمار: غطاء الرأس.

بين أن هذه مسألةٌ الخلافُ فيها بين العلماء مشتهر، يتناول تفصيلات دقيقة. ودون الخوض في هذه التفصيلات سنحاول أن نلخص كلامهم وأدلتهم إن شاء الله.

أما الرجل، فجمهور العلماء على أن حد عورته في الصلاة ما بين السرة والركبة، وليست السرة والركبة من العورة.

وأما المرأة الحرة، فعورتها في الصلاة جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين، واختُلف في القدمين، هل هما عورة أم لا؟ والجمهور على أنهما عورة، فقد سألت أم سلمة النبي ﷺ: أَتُصَلِّي الْمَرْأَةُ فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ لَيْسَ عَلَيْهَا إِزَارٌ[١]؟ قَالَ: «إِذَا كَانَ الدِّرْعُ سَابِغًا[٢] يُغَطِّي ظُهُورَ قَدَمَيْهَا» [رواه أبو داود، الحديث ٢٩٦]، فتغطيتهما بثوب طويل أو بجورب أحوط.

وعورة الصغير غير المكلف مثل عورة المكلف لا فرق بينهما.

ما يجب من الثياب وما يستحب منها:

الواجب من الثياب هو ما يستر العورة، ولا يصف لون البشرة، فلا يكفي ثوب رقيق يشف ما تحته، ولا يكفي الغليظ المهلهل الذي به خروق واسعة يظهر من خلالها بعض العورة، وتجوز الصلاة في الثوب المُحدد للعورة، إلا أن بعض العلماء كره ذلك إن لم يكن لضرورة، أو بسبب بلل أو ريح.

وتجوز الصلاة في الثوب الواحد إذا غطَّى العورة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ سَائِلاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَن الصَّلاةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ، فَقَالَ: «أَوَلِكُلِّكُمْ ثَوْبَانِ» [رواه مسلم، الحديث ٧٩٩].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ قَدْ أَلْقَى طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ. [رواه البخاري، الحديث ٣٤٢].

وإن كان هذا الثوب الواحد واسع الجيب[٣] ترى منه عورته من الأمام، أو من أعلى

(١) الدرع: القميص، والإزار ما يشد على الوسط ويغطي الجزء الأسفل من الجسم.
(٢) سابغًا: طويلا ساترًا.
(٣) الجيب: فتحة الصدر.

لم يجزئه، ووجب عليه أن يزرره، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي رَجُلٌ أَصِيدُ، أَفَأُصَلِّي فِي الْقَمِيصِ الْوَاحِدِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَازْرُرْهُ وَلَوْ بِشَوْكَةٍ»

[رواه أبو داود، الحديث ٥٣٧].

إلا أنه يستحب الصلاة في ثوبين[1] أو أكثر، وأن يتجمل ويتزين ما أمكن، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ- أَوْ قَالَ: قَالَ عُمَرُ ﷺ-: «إِذَا كَانَ لأَحَدِكُمْ ثَوْبَانِ فَلْيُصَلِّ فِيهِمَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إلا ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَلْيَتَّزِرْ بِهِ، وَلا يَشْتَمِلْ اشْتِمَالَ الْيَهُودِ»[2] [رواه أبو داود، الحديث ٥٤٠].

وقال عمر ﷺ: إِذَا وَسَّعَ الله فَأَوْسِعُوا، جَمَعَ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، صَلَّى رَجُلٌ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ، فِي إِزَارٍ وَقَمِيصٍ، فِي إِزَارٍ وَقَبَاءٍ[3]، فِي سَرَاوِيلَ وَرِدَاءٍ، فِي سَرَاوِيلَ وَقَمِيصٍ، فِي سَرَاوِيلَ وَقَبَاءٍ، فِي تُبَّانٍ[4] وَقَبَاءٍ، فِي تُبَّانٍ وَقَمِيصٍ، فِي تُبَّانٍ وَرِدَاءٍ.

[رواه البخاري، الحديث ٣٥٢].

كما يجوز للرجل كشف رأسه في الصلاة سواء أكان إمامًا أو مأمومًا.

ما يحرُم ويُكره من الثياب في الصلاة:

تحرُم الصلاة في الثوب المغصوب من الغير، فإن لم يوجد غيره صلى عريانًا ولا إعادة عليه، إلا إذا أذن له صاحبه بالصلاة فيه.

يكره للرجل أن يصلي في ثوب واحد ليس على عاتقه منه شيء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى عَاتِقَيْهِ[5] مِنْهُ شَيْءٌ» [رواه مسلم، الحديث ٨٠١]. وقال الإمام النووي في شرحه للحديث: قال العلماء: حكمته أنه إذا ائتزر به ولم يكن على عاتقه منه شيء لم يؤمن أن تنكشف عورته، بخلاف ما إذا جعل

---

(١) المقصود بالثوبين: رداء يستر الجزء العلوي من الجسد، وإزار يستر الجزء السفلي.

(٢) الاشتمال: الالتفاف بالثوب كله بحيث لا يترك فتحة يخرج منها يديه، وقيل: الالتفاف بالثوب كله ثم يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على منكبيه، فيبدو منه فرجه.

(٣) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، أشبه بالمعطف، والجمع: أقبية.

(٤) التبان: سروال من جلد ليس له رجلان.

(٥) عاتقيه: كتفيه.

بعضه على عاتقه، ولأنه قد يحتاج إلى إمساكه بيده أو يديه فيشغل بذلك، وقال الجمهور: هذا النهي للتنزيه لا للتحريم، فلو صلَّى في ثوب واحد ساتر لعورته ليس على عاتقه منه شيء؛ صحَّتْ صلاته مع الكراهة، سواء قدر على شيء يجعله على عاتقه أم لا.

كما تكره الصلاة في ثياب بها زخارف ونقوش تلهي عن الصلاة، وتجعل المصلي ينشغل بها، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلامٌ[1]، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلامِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ[2] أَبِي جَهْمٍ[3]؛ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا[4] عَنْ صَلاتِي» [رواه البخاري، الحديث ٣٦٠] أي شغلتني عن كمال الحضور والخشوع فيها.

ويُكره للرجل السَّدْل، وهو أن يَلْتَحِف بثوبه ويُدْخِل يدَيه من دَاخِل، فيرْكع ويَسْجُد وهو كذلك، وقيل: هو أن يضع وسط الثوب على رأسه، ويُرسل طَرفيه عن يمينه وشمأله من غير أن يَجْعَلَهما على كَتِفَيه، أو يَضُمَّهما بيديه، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ السَّدْلِ فِي الصَّلاةِ. [رواه الترمذي، الحديث ٣٤٥]، وقال الإمام الترمذي معلقًا على الحديث: وقد اختلف أهل العلم في السدل في الصلاة، فكره بعضهم السدل في الصلاة وقالوا: هكذا تصنع اليهود، وقال بعضهم: إنما كُرِه السدل في الصلاة إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد، فأما إذا سدل على القميص فلا بأس.

انكشاف العورة في الصلاة:

إذا انكشف شيء من العورة من غير قصد في أثناء الصلاة، فإن كان يسيرًا[5] لا تبطل الصلاة وإن طال زمن الانكشاف، فعن عمرو بن سَلَمَةَ ﷺ قال:... فَانْطَلَقَ أَبِي وَافِدًا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَعَلَّمَهُمْ الصَّلاةَ، فَقَالَ: «يَؤُمُّكُمْ أَقْرَؤُكُمْ» وَكُنْتُ أَقْرَأَهُمْ

---

(١) خميصة لها أعلام: ثوب مخطط من حرير أو صوف، عليه نقوش وزخارف.
(٢) أنبجانية: كساء غليظ لا زخارف فيه ولا تطريز، ينسب إلى موضع يسمى أنبجان.
(٣) أبو جهم: هو عبيد الله - ويقال: عامر - بن حذيفة القرشي العدوي، صحابي مشهور، وإنما خصه ﷺ بإرسال الخميصة؛ لأنه كان أهداها للنبي ﷺ.
(٤) آنفًا: قبل قليل.
(٥) اليسير: هو ما لا يفحش في النظر عادة، والكثير هو ما يفحش في النظر عادة.

لِمَا كُنْتُ أَحْفَظُ، فَقَدَّمُونِي، فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي صَغِيرَةٌ صَفْرَاءُ، فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَكَشَّفَتْ عَنِّي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ النِّسَاءِ: وَارُوا عَنَّا عَوْرَةَ قَارِئِكُمْ، فَاشْتَرَوْا لِي قَمِيصًا عُمَانِيًّا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ الإِسْلامِ فَرَحِي بِهِ، فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ. وفي رواية: فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ فِي بُرْدَةٍ مُوَصَّلَةٍ فِيهَا فَتْقٌ، فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ خَرَجَتْ اسْتِي(١).

[رواه أبو داود، الحديث ٤٩٥].

وإن كان المكشوف كثيرًا بطلت الصلاة، إلا إذا تم ستره في الحال دون تطاول زمن، ودون حركات كثيرة؛ فتصح الصلاة، أما إن كشف المصلي عورته عامدًا فصلاته باطلة.

العجز عن ستر العورة:

من عجز عن ستر عورته أو جزء منها، رجلاً كان أو امرأة، صلى عريانًا مادًّا رجليه في اتجاه القبلة، ضامًّا بين فخذيه، مبالغة في الستر، ويومئ بالركوع والسجود، ويكون السجود أخفض من الركوع، ولا إعادة عليه إن وجدت السترة بعد الصلاة.

وإن وجد العريان من يعيره ثوبًا يستر عورته في الصلاة لزمه قبوله، وإذا وجد جلدًا طاهرًا أو ورقًا يمكنه لزقه عليه، أو حشيشًا يمكنه أن يربطه عليه فيُستَّر به لزمه ذلك؛ لأنه قادر على ستر عورته بطاهر، وقد قال رسول الله ﷺ للصحابة عندما أرادوا دفن مصعب بن عمير ﷺ، ولم يجدوا إلا بردة قصيرة إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا بها رجليه بدت رأسه: «غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الإِذْخِرَ»(٢)

[رواه البخاري، الحديث ٣٧٤١].

وإذا صلى العُراة جماعة وكانوا في ظلمة، يتقدم إمامهم، ويصلون خلفه بالهيئة المُبيَّنة، وإن كانوا في نهار أو ليل مقمر، يقفون صفًّا واحدًا وإمامهم وسطهم؛ ليكون أستر له.

وإن لم يجد المصلي غير ثوب يحرم عليه لبسه- كالحرير للرجل- صلى به للضرورة ولا إعادة عليه، وتباح الصلاة في الثوب المنقوش أو المرقع بقطع من الحرير، إذا كان النقش أو

(١) الاست: الدبر.
(٢) الإذخر: نبات طيب الرائحة.

الرفعة قدر أربع أصابع فأقل، فعَنْ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ خَطَبَ بِالْجَابِيَةِ[1] فَقَالَ: نَهَى نَبِيُّ الله ﷺ عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ إِلاَّ مَوْضِعَ إِصْبَعَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ. [رواه مسلم، الحديث ٣٨٦٠].

ومن وجد ما يستر به بعض العورة فقط، فإنه يجب استعماله فيما يستره، ويقدم القبل والدبر، فقد قال ﷺ في الثوب: «فَإِنْ كَانَ وَاسِعًا فَالْتَحِفْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بِهِ» [رواه البخاري، الحديث ٣٤٨].

٩- استقبال القبلة:

القِبْلة هي الكعبة المشرفة، وسميت بذلك؛ لأن المصلي يستقبلها، واتفق العلماء على أنه يجب على المصلي الآمن القادر أن يستقبل الكعبة عند الصلاة إن كان مشاهدًا لها، أو جهتها إن كان غير مشاهد لها، سواء صلَّى فرضًا أو نفلاً؛ لقول الله ﷻ: ﴿ فَوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ وحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقال ﷺ معلمًا المسيء صلاته: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاةِ فَأَسْبِغ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ..» [رواه البخاري، الحديث ٥٧٨٢].

كيف تعرف القبلة؟

على المسلم أن يتحرى القبلة بأية وسيلة من وسائل التحري، ومنها: محاريب المساجد، والبوصلة، ومطلع الشمس ومغربها، فإن لم يستطع تحديدها بعلامة من هذه العلامات، وجب عليه أن يسأل عنها خبيرًا بها، فإن لم يجد من يسأله اجتهد على قدر وسعه وصلَّى، ولا إعادة عليه حتى ولو علم بعد صلاته أنه صلى إلى غير القبلة، واستحب البعض الإعادة لو كان ما زال في وقت الصلاة.

فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: صلينا مع رسول الله ﷺ في يوم غيم في سفر إلى غير القبلة، فلما قضى الصلاة وسلَّم تجلَّت الشمس، فقلنا: يا رسول الله، صلينا إلى غير القبلة! فقال: «قَدْ رُفِعَتْ صَلاتُكُمْ بِحَقِّهَا إِلَى الله ﷻ» [رواه الطبراني في الأوسط].

وعن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَلَمْ نَدْرِ أَيْنَ

(١) الجابية: قرية بدمشق.

الْقِبْلَةُ، فَصَلَّى كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا عَلَى حِيَالِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَ: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ [البقرة:١١٥]. [رواه الترمذي، الحديث ٣١٥]، وقال الإمام الترمذي معلقًا على الحديث: وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى هذا، قالوا: إذا صلى في الغيم لغير القبلة ثم استبان له بعدما صلى أنه صلى لغير القبلة؛ فإن صلاته جائزة.

وإذا صلى بالاجتهاد إلى جهة، ثم أراد صلاة أخرى لزمه إعادة الاجتهاد، فإن تغير اجتهاده عمل باجتهاده الثاني، ولم يُعِد ما صلى باجتهاده الأول[1].

وإن أُخبِر وهو في الصلاة أنه على غير القبلة، تحول إلى القبلة واستمر في صلاته، ولا إعادة عليه؛ فعَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ. [رواه البخاري، الحديث ٣٨٨].

متى تجوز الصلاة إلى غير القبلة:

يسقط شرط استقبال القبلة وتجوز الصلاة إلى غيرها في الأحوال التالية:

أ- الصلاة في السيارة والسفينة والقطار والطائرة:

اتفق الفقهاء على جواز الصلاة في السيارة والسفينة والقطار والطائرة ونحوها من وسائل المواصلات، حتى ولو أمكن النزول منها إلى الأرض، وعلى المصلي فيها أن يستقبل القبلة إن أمكن، ويدور معها إلى القبلة حيث دارت، قائمًا أو قاعدًا، فإن لم يمكنه ذلك صلَّى على أية جهة شاء، قال الإمام البخاري: وَصَلَّى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله وَأَبُو سَعِيدٍ فِي السَّفِينَةِ قَائِمًا، وَقَالَ الْحَسَنُ البصريُّ: قَائِمًا مَا لَمْ تَشُقَّ عَلَى أَصْحَابِكَ تَدُورُ مَعَهَا، وَإِلا فَقَاعِدًا. [كتاب الصلاة، باب الصلاة على الحصير].

ب- الخائف والمكره والمريض:

فمن خاف على نفسه من عدو، أو حيوان مفترس يأتيه من ظهره أو من جانبه إن هو توجه للقبلة، فلا يلزمه في هذه الحالة استقبال القبلة، بل يصلي إلى أية جهة شاء، واقفًا على

---

(١) د. عبد الكريم زيدان، المفصَّل في أحكام المرأة والبيت المسلم، (١/ ١٩٦، ١٩٧).

الأرض، أو راكبًا على دابته، سواء أكانت الصلاة فرضًا أم نفلاً؛ لقوله عز وجل: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]، ولحديث ابن عمر أنه سُئل عن صلاة الخوف فوصفها، ثم قال: فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ صَلَّوْا رِجَالاً قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ، أَوْ رُكْبَانًا مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا(١). [رواه البخاري، من الحديث ٤١٧١].

ويقاس على الخائف: المكرَه والمريض إذا عجزا عن استقبال القبلة، فلهما أن يصليا إلى غيرها؛ لقوله عز وجل: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله ﷺ: «.. وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [رواه البخاري، من الحديث ٦٧٤٤].

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- اذكري شروط صحة الصلاة.

٢- وضحي حكم صلاة المرأة في ثوب حاضت فيه أو بال عليه رضيع.

٣- وضحي حكم صلاة العامل في ثوب حرفته.

٤- اذكري الأحكام المختلفة فيمن خُفي عليها موضع النجاسة.

٥- اذكري الأحكام الشرعية لمكان الصلاة.

٦- وضحي تعريف العورة، وحد العورة في الصلاة.

٧- ما حكم انكشاف العورة في الصلاة؟ وما حكم من عجز عن ستر عورته؟

٨- اذكري كيفية معرفة القِبلة، ومتى تجوز الصلاة إلى غير القِبلة؟

* * *

(١) د. محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، (١/ ١٧٢، ١٧٣)، وسيأتي- إن شاء الله- تفصيل صلاة الخوف.

الدرس الخامس
المواضع المنهيّ عن الصلاة فيها

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الدرس المواضع المنهي عن الصلاة فيها، وهي التي يكره أو يحرم الصلاة فيها، وقد تبطل مع هذه الكراهة والتحريم، وقد لا تبطل، وهذه المواضع بيَّنها الفقهاء في مصنفاتهم، ونوجزها فيما يلي:

١ - الصلاة إلى المقبرة:

عن أبي مرثد الغنوي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»[رواه مسلم، الحديث ١٦١٤]. وحمل كثير من العلماء النهي على الكراهة، سواء أكانت المقبرة أمام المصلّي أم خلفه، وهذا ما لم يقصد تعظيم الميت، فتحرم الصلاة في هذه الحالة مع صحتها[١]. وقد ورد عن أنس ﷺ أنه كان يصلي إلى قبر، فناداه عمر: القبر، القبر. فظن أنه يعني القمر، فلما رأى أنه يعني القبر جاز القبر وصلّى.[٢] وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية وعلق عليها بقوله: ولم يأمره بالإعادة.[٣] وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: استنبطه من تمادي أنس على الصلاة، ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها واستأنف.[٤]

ويؤيد الحكم بالكراهة ما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن النبي ﷺ قال: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلاتِكُمْ وَلا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا» [رواه البخاري، الحديث ٤١٤]، وبوب له

(١) في هذا الموضع: حرمة الشيء لا تقتضي بطلانها أو فسادها، فالصلاة هنا صحيحة لاستكمالها كافة الشروط والأركان، أما الحرمة فلأمر خارج عنها، وهو هنا استقبال القبر مع قصد التعظيم، وفي المسألة تفصيل، انظره في كتب أصول الفقه.

(٢) رواه أبو نعيم (شيخ البخاري) في كتاب الصلاة، كما ذكر الحافظ في الفتح وسكت عنه، جـ١، ص ٦٩٠.

(٣) المرجع السابق، جـ١، ص ٦٨٩.

(٤) المرجع السابق، جـ١، ص ٦٩٠.

البخاري بقوله: «باب كراهية الصلاة في المقابر»[(١)]، قال الحافظ ابن حجر: استنبط من قوله في الحديث: «ولا تتخذوها قبورًا»، أن القبور ليست بمحل للعبادة، فتكون الصلاة فيها مكروهة[(٢)]. وهذا الحكم بالكراهة مع صحة الصلاة إذا لم يكن في المقبرة ثمة نجاسة من القبور، وهذا لا يكون غالبًا إلا إذا كان القبر منبوشًا، ولهذا فرّق الإمام الشافعي بين الصلاة في المقبرة المنبوشة، فلم يُجَوِّز الصلاة فيها، وبين غيرها فجَوَّزها، وهو الصحيح، والله أعلم[(٣)].

٢ - الصلاة في المجزرة والمزبلة:

تحرم الصلاة فيهما من غير حائل؛ لكونهما محلاً للنجاسة، ومع الحائل تكره عند جمهور العلماء، وتحرم عند أحمد وأهل الظاهر[(٤)].

٣ - الصلاة في قارعة الطريق:

قارعة الطريق: وسطه، وتكره الصلاة هنا، وعلة النهي: ما يقع في الطريق عادة من مرور الناس، وكثرة اللغط الشاغل للقلب، والمؤدّي إلى ذهاب الخشوع.

٤ - الصلاة فوق الكعبة:

يرى المالكية عدم صحة صلاة الفرض فوق الكعبة، ولو كان بين يديه بعض بنائها؛ لأن المصلّي في هذه الحالة يكون مُصَلِّيًا على البيت لا إليه، والذي هو شرط من شروط الصلاة، يقول سبحانه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة: ١٤٤].

فإذا صلَّى فوقها صلاة الفريضة بطلت صلاته، ووجب عليه إعادتها، وأما النفل فاختلفوا في المذهب ما بين ملحق له بالفرض، ومصحِّح، وقائل بعدم الصحة للسنن المؤكدة. أما الشافعية فصححوا الصلاة فوق الكعبة مطلقًا، فرضًا كانت أو نفلاً، بشرط

---

(١) المرجع السابق، جـ١، ص ٦٩٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر تفصيل الشافعية وبقية المذاهب في الفقه على المذاهب الأربعة.
(٤) أهل الظاهر: هم من ينتسبون إلى الإمام داود بن علي الظاهري، وسُمُّوا بذلك لأخذهم بظواهر النصوص، ونفيهم القياس، ومن أئمتهم ابن حزم الظاهري.

أن يستقبل من بنائها قدر ثلثي ذراع، وأما الأحناف فصححوا الصلاة فوقها مع الكراهة؛ لما في ذلك من ترك التعظيم.(١)

أما الصلاة في الكعبة فصحيحة لا فرق فيها بين الفرض والنفل، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ الْبَيْتَ هُوَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِلالٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ، فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا فَتَحُوا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ وَلَجَ، فَلَقِيتُ بِلالاً فَسَأَلْتُهُ: هَلْ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْيَمَانِيَيْنِ.[رواه البخاري، الحديث ١٤٩٥].

٥ - الصلاة في مبارك الإبل:

ومَبارك الإبل: الأماكن التي تبيت فيها، حيث تكره الصلاة فيها، وحكمة النهي أن الإبل تهبُّ وتَنْفِرُ فتشغل المصلي عن صلاته. وأجيزت الصلاة في مرابض الغنم(٢)؛ فعن أبي هريرة ﷺ قَال: قال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وَلا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الإِبِلِ» [رواه الترمذي، الحديث ٣١٧]، وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ أَنْ يُبْنَى الْمَسْجِدُ فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ. [البخاري، الحديث٢٢٧]. والعلة في التفريق بين أعطان الإبل ومرابض الغنم لا تتعلق بالطهارة ولا النجاسة، ولكن قيل: إن حكمة النهي عن الصلاة في أعطان الإبل ما فيها من النفور، فربما نفرت وهو في الصلاة فتؤدي إلى قطعها، أو يحصل للمصلِّي أذى منها، أو تشوُّش يلهيه عن الخشوع في الصلاة. وعلى هذا فيفرق بين كون الإبل في معاطنها وبين غيبتها عنها؛ إذ يُؤمَن نفورها حينئذ، وقد يحتمل أن علة النهي أن يجاء بها إلى معاطنها بعد شروعه في الصلاة فيقطعها، أو يستمر فيها مع شغل خاطره، وقيل: لأن الراعي يبول بينها.

وأما الأمر بالصلاة في مرابض الغنم فأمرٌ للإباحة، وليس للوجوب، والله أعلم(٣).

٦ - الصلاة في الحمّام:

يقصد بالحمَّام هنا في التراث الفقهي (عند الفقهاء السابقين): تلك الحمامات العامة

---

(١) انظر: د. محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ١، ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) المربض: مأوى أو حظيرة الغنم.

(٣) راجع: عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي، جـ٤، ص١٤٧، بتصرف.

التي كانت تستخدم - وإلى عهد قريب - في الاستحمام والنظافة فقط، فتكره الصلاة فيها إذا لم تكن بها نجاسة عند الجمهور؛ وذلك لأنه مُتحدَّث الناس ومُختلَطهم، ولما قد يكون فيه من انكشاف العورات؛ فتلهي المرء عن الخشوع في الصلاة.

أما الحمام في عصرنا الحاضر، والذي تقضى فيها الحاجات، فتحرم الصلاة فيه؛ لما فيها من التَضَمُّخِ[1] بالنجاسة، ولا تنعقد أصلاً لفقدان شرط من شروط الصلاة، وهو طهارة المكان.

هذا وقد ورد النهي عن الصلاة في المواضع السابقة في حديث ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ: فِي الْمَزْبَلَةِ، وَالْمَجْزَرَةِ، وَالْمَقْبَرَةِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَفِي الْحَمَّامِ، وَفِي مَعَاطِنِ الإِبِلِ، وَفَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ الله» [رواه ابن ماجة، الحديث ٧٣٨][2].

٧- الصلاة في الأرض المغصوبة:

تحرم الصلاة في الأرض المغصوبة عند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة؛ لما فيها من استعمال مال الغير بغير إذنه، ولكنها تصحُّ، ولا فرق في الأرض المغصوبة بين أن تكون مغصوبة من مسلم أو غيره، ولا بين أن يكون الْمُغْتَصِبُ لها هو المصلي نفسه أو غيره، إلا أن الحرمة تكون أشدّ إذا كان المصلي هو الذي اغتصبها[3]، فعن أبي مالك الأشجعي ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَعْظَمُ الْغُلُولِ عِنْدَ الله ﷻ ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الأَرْضِ، أَوْ فِي الدَّارِ، فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعًا، فَإِذَا اقْتَطَعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [رواه أحمد، الحديث ١٦٦١٨][4]. قال الإمام النووي[5]: فصلاة الفرض وغيرها من الواجبات إذا أتى بها على وجهها الكامل ترتب عليها شيئان: سقوط الفرض عنه، وحصول الثواب، فإذا أداها في أرض مغصوبة حصل

---

(١) التضمخ: هو ملامسة النجاسة والتلطخ بها.
(٢) وضعفه الألباني في إرواء الغليل برقم ٢٨٧.
(٣) د. محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ١، ص٣٠٣.
(٤) وهو في ضعيف الجامع برقم ٩٥٨.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ٣٦٣.

الأول دون الثاني[١].

٨- الصلاة في الكنيسة والبيعة[٢]:

تجوز الصلاة في الكنائس والبِيَع إن لم يكن فيها تماثيل، وكان موضع الصلاة طاهرًا من النجاسات، قال الإمام البخاري: قَال عُمَرُ ﷺ: إِنَّا لا نَدْخُلُ كَنَائِسَكُمْ مِنْ أَجْلِ التَّمَاثِيلِ التِي فِيهَا الصُّوَرُ. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُصَلِّي فِي البِيعَةِ إِلا بِيعَةً فِيهَا تَمَاثِيل. [كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة].

كما يجوز تحويلها إلى مساجد؛ فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَسْجِدَ الطَّائِفِ حَيْثُ كَانَ طَوَاغِيتُهُمْ»[٣]. [رواه أبو داود، الحديث ٣٨٠].

٩- الصلاة في بيت غير المسلم:

تجوز الصلاة في بيت غير المسلم ما دام موضع الصلاة غير نجس، وقد ذكر ابن القيم (رحمه الله)، أن سلمان الفارسي وأبا الدرداء (رضي الله عنهما) صلَّيَا في بيت نصرانية[٤].

١٠- الصلاة على الأرض المبتلة:

من كان في مكان فيه طين ومطر، ولم يمكنه السجود على الأرض إلا بالتلوث بالطين والبلل بالماء، فله أن يصلي واقفًا، أو على دابته ويومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، فعن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَانْتَهَوْا إِلَى مَضِيقٍ وَحَضَرَت الصَّلاةُ، فَمُطِرُوا السَّمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَالْبِلَّةُ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَأَذَّنَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَقَامَ، فَتَقَدَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَلَّى بِهِمْ يُومِئُ إِيمَاءً، يَجْعَلُ السُّجُودَ أَخْفَضَ مِنْ الرُّكُوعِ. [رواه الترمذي، الحديث ٣٧٦]، وقال الإمام الترمذي معلقًا على الحديث: وكذلك رُوي عن أنس بن مالك أنه صلى في ماء وطين على دابته، والعمل على هذا عند أهل العلم، وبه يقول أحمد وإسحاق.

(١) يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، جـ١٤، ص ٣٦٢، ٣٦٣.
(٢) البِيعة: معبد اليهود، والجمع: بِيَع.
(٣) الطواغيت: كل ما يُعبد من دون الله، كالأصنام وغيرها.
(٤) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، جـ١، صـ١٥٣.

وهذه رخصة، فإن أراد المصلي السجود على الماء والطين، فله ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: جَاءتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ السَّقْفُ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، فَأُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ. [رواه البخاري، الحديث ٦٢٩].

١١- الصلاة في بيت فيه صورة أو كلب:

كره الفقهاء الصلاة في مكان فيه كلب أو صورة لذي روح؛ لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ الله عَنْهُمَا) قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه- صَاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ- أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ (يُرِيدُ التَّمَاثِيلَ الَّتِي فِيهَا الأَرْوَاحُ)». [رواه البخاري، الحديث ٣٧٠١]؛ أما الكلب فللنجاسة التي تتعلق به، وأما الصورة فلكونها معصية، وفيها مضاهاة لخلق الله ﷻ، وبعضها في صورة ما يُعبَد من دون الله ﷻ، فمتخذ الكلاب والتماثيل في بيته يُحرم من دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، ودفعها أذى الشيطان عنه(١).

وأما الصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه، فهي ما يحرم اقتناؤه من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يُمتَهَن، أما الأشياء الممتهنة كلُعَب الأطفال والبُسُط في الأرض وغيرها، فلا شيء فيها، وكذلك إذا كانت الصورة لغير ذي روح كالأشجار والأنهار، فلا بأس(٢).

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- عددي المواضع المنهي عن الصلاة فيها.

٢- اذكري حكم الصلاة في الكنيسة والبيعة وبيت غير المسلم.

٣- وضحي حكم الصلاة في الأرض المبتلة.

* * *

(١) الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة، هم الملائكة الطوافون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت، ولا يفارقون بني آدم في كل حال؛ لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها.

(٢) سيأتي الحديث عن حكم الصور والتماثيل مفصلاً في أجزاء قادمة إن شاء الله.

الدرس السادس

فرائض الصــــــلاة

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

فرائض (أركان) الصلاة: أمور هي أجزاء من الصلاة، ولا تصح الصلاة إلا بإتيانها كاملة، وسنتناول في هذا الدرس هذه الأركان وبعض الفروع المندرجة تحتها:

١ - **النية**: وهي فرض عند جمهور الفقهاء؛ فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» [رواه البخاري، الحديث ١]، ويجب أن تكون النية مقارنة لتكبيرة الإحرام، ومع رفع اليدين، ولا بأس أن تتقدم عليها يسيرًا.

ويجب على المصلي أن يحدد الفرض الذي يريد أن يصليه، إن ظهرًا فظهر، وإن عصرًا فعصر، وإن أداءً فأداء، وإن قضاءً فقضاء.

والنية محلها القلب، كما عرفت في فرائض الوضوء، إذ لم يثبت عن النبي ﷺ أنه تلفظ بها، والتلفظ بها مكروه، وقيل بدعة.

هذا والعبرة في النية بما استقر في القلب، لا بما جرى على اللسان؛ فإن نوى المصلي بقلبه صلاة الظهر - مثلاً - وكانت ظهرًا فعلاً، وأخطأ لسانه فقال: أصلي العصر، فلا عبرة بخطأ اللسان، بناء على أن النية محلها القلب، كما عرفت، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥].

٢ - **تكبيرة الإحرام**: وهي فرض بالإجماع؛ فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ» [رواه الترمذي، الحديث ٣]، ولفظها: «الله أكبر»، وسميت تكبيرة الإحرام؛ لأن بها يدخل العبد في حرم الصلاة، فلا يأتي بأقوال تُنافي أقوالها، ولا بأفعال تخالف أفعالها.

هذا وينبغي على المصلي أن يكون معتدلاً في التلفظ بتكبيرة الإحرام، فلا يمد همزة «الله»؛ حتى لا تتشابه بهمزة الاستفهام، ولا يمد لفظ الجلالة مدًّا طويلاً أكثر من أربع حركات، ولا يمد باء أكبر[1]؛ حتى لا يتغير المعنى، ويستحب أن يُسمِع بها نفسه إن لم يكن أصم، أو كان هناك لغط[2]. وهناك من يفصل بين لفظ الجلالة ولفظ [أكبر] بواو، فيقول: «الله وأكبر». وهذا خطأ ينبغي تلاشيه.

٣- **القيام لتكبيرة الإحرام:** مع القدرة، أما العاجز فله أن يكبر قاعدًا أو مضطجعًا، حسب قدرته.

والقيام فرض في صلاة الفرض بالإجماع؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] أي مطيعين، والمراد القيام في الصلاة بإجماع المفسرين.

ولما رَوَى عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلاةِ، فَقَالَ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**» [رواه البخاري، الحديث ١٠٥٠].

أما صلاة النوافل، فالقيام فيها مستحب، فمن صلى قائمًا فله الثواب كله، ومن صلى قاعدًا فله نصف الثواب، على ما سيأتي ذكره في باب النوافل.

٤- **قراءة الفاتحة:** وهي فرض في صلاة الفرض والنفل على الإمام والمأموم والمنفرد، مع القدرة على قراءتها؛ لما رَوَى عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**» [رواه البخاري، الحديث ٧١٤]، قال الإمام الترمذي: وقد اختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام، فرأى أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم القراءة خلف الإمام، وبه يقول وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: أنا أقرأ خلف الإمام، والناس يقرءون، إلا قومًا من الكوفيين، وأرى أن من لم يقرأ صلاتُه جائزة. وهذا مذهب الشافعية

(١) لأنه يصير جمع كبر بالفتح، وهو اسم لطبل له وجه واحد.
(٢) اللغط: هو الكلام الكثير الذي يشوش على المصلي؛ فيجعله لا يسمع تكبيرته.

وجمهور آخر من الفقهاء.

ويرى المالكية والحنفية وفريق من الحنابلة أنها فرض على المنفرد والإمام، ومستحبة في حق المأموم، واحتجوا بحديث جابر بن عبد الله ﷺ، حيث قال: «مَنْ صَلَّى رَكْعَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ؛ فَلَمْ يُصَلِّ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَ الإِمَامِ» [رواه الترمذي، الحديث ٢٨٧].

هل البسملة من الفاتحة:

اتفق جمهور الفقهاء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

واختلفوا: هل هي آية من الفاتحة، أم هي آية تفتتح بها كل سورة من القرآن على سبيل التبرك؟

فقال الشافعية: هي آية من الفاتحة، وقال المالكية: ليست آية من الفاتحة.

وعلى هذا فمن تركها عند الشافعية بطلت صلاته، ومن تركها عند المالكية فلا شيء عليه.

غير أن كثيرًا من الفقهاء المالكية يفضل قراءتها خروجًا من الخلاف، ويفضل أن تكون قراءتها سرًّا.

اللحن[(١)] في الفاتحة يبطل الصلاة:

قال النووي في شرح مسلم: وإذا لحن في الفاتحة لحنًا يخل المعنى، كضم تاء «أَنْعَمْتَ»، أو كسرها، أو كسر كاف «إِيَّاكَ» بطلت صلاته، وإن لم يخل المعنى كفتح الباء من «الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ» ونحوه، كره ولم تبطل صلاته.

لهذا يجب على المصلي أن يصحح قراءة الفاتحة، حتى لا تبطل صلاته.

من لم يحسن فرض القراءة:

قال الخطابي: الأصل أن الصلاة لا تجزئ إلا بقراءة فاتحة الكتاب، ومعقول أن قراءة

---

(١) اللحن: الخطأ.

فاتحة الكتاب على من أحسنها دون مَن لا يحسنها، فإذا كان المصلي لا يحسنها ويحسن غيرها من القرآن، كان عليه أن يقرأ منه قدر سبع آيات؛ لأن أولَى الذكر بعد الفاتحة ما كان مثلها من القرآن، وإن كان ليس في وسعه أن يتعلم شيئًا من القرآن؛ لعجز في طبعه، أو سوء في حفظه، أو عجمة في لسانه، أو عاهة تعرض له؛ كان أولى الذكر بعد القرآن ما علمه النبي ﷺ من التسبيح والتحميد والتهليل[1].

ويؤيد ما ذكره الخطابي ما جاء في حديث رفاعة بن رافع، أن النبي ﷺ علم رجلاً الصلاة فقال: «فَإِنْ كَانَ مَعَكَ قُرْآنٌ فَاقْرَأْ، وَإِلا فَاحْمَدِ اللهَ وَكَبِّرْهُ وَهَلِّلْهُ»

[رواه الترمذي، من الحديث ٢٧٨].

٥- **الركوع**: وهو فرض بالإجماع في كل صلاة، إلا صلاة الجنازة، فليس فيها ركوع ولا سجود، على ما سيأتي بيانه.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧]. ويتحقق الركوع عند جمهور الفقهاء بالانحناء، بحيث تصل اليدان إلى الركبتين.

وأكمله عند الجميع يكون بتسوية الرأس والعَجُزِ، والاعتماد بيديه على ركبتيه، وتفريج أصابعه، وبسط ظهره؛ فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَكَعَ اعْتَدَلَ فَلَمْ يَنْصِبْ[2] رَأْسَهُ وَلَمْ يُقْنِعْهُ[3]، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

[رواه النسائي، من الحديث ١٠٢٩].

٦- **الرفع من الركوع**: وهو فرض عند الجمهور؛ لقوله ﷺ للمسيء في صلاته: «ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا» [رواه البخاري، من الحديث ٧١٥].

٧- **السجود**: وهو فرض بالإجماع؛ لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا

(١) على ألا ينقص البدل عن عدد حروف الفاتحة ذِكْرًا كان أو قُرآنًا.
(٢) يميل رأسه إلى أسفل.
(٣) يرفعه حتى يكون أعلى من ظهره.

وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

وتكريره في كل ركعة فرض بالسنة والإجماع؛ لقول رسول الله ﷺ للمسيء في صلاته: «ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا» [رواه البخاري، من الحديث ٧٥١].

ويتحقق السجود بوضع سبعة أعضاء على الأرض، وهي الوجه، والكفان، والركبتان، والقدمان؛ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قال: «أُمِرَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ... الْجَبْهَةِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ» [رواه البخاري، من الحديث ٧٦٧].

فإذا لم يسجد العبد على عضو من هذه الأعضاء السبعة بطلت صلاته، واختلفوا في السجود على الأنف، فقال أكثر الفقهاء: السجود عليه واجب، لأنه ملحق بالجبهة، ولقوله ﷺ مِنْ حَدِيث وَائِلٍ قَالَ: «رَأَيْت رَسُولَ الله ﷺ يَسْجُد عَلَى الأَرْضِ وَاضِعًا جَبْهَته وَأَنْفه فِي سُجُوده» [رواه أحمد، الحديث ١٨١٠٩]، وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيق عِكْرِمَةَ، عَنْ اِبْن عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ صَلاة لِمَنْ لا يُصِيبُ أَنْفه مِنْ الأَرْضِ مَا يُصِيبُ الْجَبِينَ».

وقال المالكية: لو سجد المصلي على وجهه دون أنفه صحَّت صلاته، ولكن الأفضل أن يعيدها ما دام الوقت باقيًا، مراعاة للخلاف.

٨- **الجلوس بين السجدتين:** وهو فرض عند الأئمة؛ وذلك لقول النبي ﷺ للمسيء صلاته: «ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا» [رواه البخاري، من الحديث ٧٥١]، وأقله سكون أعضائه المتحركة في حال الجلوس، وينبغي ألا يطيله طولاً فاحشًا؛ لأنه ركن قصير.

٩- **الجلوس الأخير والتشهد فيه:** وهما فرضان عند الشافعية وأحمد؛ لما رواه الطبراني والبزار عن ابن مسعود ؓ قال: كان النبي ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «تَعَلَّمُوْا؛ فَإِنَّهُ لا صَلاَةَ إلا بِتَشَهُّدٍ»[1]، فدل هذا الحديث على أن

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٠٠): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صفدي بن سنان، ضعفه ابن معين، ورواه البزار برجال موثقين، وفي بعضهم خلاف لا يضر إن شاء الله.

التشهد فرض، وإذا كان التشهد فرضًا، فالجلوس له فرض.

ويرى المالكية أن التشهد الثاني سنة كالتشهد الأول، والجلوس له أيضًا سنة، إلا الجلسة الأخيرة بقدر السلام، أي بقدر قول المصلي: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ» عن يمينه فقط، بحيث لو سلم وهو واقف لا تصح صلاته.

وقالت الحنفية: إن التشهد الأخير واجب، على اصطلاحهم في التفريق بين الفرض والواجب[1].

صيغ التشهد:

للتشهد صيغ كثيرة، المشهور منها ثلاثة:

(أ) عن عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلامُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ[2] للهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ[3]، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» [رواه البخاري، الحديث ٧٨٨].

(ب) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ، فَكَانَ يَقُولُ: «**التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ للهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**» [رواه مسلم، الحديث ٦١٠].

(ج) عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ

---

(١) واجبات الصلاة عندهم أنها لا تبطل (أي الصلاة) بتركها (أي الواجبات)، ولكن المصلي إن تركها سهوًا فإنه يجب عليه أن يسجد للسهو بعد السلام، ومن تركها عمدًا فإنه يجب عليه إعادة الصلاة، فإن لم يُعِدْ كانت صحيحة مع الإثم.

(٢) معناها: الكمالات لله.

(٣) هي الأعمال الصالحات.

يُعَلِّمُ النَّاسَ التَّشَهُّدَ يَقُولُ: قُولُوا: التَّحِيَّاتُ للهِ، الزَّاكِيَاتُ للهِ، الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لله، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» [رواه مالك، الحديث ١٨٩].

قال النووي: هذه الأحاديث في التشهد كلها صحيحة، وأشهرها صحة باتفاق المحدثين: حديث ابن مسعود، ثم ابن عباس.

قال الشافعي: وبأيها تشهد أجزأه، وقد أجمع العلماء على جواز كل واحد منها.

١١- الصلاة على النبي ﷺ عقب التشهد الأخير: وهي فرض عند الشافعية في التشهد الأخير دون الأول؛ لحديث فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ- صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ- قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجِلَ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ- أَوْ لِغَيْرِهِ-: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ» [رواه أبو داود، الحديث ١٢٦٦].

ويرى المالكية والحنفية وجمهور الحنابلة أنها سنة؛ لحديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» [رواه مسلم، الحديث ٩٢٦].

فقالوا: قد أمر بالاستعاذة عقب التشهد، ولم يذكر الصلاة على النبي ﷺ، ولو كانت ركنًا لذكرها، ولأن الوجوب إنما يكون بدليل شرعي، ولم يرد، وحديث فضالة لا يدل على وجوبها؛ لأنه ﷺ أمر فيه بالدعاء في آخر الصلاة، وهو غير واجب اتفاقًا.

١٢- السلام: وهو فرض؛ فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ» [رواه الترمذي، الحديث ٣]، ولقوله ﷺ من حديث مَالِكِ بن الْحُوَيْرِث ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» [رواه البخاري، من الحديث ٥٩٥]، ولم يعرف أن النبي ﷺ قد ترك السلام في صلاة من الصلوات.

والتسليمة الأولى هي الفرض، وينبغي أن تكون جهة اليمين، والتسليمة الثانية سنة عند الجمهور.

١٣، ١٤- الطمأنينة والاعتدال في جميع الأركان: لقوله ﷺ للمسيء في صلاته، من حديث رفاعة بن رافع ﷺ: «... ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ قُمْ، فَإِذَا أَتْمَمْتَ صَلاتَكَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَتْمَمْتَهَا، وَمَا انْتَقَصْتَ مِنْ هَذَا مِنْ شَيْءٍ؛ فَإِنَّمَا تُنْقِصُهُ مِنْ صَلاتِكَ» [رواه أحمد، من الحديث ١٨٢٢٧].

والاعتدال: هو استواء الأعضاء في الركوع والسجود والجلوس والقيام.

والطمأنينة: هي استقرار الأعضاء وسكونها زمنًا يسع تسبيحة- على الأقل- عند المالكية وبعض الشافعية، أو ثلاث تسبيحات- على الأقل- عند كثير من الفقهاء.

١٥- ترتيب الأركان: وهو ركن بالإجماع؛ لقوله ﷺ من حديث مَالِكِ بن الْحُوَيْرِثِ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» [رواه البخاري، الحديث ٥٩٥]

وقد كانت صلاته ﷺ على هذا الترتيب المنقول عنه، ولم يثبت عن أحد من الصحابة (رضوان الله عليهم) أن النبي ﷺ قد خالف هذا الترتيب، فسجد- مثلاً- قبل أن يركع، فمن خالف هذا الترتيب بطلت صلاته إن تعمد ذلك، فإن لم يتعمد ذلك فعليه أن يصحح الخطأ، ويسجد للسهو، على ما سيأتي بيانه في مبحث سجود السهو، إن شاء الله.

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- عددي فرائض الصلاة.

٢- اذكري الأحكام المختلفة للبسملة، وهل هي من الفاتحة أم لا؟

٣- وضحي حكم من لم يحسن قراءة الفاتحة.

٤- اذكري كيف يتحقق السجود.

٥- اذكري صِيَغ التشهد.

***

الدرس السابع

سنن الصلاة

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

للصلاة سنن يستحب للمصلي أن يحافظ عليها لينال ثوابها، وإن لم يأت بشيء منها فصلاته صحيحة، إلا أنه لا ينال ثوابها، وكما قال الإمام أبو حنيفة: يعاتب يوم القيامة عليها (يتساقط منه لحم الوجه)، وسنذكرها فيما يلي:

١- **رفع اليدين حذو المنكبين، أو حذو الأذنين، عند تكبيرة الإحرام أو قبلها:** ولم يختلف واحد من أهل العلم في أن رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام سنة.

صفة الرفع:

ورد في صفة رفع اليدين روايات متعددة، والمختار الذي عليه الجماهير أن يرفع يديه حذو منكبيه، بحيث تحاذي أطراف أصابعه أعلى أذنيه، وإبهاماه شحمتي أذنيه، وراحتاه منكبيه، قال النووي: وبهذا جمع الشافعي بين روايات الأحاديث؛ فاستحسن الناس ذلك منه.

ويستحب أن يمد أصابعه وقت الرفع، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٢٣] (١).

٢- **وضع اليمين على الشمال فوق السرة، وتحت الصدر:** وقد صح من طرق كثيرة أن الرسول ﷺ كان إذا صلى وضع يده اليمنى على اليسرى [رواه مسلم، الحديث ٦٠٨].

ويرى بعض المالكية: أن إرسال اليدين إلى الجنبين أولى من قبضهما، مع أنه قد جاء في

---

(١) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٧٦١).

كتاب الموطأ أن مالكًا (رحمه الله) لم يزل يقبض يديه في الصلاة، حتى لقي الله ﷻ.

والقبض هو وضع اليمنى على اليسرى فوق السرَّة، فالقبض عند جمهور الفقهاء والمحدثين أولى من الإرسال؛ للأحاديث الكثيرة التي صحت عن رسول الله ﷺ، منها:

- ما رواه سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلاةِ» [رواه البخاري، الحديث ٦٩٨].

- وعن هلب الطائي قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، وَرَأَيْتُهُ قَالَ يَضَعُ هَذِهِ عَلَى صَدْرِهِ» [رواه أحمد، الحديث ٢٠٩٦١].

٣- **التوجه** - أو دعاء الافتتاح - **بعد تكبيرة الإحرام، وقبل الفاتحة**: وهو سنة عند أكثر أهل العلم.

والأحاديث الواردة فيه كثيرة وصحيحة:

- من هذه الأحاديث ما رواه أبو زُرعة عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ هُنَيَّةً[1]، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «أَقُولُ: اللهمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللهمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللهمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ[2]» [رواه البخاري، الحديث ٧٠٢].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي؛ فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا؛ إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ

---

(١) لحظة قصيرة.

(٢) الندى.

وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» [رواه مسلم، من الحديث ١٢٩٠].

وفي الأحاديث الواردة أدعية أخرى، وللمسلم أن يدعو بأي صيغة وردت عن الرسول ﷺ.

٤- **الاستعاذة**: ويستحب افتتاح القراءة بها، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

ويستحب الاستعاذة في كل ركعة، كما يستحب أن تكون سرًّا.

٥- **التأمين**: ويسن للمتفرد والإمام والمأموم أن يقول بعد قراءة الفاتحة: آمين، ويرفع بها صوته.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتأمين، فعنَ عَطَاءٍ ﷺ قَالَ: «أَدْرَكْتُ مِائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ إِذَا قَالَ الإِمَامُ: «وَلا الضَّالِّينَ» سَمِعْتُ لَهُمْ رَجَّةً بِآمِينَ» [رواه البيهقي في السنن الكبرى] [(1)].

عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلامِ وَالتَّأْمِينِ» [رواه ابن ماجة، الحديث ٨٤٦].

وليس معنى هذا أنهم كانوا يرفعون أصواتهم جدًّا، وإنما كانوا وسطًا بين السر والجهر، إلا أنهم لكثرتهم كان يرتج بهم المسجد، والله أعلم.

ويستحب للمأموم أن يوافق تأمينه تأمين الإمام، وقد ورد أنه «مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ» [رواه البخاري، الحديث ٧٣٨].

٦- **القراءة بعد الفاتحة**: يسن للمصلي أن يقرأ بعد الفاتحة سورة- ولو قصيرة- من القرآن، أو آية تعدل أقصر سورة منه، مثل سورة الكوثر، وذلك في ركعتي الصبح، والركعتين الأولَيَين من الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وفي ركعتي

---

(١) وسكت عنه الحافظ في الفتح (٢/ ٣٣٩)، فهو حديث حسن.

الجمعة، وفي ركعات النوافل.

فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأولَيَيْنِ مِنْ صَلاةِ الظُّهْرِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ يُطَوِّلُ فِي الأولَى، وَيُقَصِّرُ فِي الثَّانِيَةِ، وَيُسْمِعُ الآيَةَ أَحْيَانًا، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْعَصْرِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ وَكَانَ يُطَوِّلُ فِي الأولَى، وَكَانَ يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الأولَى مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ، وَيُقَصِّرُ فِي الثَّانِيَةِ» [رواه البخاري، الحديث ٧١٧].

٧- **السر فيما يسر فيه والجهر فيما يجهر فيه:** فينبغي على المصلي أن يقرأ سرًّا في صلاة الظهر والعصر، والركعة الأخيرة من المغرب، والركعتين الأخيرتين من العشاء، وفي صلاة النفل من النهار.

وأن يقرأه جهرًا في ركعتي الصبح، والركعتين الأوليين من المغرب، والركعتين الأوليين من العشاء، وركعتي الجمعة، وركعتي العيد: الفطر والأضحى، وفي النفل ليلاً.

وأقلُّ السرِّ أن يُسمِعَ الإنسان نفسه، وعند مالك يُكتفى فيه بحركة اللسان، وأقل الجهر أن يسمع الإنسان نفسه ومن يليه، وأكثره لا حد له، إلا أنه ينبغي على المصلي ألا يرفع صوته جدًّا، وألا يخفضه جدًّا، بل يكون وسطًا بَيْنَ بَيْنَ، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠].

هذا ولو أسر المصلي فيما يجهر فيه، وجهر فيما يسر فيه، فلا شيء عليه، بل متى ذكر ذلك فليعمل ما هو مطلوب منه من الإسرار والجهر.

٨- **تكبيرات الانتقال:** وهي سنة بلا خلاف، وذلك بأن يكبِّر المصلي عند الشروع في الركوع، وعند الشروع في السجود، وعند الرفع منه، وعند القيام.

أما عند الرفع من الركوع، فإنه يقول: «سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فليقل خلفه: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» [رواه البخاري، من الحديث ٦٤٨].

٩- **تفريج الأصابع في الركوع، ووضع اليدين على الركبتين، وجعل الرأس مساويًا للظهر:** وذلك لما روى عقبة بن عمرو أنه ركع فجافى يديه على ركبتيه، وفرج بين أصابعه من وراء ركبتيه، وقال: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي» [رواه أحمد، من الحديث ١٦٤٦٢].

ومعنى «جافي يديه» : أبعد ذراعيه قليلاً عن ركبتيه، ومعنى «تفريج الأصابع» : تفريقها حول الركبتين.

١٠ - **الذكر في الركوع:** هو سنة عند الجمهور، وذلك بأن يقول المصلي في ركوعه: «سبحان ربي العظيم».

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ» [رواه أبو داود، من الحديث ٧٣٦].

وأقل التسبيح عند جمهور الفقهاء ثلاث تسبيحات، ويرى المالكية أن التسبيحة الواحدة تكفي، والأصح ما قاله الجمهور؛ لحديث عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَقَالَ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ، وَإِذَا سَجَدَ فَقَالَ فِي سُجُودِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدْ تَمَّ سُجُودُهُ، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ» [رواه الترمذي، الحديث ٢٤٢] [١].

١١ - **الذكر عند الرفع من الركوع: تقدم أن قلنا:** إن المصلي إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد [٢]، ويستحب الزيادة على قول: «ربنا ولك الحمد» مثل: «حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السموات والأرض»، وذلك لما رواه رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ الزُّرَقِيِ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ»؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ» [رواه البخاري، الحديث ٧٥٧].

عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَفَعَ ظَهْرَهُ مِنْ الرُّكُوعِ قَالَ: «سَمِعَ

---

(١) روي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: أستحب للإمام أن يسبح خمس تسبيحات لكي يدرك من خلفه ثلاث تسبيحات.

(٢) ورد: «ربنا ولك الحمد» بالواو. (رواه البخاري، من الحديث ٦٤٨)، وبدون الواو (رواه البخاري، من الحديث ٦٨٠).

الله لِمَنْ حَمِدَهُ، اللهمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» [رواه مسلم، الحديث ٧٣٣].

١٢- **رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه:** فقد وردت أحاديث تفيد أن النبي ﷺ فعله في صلاته، منها: ما رواه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاةَ، وَإِذَا كَبَّرَ لِلرُّكُوعِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ رَفَعَهُمَا كَذَلِكَ أَيْضًا، وَقَالَ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَكَانَ لا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ» [رواه البخاري، الحديث ٦٩٣].

١٣- **التسبيح والدعاء في السجود:** هو سنة لما رواه عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: «...لَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**» [رواه أبو داود، من الحديث ٧٣٦].

وأما الدعاء في السجود فمطلوب؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**» [رواه مسلم، من الحديث ٧٤٤].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**أَلا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**» [رواه مسلم، من الحديث ٧٣٨].

وقد كان النبي ﷺ يكثر الدعاء في سجوده؛ فقد وردت عنه أدعية كثيرة وطويلة، منها: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَجَدَ قَالَ: «**اللهمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**» [رواه مسلم، من الحديث ١٢٩٠].

١٤- **ضم الأصابع في السجود مستحب:** لما رواه الحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه[1]، عن وائل بن حُجْر ﷺ، «أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ فَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَإِذَا سَجَدَ ضَمَّ أَصَابِعَهُ».

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٧٣٣).

١٥- **كيفية الهوي إلى السجود والرفع منه:** ذهب الجمهور إلى استحباب وضع الركبتين قبل اليدين، حكاه ابن المنذر عن عمر النخعي، ومسلم بن يسار، وسفيان الثوري، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي، وقال: وبه أقول، انتهى.

وحكاه أبو الطيب عن عامة الفقهاء، وقال ابن القيم: وكان ﷺ يضع ركبتيه قبل يديه، ثم يديه بعدهما، ثم جبهته وأنفه، هذا هو الصحيح الذي رواه شريك، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا سَجَدَ وَضَعَ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ، وَإِذَا نَهَضَ رَفَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ» [رواه النسائي، من الحديث ١٠٧٧]، ولم يَرَوا في فعله ما يخالف ذلك، انتهى.

وقال مالك والأوزاعي: أدركت الناس يضعون أيديهم قبل ركبهم، وقال ابن أبي داود: وهو قول أصحاب الحديث.

وأما كيفية الرفع من السجود حين القيام إلى الركعة الثانية، فهو على الخلاف أيضًا: فالمستحب عند الجمهور أن يرفع يديه ثم ركبتيه، وعند غيرهم يبدأ برفع ركبتيه قبل يديه.

١٦- **هيئة السجود:** يستحب للساجد أن يراعي في سجوده ما يلي:

١- تمكين أنفه وجبهته ويديه من الأرض، مع مجافاتها عن جنبيه، فعن وائل بن حجر ﷺ، أن النبي ﷺ لَمَّا سَجَدَ وَقَعَتَا رُكْبَتَاهُ إِلَى الأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ كَفَّاهُ، قَالَ: فَلَمَّا سَجَدَ وَضَعَ جَبْهَتَهُ بَيْنَ كَفَّيْهِ، وَجَافَى عَنْ إِبِطَيْهِ [رواه أبو داود، من الحديث ٦٢٧].

وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا سَجَدَ أَمْكَنَ أَنْفَهُ وَجَبْهَتَهُ مِنْ الأَرْضِ، وَنَحَّى يَدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ» [رواه الترمذي، الحديث ٢٥٠][1].

٢- **وضع الكفين حَذْو الأذنين**[2]، أو حَذْو المنكبين[1]، وقد ورد هذا وذاك، وجمع

---

(١) قال أبو عيسى: حَدِيثُ أَبِي حُمَيْدٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْجُدَ الرَّجُلُ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ، فَإِنْ سَجَدَ عَلَى جَبْهَتِهِ دُونَ أَنْفِهِ فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: يُجْزِئُهُ، وَقَالَ غَيْرُهُمْ: لا يُجْزِئُهُ حَتَّى يَسْجُدَ عَلَى الْجَبْهَةِ وَالأَنْفِ.

(٢) رواه النسائي.

بعض العلماء بين الروايتين[٢]، بأن يجعل طرفي الإبهامين حذو الأذنين، وراحتيه حذو منكبيه.

٣- **أن يبسط أصابعه مضمومة**، لما رواه الحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه[٣]، عن وائل بن حُجْر ﷺ، «أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ فَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَإِذَا سَجَدَ ضَمَّ أَصَابِعَهُ».

٤- **أن يستقبل بأطراف أصابعه القبلة**، ففي حديث أبي حميد ﷺ، في صفة صلاة رسول الله ﷺ، «.. فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَ يَدَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشٍ وَلا قَابِضِهِمَا، وَاسْتَقْبَلَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ» [رواه البخاري، من الحديث ٧٨٥].

١٧- **صفة الجلوس بين السجدتين**: السنة في الجلوس بين السجدتين أن يجلس مفترشًا، وهو أن يثني رجله اليسرى فيبسطها ويجلس عليها، وينصب رجله اليمنى، جاعلاً أطراف أصابعها إلى القبلة، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى» [رواه مسلم، من الحديث ٧٦٨].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مِنْ سُنَّةِ الصَّلاةِ أَنْ تَنْصِبَ الْقَدَمَ الْيُمْنَى، وَاسْتِقْبَالُهُ بِأَصَابِعِهَا الْقِبْلَةَ، وَالْجُلُوسُ عَلَى الْيُسْرَى» [رواه النسائي، من الحديث ١١٤٦].

وفي حديث أبي حميد، في صفة صلاة رسول الله ﷺ، «ثُمَّ ثَنَى رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَقَعَدَ عَلَيْهَا، ثُمَّ اعْتَدَلَ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ فِي مَوْضِعِهِ مُعْتَدِلاً، ثُمَّ أَهْوَى سَاجِدًا» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٨٠].

وقد ورد أيضًا استحباب الإقعاء، وهو أن يفرش قدميه ويجلس على عقبيه، فعن طَاوُس قال: «قُلْنَا لابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) فِي الإِقْعَاءِ عَلَى الْقَدَمَيْنِ، فَقَالَ: هِيَ

(١) رواه البخاري.
(٢) هو الإمام الشافعي.
(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٧٣٣).

السُّنَّةِ، فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّا لَنَرَاهُ جَفَاءً بِالرَّجُلِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلْ هِيَ سُنَّةُ نَبِيِّكَ ﷺ. [رواه مسلم، الحديث ٨٣٥].

وعن طاوس قال: رأيت العبادلة - يعني عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير - يقعون [رواه البيهقي في الكبرى] [1]. وأما الإقعاء - بمعنى وضع الإليتين على الأرض ونصب الفخذين - فهذا مكروه، باتفاق العلماء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «نَهَانِي رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ثَلاثٍ: عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ» [رواه أحمد، الحديث ٧٧٥٨].

ويستحب للجالس بين السجدتين أن يضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويده اليسرى على فخذه اليسرى، بحيث تكون الأصابع مبسوطة موجهة إلى القبلة، مفرجة قليلاً منتهية إلى الركبتين.

الدعاء بين السجدتين: يستحب الدعاء بين السجدتين بأحد الأدعية الآتية، ويكرر إذا شاء:

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «اللهمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» [رواه الترمذي، الحديث ٢٦٢].

- عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي» [رواه ابن ماجه، الحديث ٨٨٧].

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلاةِ اللَّيْلِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَارْزُقْنِي وَارْفَعْنِي» [رواه ابن ماجة، الحديث ٨٨٨].

١٨- **جلسة الاستراحة:** هي جلسة خفيفة يجلسها المصلي بعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الأولى، قبل النهوض إلى الركعة الثانية، وبعد الفراغ من السجدة الثانية، من الركعة الثالثة، قبل النهوض إلى الركعة الرابعة.

(١) قال الحافظ: صحيحة الإسناد.

فعن مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي، فَإِذَا كَانَ فِي وِتْرٍ مِنْ صَلاتِهِ لَمْ يَنْهَضْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا. [رواه البخاري، الحديث ٧٨٠].

١٩- **صفة الجلوس للتشهد**: ينبغي في الجلوس للتشهد مراعاة السنن التالية:

أ- أن يضع يديه على الصفة المبينة في الأحاديث التالية:

١- عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى، وَعَقَدَ ثَلاثَةً وَخَمْسِينَ(١)، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ [رواه مسلم، الحديث ٩١٢]، وفي رواية: وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ. [رواه مسلم، من الحديث ٩١٣].

٢- عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ إِذَا دَعَا وَلا يُحَرِّكُهَا. [رواه أبو داود، من الحديث ٨٣٩].

٣- عن عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَلَمْ يُجَاوِزْ بَصَرُهُ. [رواه أحمد، الحديث ١٥٥١٨]، ففي هذا الحديث الاكتفاء بوضع اليمنى على الفخذ بدون قبض، والإشارة بسبابة اليد اليمنى، وفيه: أنه من السنة أن لا يجاوز بصر المصلي إشارته، فهذه كيفيات صحيحة، والعمل بأي كيفية جائز.

ب- أن يشير بسبابته اليمنى مع انحنائها قليلاً حتى يسلم، فعن نُمَيْرٍ الْخُزَاعِيِّ ﷺ، «أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ الله ﷺ قَاعِدًا فِي الصَّلاةِ وَاضِعًا ذِرَاعَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، رَافِعًا أُصْبُعَهُ السَّبَّابَةَ قَدْ أَحْنَاهَا شَيْئًا وَهُوَ يَدْعُو. [رواه النسائي، الحديث ١٢٥٧].

ج- أن يفترش في التشهد الأول(٢)، ويتورك في التشهد الأخير:

فَفِي حَدِيْثِ أَبِيْ حُمَيْدٍ ﷺ، فِيْ صِفَةِ صَلاةِ رَسُوْلِ الله ﷺ، «.. فَإِذَا جَلَسَ فِي

---

(١) عقد ثلاثًا وخمسين: أي قبض أصابعه، وجعل الإبهام على المفصل الأوسط من تحت السبابة.

(٢) تقدم بيان معناه في صفة الجلوس بين السجدتين، والتورك: أن ينصب رجله اليمنى موجهًا أصبعه إلى القبلة، ويثني رجله اليسرى تحتها، ويجلس بمقعدته على الأرض.

الرَّكْعَتَيْنِ(١) جَلَسَ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، وَنَصَبَ الْيُمْنَى، وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَنَصَبَ الأُخْرَى، وَقَعَدَ عَلَى مَقْعَدَتِهِ. [رواه البخاري، الحديث ٧٨٥].

٢٠- **التشهد الأول:** يرى جمهور العلماء أن التشهد الأول سنة؛ لحديث عَبد الله بنَ بُحَيْنَةَ ﷺ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِهِمْ الظُّهْرَ فَقَامَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأولَيَيْنِ لَمْ يَجْلِسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ». [رواه البخاري، الحديث ٧٨٦].

٢١- **استحباب التخفيف فيه ويستحب التخفيف فيه:** فعن عَبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأولَيَيْنِ كَأَنَّهُ عَلَى الرَّضْفِ [رواه الترمذي، الحديث ٣٣٤](٢).

٢٢- **صيغ الصلاة على النبي ﷺ(٣):** يستحب للمصلي أن يصلي على النبي ﷺ في التشهد الأخير، بإحدى الصيغ التالية:

١- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ ﷺ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: قُولُوا: «اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [رواه البخاري، الحديث ٥٨٨٣].

٢- عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ فَقَالَ: أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ الله ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [رواه البخاري، الحديث ٣١١٩].

---

(١) فإذا جلس في الركعتين: أي للتشهد الأول.
(٢) الرَّضف، جمع رَضفَة: وهي الحجارة المحماة، وهو كناية عن تخفيف الجلوس.
(٣) انظر مبحث فرائض الصلاة.

٣- عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَمَّا السَّلامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [رواه البخاري، الحديث ٤٤٢٣].

٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، هَذَا التَّسْلِيمُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ» [رواه البخاري، الحديث ٥٨٨١].

٥- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا الله تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [رواه مسلم، من الحديث ٦١٣].

٦- عن ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ فَقَالَ: أَلا أُهدِي لَكَ هَدِيَّةً، خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [رواه مسلم، الحديث ٦١٤].

٢٣- **الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام:** يستحب الدعاء بعد التشهد وقبل السلام بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، فعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ علمهم التشهد، ثم قال في آخره: «ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنْ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ»، وفي رواية: «ثُمَّ لْيَتَخَيَّرْ بَعْدُ مِنْ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ أَوْ مَا أَحَبَّ»، وفي رواية: «ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنْ الدُّعَاءِ» [رواه مسلم، الحديث ٦٠٩].

والدعاء مستحب مطلقًا، سواء أكان مأثورًا أو غير مأثور، إلا أن الدعاء بالمأثور أفضل، ونحن نورد بعض ما ورد في ذلك:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» [رواه مسلم، الحديث ٩٢٤].

٢- عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عَنْهَا) زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاةِ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ؟! فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[1] [رواه البخاري، الحديث ٧٨٩].

٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قام إلى الصلاة يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إلا أَنْتَ» [رواه مسلم، من الحديث ١٢٩٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلاةِ؟»، قَالَ: أَتَشَهَّدُ ثُمَّ أَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ النَّارِ، أَمَا وَالله مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ»[2]. [رواه ابن ماجة، الحديث ٩٠٠].

ثانيًا- أسئلة للتقويم:

١- اذكري سنن الصلاة.

٢- وضحي هيئة السجود.

٣- اذكري الدعاء المأثور بين السجدتين، والدعاء المأثور قبل السلام.

(١) المأثم: الإثم، والمغرم: الدين.
(٢) الدندنة: الكلام غير المفهوم.

الدرس الثامن

سجود السـهو

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الدرس: المقصود بسجود السهو ومشروعيته في الصلاة، حكم سجود السهو في الصلاة، أسباب سجود السهو، كيفية سجود السهو، موضع سجود السهو، الحكم عند نسيان سجود السهو، حالات سجود السهو، سهو الإمام أو المنفرد عن التشهد الأول، سهو المأموم والمسبوق، اجتماع السهو والتنبيه على سجود السهو.

١- المقصود بسجود السهو ومشروعيته في الصلاة:

السهو لغة: نسيان الشيء والغفلة عنه، وسجود السهو عند الفقهاء: هو ما يكون في آخر الصلاة أو بعدها لجبر خلل بترك بعض مأمور به، أو فعل بعض منهيٍّ عنه دون تعمد[(١)].

لا يشرع سجود السهو في حالة العمد؛ لقوله ﷺ: «إِذَا سَهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ وَاحِدَةً صَلَّى أَوْ ثِنْتَيْنِ؛ فَلْيَبْنِ عَلَى وَاحِدَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثِنْتَيْنِ صَلَّى أَوْ ثَلاثًا؛ فَلْيَبْنِ عَلَى ثِنْتَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثَلاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا؛ فَلْيَبْنِ عَلَى ثَلاثٍ، وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ» [رواه الترمذي، الحديث٣٦٤]، فعلق السجود على السهو؛ لأنه يشرع جبرانًا للنقص أو الزيادة، والعامد لا يُعذر، فلا ينجبر خلل صلاته بسجود السهو، بخلاف الساهي[(٢)].

٢- حكم سجود السهو في الصلاة:

أما حكمه، فقد اختلف فيه الفقهاء على النحو التالي:

ذهب الحنفية والحنابلة في المعتمد عندهم إلى وجوب سجود السهو، فقال الحنابلة:

(١) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٢، ص٨٧.
(٢) المرجع السابق، ص٨٨.

سجود السهو واجب، ودليلهم حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ خَمْسًا، فَلَمَّا انْفَتَلَ تَوَشْوَشَ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَلْ زِيدَ فِي الصَّلاةِ؟ قَالَ: «لا»، قَالُوا: فَإِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا، فَانْفَتَلَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ» [رواه أبو داود، الحديث٨٦٢]. وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلاثًا أَمْ أَرْبَعًا؛ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ، وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلاتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ» [رواه مسلم، الحديث ٨٨٨].

وجه الدلالة في الحديثين أنهما اشتملا على الأمر المقتضي للوجوب.

ومذهب المالكية أن سجود السهو سُنة، وهو المشهور من المذهب.

ومذهب الشافعية- وهو رواية عند الحنابلة- أنه سنة؛ لقوله ﷺ عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ؛ فَلْيُلْقِ الشَّكَّ، وَلْيَبْنِ عَلَى الْيَقِينِ، فَإِذَا اسْتَيْقَنَ التَّمَامَ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، فَإِنْ كَانَتْ صَلاتُهُ تَامَّةً كَانَتْ الرَّكْعَةُ نَافِلَةً وَالسَّجْدَتَانِ، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِصَةً كَانَتْ الرَّكْعَةُ تَمَامًا لِصَلاتِهِ، وَكَانَتْ السَّجْدَتَانِ مُرْغِمَتَيْ الشَّيْطَانِ» [رواه أبو داود، من الحديث٨٦٤]، والشاهد في قوله: «كَانَتْ الرَّكْعَةُ نَافِلَةً وَالسَّجْدَتَانِ»[(١)].

والمختار أن سجود السهو سنة.

٣- أسباب سجود السهو:

الأمر الذي يترتب عليه سجود السّهو قسمان: ترك مأمور به، أو ارتكاب منهيّ عنه:

- أما المأمور به فنوعان: ترك ركن وغيره.

- أما الركن، فإذا تركه لم يكف عنه السجود، بل لابد من تداركه، ويأتي بسجود السهو بعد التدارك.

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٢٤، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

وأما غير الركن فنوعان: أبعاض[١] وغيرها، فالأبعاض: التشهد الأول، والجلوس له، والقنوت والقيام له، والصلاة على الآل في التشهد الأخير، وكل واحد من هذه الأبعاض مجبور بسجود السهو إذا تركه سهوًا، ويكفي عنه السجود.

وأما غير الأبعاض من السنن: كالتعوذ، ودعاء الاستفتاح، ورفع اليدين، والتكبيرات، والتسبيحات، والدعوات، والجهر والإسرار، والتورك والافتراش[٢]، والسورة بعد الفاتحة، ووضع اليدين على الركبتين، وتكبيرات العيد الزائدة، وسائر الهيئات والمسنونات غير الأبعاض، فلا يسجد لها سواء تركها عمدًا أو سهوًا.

وأما المنهي عنه فصنفان: أولها: ما لا تبطل الصلاة بعمده: كالالتفات، والخطوة والخطوتين، ووضع اليد على الفم والخاصرة، والفكر في الصلاة، والنظر إلى ما يلهي، ورفع البصر إلى السماء، وكف الثوب والشعر، ومسح الحصى والتراب، والتثاؤب، والعبث بلحيته وأنفه وأشباه ذلك، فهذا كله لا يسجد لعمده ولا لسهوه.

والثاني: ما تبطل الصلاة بعمده كالكلام والركوع والسجود الزائدين، فهذا يسجد لسهوه إذا لم تبطل به الصلاة، أما إذا بطلت به الصلاة فلا سجود، وذلك كالأكل والفعل والكلام إذا أكثر منه ساهيًا[٣]. وسيأتي تفصيل هذه الحالات.

٤- كيفية سجود السهو:

سجود السهو سجدتان بينهما جلسة، ويسن في هيئتها الافتراش، ويتورك بعدهما إلى أن يسلم، وصفة السجدتين في الهيئة والذكر كصفة سجدات الصلاة[٤].

ويسجد للسهو في صلاة النفل؛ لأن النفل كالفرض في النقصان، فكان كالفرض في الجبران، وبه قال العلماء إلا ابن سيرين[٥].

---

(١) الأبعاض: جمع بعض، وهو بمعنى الجزء.
(٢) انظر معنى التورك والافتراش في الجزء الرابع من هذه السلسلة.
(٣) محمد حسين، أحكام الصلاة، ص٢٩.
(٤) المرجع السابق، ص٣٠.
(٥) المرجع السابق.

٥- موضع سجود السهو:

لا خلاف بين العلماء أن سجود السهو جائز قبل السلام وبعده، وإنما اختلفوا في المسنون، والأَوْلى:

١- مذهب الشافعي وهو رواية عن أحمد: الأَوْلى فعله قبل السلام في الزيادة والنقصان. وهو قول أبي هريرة ﷺ، وسعيد بن المسيب، والزهري، وربيعة، والأوزاعي، والليث.

٢- وقال أبو حنيفة والثوري: الأَوْلى فعله بعد السلام في الزيادة والنقصان. وبه قال عليّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وعمار بن ياسر ﷺ.

٣- وقال مالك وهو رواية عن أحمد: إن كان لنقصان فالأولى فعله قبل السلام، وإن كان لزيادة فالأولى فعله بعد السلام(١).

٦- الحكم عند نسيان سجود السهو:

من نسي سجود السهو فمتى يؤمر بتداركه:

أما المالكية: فقد فرقوا بين السجود القبلي والبعدي، فإن ترك السجود البعدي يقضيه متى ذكره، ولو بعد سنين، ولا يسقط بطول الزمان، سواء تركه عمدًا أو نسيانًا؛ لأن المقصود (ترغيم الشيطان) كما في الحديث. وأما السجود القبلي فإنهم قيدوه بعدم خروجه من المسجد، وإذا لم يطل الزمان، وهو في مكانه أو قريبٌ منه.

وقالت الحنفية: يسجد متى ذكره، وإن طال الزمان ما لم يتكلم.

وقالت الشافعية: إن ذكر السهو قبل طول الفصل لزمه البناء على صلاته فيأتي بالباقي ويسجد للسهو، وإن ذكر بعد طول الفصل لزمه الاستئناف(٢)، واعتبار طول الفصل وقصره يرجع فيه إلى العرف، فإن عدّه قليلاً فقليل، أو كثيرًا فكثير.

---

(١) المرجع السابق، وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ٢٤، صـ٢٣٩.
(٢) أي يبتدئ الصلاة من أولها.

وقال أحمد: يتدارك ويسجد للسهو ما دام في المسجد، وإن تكلم واستدبر القبلة[1].

٧- حالات سجود السهو:

الحالة الأولى: ما يفعله عند الشك:

من القواعد المقررة في أبواب الفقه أنه إذا تيقنًا وجود شيء أو عدمه، ثم شككنا في تغيره وزواله عمَّا كان عليه، استصحبنا حكم اليقين، وطرحنا الشك إلا في مسائل قليلة، ومنها:

إذا شك في ترك مأمور يجبر تركه بالسجود، وهو الأبعاض، فالأصل أنه لم يفعله فيسجد للسهو.

وإذا شك: هل سها أم لا؟ وهل زاد في الصلاة ركعة أو سجدة أو غيرهما أم لا؟ أو هل ارتكب منهيًّا عنه ككلام وسلام ناسيًا لم يسجد؛ لأن الأصل عدمه.

ولو تيقن السهو هل سجد له أم لا فليسجد؛ لأن الأصل عدم السجود، ولو شك: هل سجد للسهو سجدة أم سجدتين سجد أخرى، ولو شك: هل صلى ثلاثًا أو أربعًا أخذ بالأقل؛ لأنه المتيقن؛ فيأتي بركعة ويسجد للسهو[2].

والدليل على هذا حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «إِذَا سَهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ وَاحِدَةً صَلَّى أَوْ ثِنْتَيْنِ؛ فَلْيَبْنِ عَلَى وَاحِدَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثِنْتَيْنِ صَلَّى أَوْ ثَلاثًا، فَلْيَبْنِ عَلَى ثِنْتَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثَلاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَبْنِ عَلَى ثَلاثٍ وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ» [رواه الترمذي، الحديث ٣٦٤]، ولحديث أبي سعيد الخُدْري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلاثًا أَمْ أَرْبَعًا؛ فَلْيَطْرَحْ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلاتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ» [رواه مسلم، الحديث ٨٨٨].

إذا ترك ركعة ساهيًا ثم ذكر وهو في الصلاة لزمه فعلها، وإن شك في تركها: هل

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

صلى ركعتين أو ثلاثًا أو أربعًا لزمه الأخذ بالأقل، وفعل ما بقي، سواء أكان شكه مستوي الطرفين، أو ظن أنه فعل الأكثر، ففي الحالين يلزمه الأخذ بالأقل ويجبر الباقي، ولا مدخل للاجتهاد فيه طالما تردد فيه. وإن شك بعد السلام في ترك شيء من صلاته لم يلزمه شيء؛ لأن الظاهر أنه أداها على التمام، فلا يضره الشك الطارئ بعده؛ ولأننا لو اعتبرنا حكم الشك بعدها أصابته المشقة، فلم يُعتبر[1].

الحالة الثانية: نسيان ركن أو ترك الترتيب:

الترتيب واجب في أركان الصلاة، فإن تركه عمدًا بطلت صلاته، وإن تركه سهوًا لم يعتد بما فعله بعد الركن المتروك حتى يصل إلى الركن المتروك، ويفعله في ركعة أخرى، فتتم الركعة السابقة، ويلغى ما بينهما، وفي الأحوال كلها يسجد للسهو، فإن كان المتروك النية أو تكبيرة الإحرام وجب استئناف الصلاة.

ولو تذكر عند القيام إلى الركعة الثانية أنه ترك سجدة من الركعة الأولى وجب الإتيان بها، وهل يجزئه أن يسجد من قيامه، أم يجب أن يجلس ثم يسجد؟ الصحيح إن لم يكن جلس عقب السجدة الأولى وجب الجلوس مطمئنًا؛ لأنه ركن مقصود؛ ولهذا يجب فيه الطمأنينة والاستواء قاعدًا، وإن كان جلس كفاه السجود من غير جلوس، فإذا تذكر بعد سجوده في الثانية أنه ترك سجدة من الأولى، فقد تمت ركعته الأولى، وألغى ما بينهما.

وإذا تذكر أنه ترك سجدة من أربع ركعات وهو في الجلوس في آخر الصلاة، فإن علم أنها من الآخرة سجدها واستأنف التشهد، وإن علمها من غير الآخرة أو شك لزمه ركعة.

وإن علم ترك سجدتين؛ فإن كانتا من الأخيرة سجدهما ثم تشهد، وإن كانتا من غيرهما وعلمهما من ركعة واحدة لزمه ركعة، وإن علمهما من ركعتين متواليتين كفاه ركعة، وإن علمهما من ركعتين غير متواليتين أو أشكل الحال لزمه ركعتان، ويسجد للسهو في جميع هذه المسائل[2].

(١) المرجع السابق، ص٣١.
(٢) المرجع السابق، ص٣٢.

الحالة الثالثة: السلام قبل إتمام الصلاة:

إذا سلم المصلي قبل إتمام صلاته سهوًا ونسيانًا، كما لو صلى الظهر ركعتين وسلم ظانًّا أنه أتى بأربع ركعات، ثم علم ذلك قبل طول الفصل وقبل انتقاض وضوئه، فعليه أن يأتي بما فاته أو بما نقص من صلاته - وهو ركعتان في مثالنا - ثم يتشهد ويسلم، ثم يسجد سجدتين للسهو ويتشهد ويسلم، والدليل على هذا حديث ذي اليدين، فَعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ انْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقَصُرَتْ الصَّلاةُ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَصَلَّى اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ».

[رواه البخاري، الحديث ٦٧٣].

وإن طال الفصل بين تسليمه وبين تذكره بسهوه أو انتقض وضوؤه؛ فعليه أن يستأنف الصلاة[1].

الحالة الرابعة: إذا زاد ركعة في صلاته:

وإذا زاد ركعة في صلاته سهوًا بأن قام إلى الركعة الخامسة وهو يصلي الصلاة الرباعية، أو قام إلى الرابعة في صلاة المغرب، أو قام إلى الثالثة وهو يصلي الصبح، فإن ذكر سهوه ونسيانه وهو في الركعة الزائدة لزمه الجلوس في الحال، فإن كان قد تشهد عقب الركعة التي تمت بها صلاته، سجد سجدتي السهو ثم يسلم، وإن لم يكن قد تشهد فإنه يتشهد ويسجد سجدتين للسهو، ثم يسلم، فإن لم يذكر ما نسيه حتى فرغ من الصلاة، فإنه يسجد سجدتين للسهو عقب ذكره ثم يسلم[(٢)٣].

٨- سهو الإمام أو المنفرد عن التشهد الأول:

- من سها عن التشهد الأول فسبح له المأمومون أو تذكر قبل انتصابه قائمًا لزمه الرجوع، وإن استتم قائمًا لا يعود للتشهد؛ لأنه تلبّس بركن، ويسجد للسهو؛ لحديث

(١) د.عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، ج١، ص٢٢٦.
(٢) المرجع السابق، بتصرف.

المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَامَ الإِمَامُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ، فَإِنْ ذَكَرَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَوِيَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ اسْتَوَى قَائِمًا فَلا يَجْلِسْ، وَيَسْجُدْ سَجْدَتَيْ السَّهْوِ» [رواه أبو داود، الحديث٨٧٢]، وعن عبد الله بن بحينة ﷺ، أن النبي ﷺ صَلَّى فَقَامَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ، فَسَبَّحُوا، فَمَضَى، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ» [رواه النسائي، الحديث١١٦٥]. وهذا قول جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

ولكن الخلاف وقع فيما لو عاد بعد أن استتمَّ قائمًا، هل تبطل صلاته أم لا؟

ذهب الحنفية والشافعية- على الصحيح عندهم- وسحنون من المالكية إلى أن المصلي لو عاد إلى التشهد الأول بطلت صلاته؛ لحديث المغيرة بن شعبة، الذي فيه النهي عن أن يعود، وهو قوله: «فَإِنْ اسْتَوَى قَائِمًا فَلا يَجْلِسْ» [رواه أبو داود، من الحديث٨٧٢]، ولأنه تلبس بفرض، فلا يجوز تركه لواجب أو مسنون.

وهذا هو المذهب المختار للعمل به.

وذهب المالكية- على المشهور في المذهب- والحنابلة إلى أن الأولى ألا يعود؛ لحديث المغيرة بن شعبة: «فَإِنْ اسْتَوَى قَائِمًا فَلا يَجْلِسْ» [1]، ولا تبطل صلاته إن عاد، ولكنه أساء وكره خروجًا من خلاف من أوجب المضي لظاهر الحديث، واستثنى الحنابلة ما لو شرع الإمام في القراءة، فإن صلاته تبطل إن عاد؛ لأنه شرع في ركن مقصود؛ كما لو شرع في الركوع.

وذهب الجمهور إلى أن المصلي إذا عاد للتشهد بعد أن استتم قائمًا ناسيًا أو جاهلاً من غير عمد؛ فإن صلاته لا تبطل، للحديث: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» [رواه ابن ماجة، الحديث ٢٠٣٥] [2].

وإذا نهض الإمام من الركعة الثانية ناسيًا للتشهد لا يجوز للمأموم أن يتخلف عنه للتشهد، فإن فعل بطلت صلاته، فإن نوى مفارقته ليتشهد جاز وكان مفارقًا بعذر، ولو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٢٤، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

انتصب مع الإمام فعاد الإمام للتشهد فلا يجوز للمأموم العود، بل ينوي مفارقته، وله أن ينتظر الإمام قائمًا حملاً على أنه عاد ناسيًا، فلو عاد المأموم مع الإمام عالمًا بتحريمه بطلت صلاته، ولو قعد المأموم فانتصب الإمام ثم عاد، لزم المأموم القيام؛ لأنه توجه (أي وجب) عليه بانتصاب الإمام القيام، ويفارقه، ولو عاد مع الإمام بطلت صلاته إن كان عالمًا بالتحريم[1].

٩- سهو المأموم والمسبوق:

- إذا سها المأموم خلف الإمام تحمل الإمام سهوه، ولا يسجد الإمام ولا المأموم، وبهذا قال جماهير العلماء.

- ولو كان مسبوقًا فسها بعد سلام الإمام لم يتحمل عنه لانقطاع القدوة، بل يسجد لسهو نفسه في آخر صلاته، فمثلاً إذا ظن المأموم أن الإمام سلم فسلم، ثم تبين له أنه لم يسلم فسلم معه فلا سجود عليه؛ لأنه سها في حال القدوة، ولو ظن أن الإمام سلم بأن سمع صوتًا ظنه سلامه، فقام لتدارك ما عليه وكان ما عليه ركعة مثلاً، فأتى بها وجلس، ثم علم أن الإمام لم يسلم بعد أن تبين خطأه، فهذه الركعة غير محسوبة له؛ لأنها وقعت في غير موضعها؛ لأن وقت التدارك بعد انقطاع القدوة، فإذا سلم الإمام قام إلى التدارك ولا يسجد للسهو؛ لبقاء حكم القدوة. ولو كانت المسألة بحالها فسلم الإمام وهو قائم، فهل يمضي في صلاته؟ أم يلزمه أن يعود إلى القعود ثم يقوم؟ خلاف بين العلماء، أصحها الثاني، ولو كانت المسألة بحالها وعلم في القيام أن الإمام قام ولم يسلم بعدُ، فليرجع إلى متابعته.

وإذا سها الإمام في صلاته لحق المأموم سهوه، فإذا سجد الإمام لزم المأموم موافقته فيه، سواء عرف المأموم سهو الإمام أم لم يعرفه، فمتى سجد الإمام في آخر صلاته سجدتين لزم المأموم متابعته، حملاً على أنه سها، بخلاف ما لو قام إلى ركعة خامسة، فإنه لا يتابعه حملاً على أنه ترك ركنًا من ركعة؛ لأنه لو تحقق الحال هناك لم تجز متابعته؛ لأن

---

(١) المرجع السابق.

المأموم أتم صلاته يقينًا، فلو كان المأموم مسبوقًا بركعة أو شاكًا في فعل ركن كالفاتحة فقام الإمام إلى الخامسة، لم يجز للمسبوق متابعته فيها؛ لأنه يعلم أنها غير محسوبة للإمام، وأنه غالط فيها. وبهذا قال العلماء.

وإذا سها الإمام فلم يسجد للسهو فهل للمأموم أن يسجد؟

قال مالك والأوزاعي والشافعي والليث وأبو ثور ورواية عن أحمد: يسجد المأموم، وقال عطاء والحسن والنخعي والثوري وأبو حنيفة وأحمد في رواية: لا يسجد المأموم ما لم يسجد الإمام[1].

١٠ - اجتماع السهو والتنبيه على سجود السهو:

إذا اجتمع في صلاته سهوان أو أكثر من نوع أو أنواع، بزيادة أو نقصان، أو بهما، كفاه للجميع سجدتان، ولا يجوز أكثر من سجدتين إلا إذا سجد المسبوق وراء الإمام يعيد في آخر صلاته- كما سيأتي إن شاء الله.

وقال الأوزاعي: إذا سها سهوين سجد أربع سجدات[2].

وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز تنبيه المأموم للإمام إذا سها في صلاته؛ لقوله ﷺ: «مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلاتِهِ فَلْيَقُلْ سُبْحَانَ اللهِ» [رواه البخاري، من الحديث ١١٤٢)، وفرق الجمهور من الحنفية والشافعية والحنابلة بين تنبيه الرجال وتنبيه النساء، فالرجال يسبحون لسهو إمامهم، والنساء يصفقن بضرب بطن كف على ظهر الأخرى؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتَّصْفِيقُ[3] لِلنِّسَاءِ» [رواه البخاري، الحديث ١١٢٨]، ولقوله ﷺ: «إِذَا رَابَكُمْ أَمْرٌ فَلْيُسَبِّحْ الرِّجَالُ، وَلْيُصَفِّحْ النِّسَاءُ» [رواه البخاري، من الحديث ٦٦٥٣]. ولم يفرق المالكية بين تنبيه الرجال والنساء، فالجميع يسبح لعموم قوله ﷺ: «مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلاتِهِ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ اللهِ»، ويكره عندهم التصفيق للنساء.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد حسين، أحكام الصلاة، ص٣٥.

(٣) يصفح أي يصفق.

ثانيًا- أسئلة للتقويم:

١- عرفي معنى سجود السهو.

٢- عددي أسباب سجود السهو.

٣- هل يكون سجود السهو قبل السلام أم بعده؟

٤- ماذا يحدث في حالة نسيان سجود السهو؟

٥- هل يجوز تذكير الإمام بسجود السهو؟

٦- لو سها الإمام ولم يسه المأموم، أو العكس، فعلى من يكون سجود السهو؟

* * *

الدرس التاسع
مكروهـــــات الصلاة[(١)]

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

تحدثنا عن سنن الصلاة، وعلى وجه العموم يكره للمصلي أن يترك سنة من سنن الصلاة المتقدم ذكرها، وذلك لقوله ﷺ: «... وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» [رواه البخاري، من الحديث ٥٩٥]، ويكره له أيضًا ما يلي:

١ - العبث بالثوب أو البدن:

فعن مُعَيقِيب ﷺ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا تَمْسَحْ وَأَنْتَ تُصَلِّي، فَإِنْ كُنْتَ لابُدَّ فَاعِلاً فَوَاحِدَةٌ تَسْوِيَةَ الْحَصَى» [رواه أبو داود، الحديث ٨٠٩]، وعن أبي ذر ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَمْسَحْ الْحَصَى؛ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ» [رواه الترمذي، الحديث ٣٤٦].

ولكن إذا دعت الحاجة إلى العبث بالثوب أو البدن، فإنه حينئذ لا يكره.

٢ - التخصر[(٢)] في الصلاة:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ الاخْتِصَارِ فِي الصَّلاةِ، قال أبو داود: يعني يضع يده على خاصرته. [رواه أبو داود، الحديث ٨١٠].

٣- رفع البصر إلى السماء:

فعن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «مَا بَالُ أَقْوَام يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاتِهِمْ»، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: «لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ» [رواه البخاري، الحديث ٧٠٨].

---

(١) انظر تعريف المكروه في: الجزء الثاني، ص١٢٥، وهذه المكروهات مستقاة من فقه السنة، للسيد سابق، جـ١، صـ٢٢٦، والفقه الواضح، للدكتور بكر إسماعيل، جـ١، صـ٣٠٤.

(٢) الخاصرة: هو الموضع ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع.

٤- النظر إلى ما يلهي:

ذلك كالنظر إلى المحاريب المزخرفة، والنظر على الثوب أو البساط المزركش ونحو ذلك، فعن عائشة، أن النبي ﷺ صلَّى في خميصة لها أعلام[(١)]، فقال: «شَغَلَتْنِي أَعْلامُ هَذِهِ، اذْهَبُوا بِهَا إِلَى أَبِي جَهْمٍ[(٢)]، وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ»[(٣)] [رواه البخاري، الحديث ٧١٠]، وعن أنس ﷺ قال: كَانَ قِرَامٌ[(٤)] لِعَائِشَةَ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكِ هَذَا؛ فَإِنَّهُ لا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ فِي صَلاتِي» [رواه البخاري، الحديث ٣٦١].

٥- تغميض العينين:

كرهه البعض، وجوزه البعض بلا كراهة، والحديث المروي في الكراهة لم يصح، قال ابن القيم: والصواب أن يقال: إن كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو أفضل، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع لما في قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يشوش عليه قلبه، فهناك لا يكره التغميض قطعًا، والقول باستحبابه في هذا الحال أقرب إلى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة[(٥)].

٦- تغطية الفم والسدل:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ السَّدْلِ فِي الصَّلاةِ. [رواه الترمذي، الحديث ٣٤٥)، قال الخطابي: السدل إرسال الثوب حتى يصيب الأرض.

٧- الصلاة بحضرة الطعام:

فعن عائشة (رضي الله عنها)، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتْ الصَّلاةُ؛ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ، وَلا يَعْجَلْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُوضَعُ لَهُ الطَّعَامُ وَتُقَامُ

(١) الخميصة: هي كساء من حرير أو صوف.
(٢) أبو جهم: هو عامر بن حذيفة كان قد أهدى إلى رسول الله ﷺ هذه الخميصة.
(٣) الأنبجانية: كساء غليظ له وبر.
(٤) القرام: الستر أو الثوب الغليظ المحتوي على نقوش وزخارف.
(٥) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ١، صـ:١٢٤، ١٢٥.

الصَّلاةُ، فَلا يَأْتِيهَا حَتَّى يَفْرُغَ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ الإِمَامِ[1]. [رواه البخاري، الحديث ٦٣١]، قال الخطابي: إنما أمر النبي ﷺ أن يبدأ بالطعام لتأخذ النفس حاجتها منه، فيدخل المصلي في صلاته وهو ساكن الجأش لا تنازعه نفسه شهوة الطعام، فيُشغله ذلك عن إتمام ركوعها وسجودها، وإيفاء حقوقها.

٨- الصلاة مع مدافعة الأخبثين[2] ونحوهما مما يشغل القلب:

فعن ثوبان ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «لا يَأْتِ أَحَدُكُمْ الصَّلاةَ وَهُوَ حَاقِنٌ»[3] [رواه أحمد، الحديث ٢١١٣١]، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صَلاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلا هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ» [رواه مسلم، الحديث ٨٦٩].

٩- الصلاة عند مغالبة النوم:

عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ فَيَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ» [رواه ابن ماجة، الحديث ١٣٦٠]، وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ[4] فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ؛ فَلْيَضْطَجِعْ» [رواه مسلم، الحديث ١٣١٠].

١٠- التزام مكان خاص من المسجد للصلاة فيه غير الإمام:

فعن عبد الرحمن بن شبل ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ «نَهَى عَنْ ثَلاثٍ: عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبُعِ، وَأَنْ يُوَطِّنَ الرَّجُلُ الْمَقَامَ لِلصَّلاةِ كَمَا يُوَطِّنُ الْبَعِيرُ»[5]

[رواه النسائي، الحديث ١١٠٠].

١١- وصل النافلة بالصلاة المكتوبة:

فعن أبي رمثة ﷺ قال:... صَلَّيْتُ هَذِهِ الصَّلاةَ أَوْ مِثْلَ هَذِهِ الصَّلاةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) قال الجمهور: يندب تقديم تنازل الطعام على الصلاة إن كان في الوقت متسع وإلا لزم تقديم الصلاة.

(٢) مع مدافعة الأخبثين: أي البول والغائط.

(٣) حاقن: أي حابس البول.

(٤) استعجم القرآن على لسانه: أي اشتد عليه النطق لغلبة النوم.

(٥) يوطن البعير: يجعل له مكانًا خاصًا يعتاده ويألفه.

قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَقُومَانِ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَ رَجُلٌ قَدْ شَهِدَ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى مِنَ الصَّلاةِ، فَصَلَّى نَبِيُّ الله ﷺ ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ حَتَّى رَأَيْنَا بَيَاضَ خَدَّيْهِ، ثُمَّ انْفَتَلَ كَانْفِتَالِ أَبِي رِمْثَةَ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَقَامَ الرَّجُلُ الَّذِي أَدْرَكَ مَعَهُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى مِنَ الصَّلاةِ يَشْفَعُ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ فَهَزَّهُ ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُهْلِكْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ صَلَوَاتِهِمْ فَصْلٌ. فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَصَرَهُ فَقَالَ: «أَصَابَ اللهُ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ» [رواه أبو داود، من الحديث ٨٥٥].

فينبغي على المسلم أن يجعل بين الصلاة المكتوبة وصلاة النفل فاصلاً، يذكر فيه اسم الله (تبارك وتعالى)، ثم يقوم فيصلي ما شاء من النوافل.

١٢ - الالتفات بالوجه عن القبلة:

لحديث أبي ذر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لا يَزَالُ اللهُ ﷻ مُقْبِلاً عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ» [رواه أبو داود، الحديث ٧٧٥]، ولحديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَالالْتِفَاتَ فِي الصَّلاةِ؛ فَإِنَّ الالْتِفَاتَ فِي الصَّلاةِ هَلَكَةٌ؛ فَإِنْ كَانَ لابُدَّ فَفِي التَّطَوُّعِ لا فِي الْفَرِيضَةِ» [رواه الترمذي، الحديث ٥٣٧]، ولحديث السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هُوَ اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاةِ الْعَبْدِ» [رواه البخاري، الحديث ٧٠٩].

وليس الالتفات المكروه هو تحويل الرأس والصدر تمامًا عن القبلة، فإن هذا يبطل الصلاة، وإنما هو مجرد ميل قليل عن القبلة، ليتمكن المصلي من رؤية شيء يخاف فواته، فإن ذلك يشغل القلب عن ذكر الله، فمن أعرض عن الله أعرض الله عنه، وهو خلسة يختلسها الشيطان من العبد - كما عرفت - والكراهة هنا كراهة تحريم، نص على ذلك جمهور الفقهاء، ما لم يكن الالتفات لحاجة، وبحيث لا يكون شديدًا يخرجه عن القبلة، فإن المصلي لو مال برأسه وصدره عنها تمامًا بطلت صلاته. والالتفات المذكور الذي هو ميل قليل عن القبلة يكون لغير عذر، وإلا فلا يكره.

١٣ - التثاؤب في الصلاة:

ويكره التثاؤب في الصلاة؛ لأنه من الشيطان، فإن غلبه فليحبسه ما استطاع.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّثَاؤُبُ فِي الصَّلاةِ مِنْ الشَّيْطَانِ؛ فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ» [رواه الترمذي، الحديث ٣٣٨].

١٤- صف المصلي قدميه:

ويكره للمصلي صف قدميه وإلصاق إحداهما بالأخرى؛ لأن ذلك يخل بتوازنه حال قيامه في الصلاة، قال عيينة بن عبد الرحمن ﷺ: «كنت مع أبي في المسجد، فرأى رجلاً يصلي صفَّ بين قدميه، وألصق إحداهما بالأخرى، فقال أبي: لقد أدركت في هذا المسجد ثمانية عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ما رأيت أحدًا منهم فعل هذا قط» [أخرجه الأثرم].

فعلى المصلي أن يفرج بين قدميه، بحيث لا تكون متقاربة جدًّا ولا متباعدة جدًّا، ولكن وسطًا بين هذا وذاك.

١٥- التمايل في الصلاة:

ويكره التمايل في الصلاة وخفض الرأس ورفعها، كما يفعل بعض الناس، لا سيما المكثرين لقراءة القرآن الكريم الذين اعتادوا على هذه الحركات دفعًا للكسل، وجلبًا للانتباه، وهذا التمايل والتحريك لا بأس به في غير الصلاة، إن كان الغرض منه ما ذكرناه من دفع الكسل، وجلب الانتباه، أما في الصلاة فمكروه؛ لأنه يتنافى مع الطمأنينة الواجبة في الصلاة، ويخل بالثبات المطلوب فيها، وكلما اشتد التمايل اشتدت الكراهة.

١٦- الصلاة بحضرة المتحدثين:

تكره الصلاة بحضرة المتحدثين، أو مع تشغيل الأجهزة المسموعة أو المرئية كالمذياع والتلفاز، فإن ذلك يشغله عن صلاته حتمًا، وقد قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤].

هذه هي أهم ما أفتى الفقهاء بكراهته في الصلاة، ويجمع كل ما ذكرناه من المكروهات وما لم نذكره أمران:

الأول: ترك سُنة من سنن الصلاة ومستحباتها.

الثاني: فعل ما يخل بأدب من آدابها ولا يترتب عليه بطلانها.

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- ما المقصود بالتخصر؟ وما حكمه في الصلاة؟

٢- رفع البصر إلى السماء مكروه في الصلاة، فما الدليل؟

٣- إذا أرادت إحدى الأخوات وضع لوحة تعليمية في المُصلَّى، ففي أي مكان تنصحينها أن تضعها فيه؟ ولماذا؟

٤- متى يكون التحول عن القبلة في الصلاة ممنوعًا؟ ومتى يكون مكروهًا؟

٥- ما المقصود بـ: وصْل النافلة بالصلاة المكتوبة- صف القدمين في الصلاة؟ وماذا تفعل المصلية لتلاشيه؟

٦- ما الحكمة من كراهة كل مما يأتي في الصلاة:

تغميض العينين- تغطية الفم والسدل- التزام المصلية بمكان خاص من المسجد للصلاة فيه- التثاؤب- التمايل.

* * *

الدرس العاشر

مبطلات الصـــــلاة

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

سنتناول في هذا الدرس مبطلات الصلاة، وهي: الأكل والشرب عمدًا، الفعل الكثير المنافي لأعمال الصلاة، زيادة عمل من أعمال الصلاة عمدًا، فقد الطهارة من الحدثين، انكشاف العورة، الانحراف عن القبلة، ملاقاة النجاسة غير المعفو عنها، اللحن في القراءة، سبق الإمام.

كما نتناول أمورًا تبطل الصلاة، ويتفرع عنها أحكام أخرى، وهي: التكلم بكلام أجنبي عن الصلاة عمدًا، ترك ركن من الأركان عمدًا، العزم على قطع الصلاة والتردد فيها.

١ - الأكل والشرب عمدًا:

فكل ما وصل إلى جوف المصلي من طعام أو شراب، ولو بلا مضغ؛ فإنه يبطل الصلاة، سواء أكان قليلاً أو كثيرًا، إن كان المصلي عامدًا، عالمًا بتحريم الأكل والشرب، وبأنه في الصلاة.

وإذا كان جاهلاً لحكم الأكل أو الشرب فيعذر بجهله، أو كان ناسيًا أنه في الصلاة، فإنه لا يضر القليل منهما بخلاف الكثير، أما المضغ بلا بلع فإنه من قبيل العمل، تبطل بكثيره، ولا يضر ما وصل مع الريق إلى الجوف من طعام بين أسنانه إذا عجز عن تمييزه أو إخراجه.

كما تبطل الصلاة بوصول ما ذاب من السكر أو غيره من الفم إلى الجوف[١].

قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن من أكل أو شرب في صلاة الفرض عامدًا،

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، للجزيري، ج ١.

فإن عليه الإعادة[١].

٢- الفعل الكثير المنافي لأعمال الصلاة:

تبطل الصلاة بالعمل الكثير الذي ليس من جنس الصلاة، وإن كان قليلاً لم يبطلها بلا خلاف، واختلفوا في ضبط القليل والكثير، والصحيح أن الرجوع فيه إلى العادة، فلا يضر ما يعده الناس قليلاً، كالإشارة برد السلام، وخلع النعل، ورفع العمامة، ووضعها، وحمل صغير ووضعه، ودفع مارٍّ[٢]، وتعديل المرأة لخمارها، أو حك بدن المصلي، أو تزرير القميص.

وأما ما عده الناس كثيرًا؛ كخطوات كثيرة متوالية وفعلات متتابعة؛ فتبطل الصلاة، وذكروا أن الفعلة الواحدة كالخطوة والضربة قليل، والثلاث كثير، وكذلك إذا عظمت وأفرطت الفعلة الواحدة كالوثبة الكبيرة، كما ذكروا أن الكثير إنما يبطل إذا توالى، فإن تفرق بأن خطا خطوة ثم سكت زمنًا، ثم خطا أخرى أو خطوتين ثم خطوتين بينهما زمن، وتكرر ذلك مرات كثيرة حتى بلغ مائة خطوة فأكثر لم يضر[٣].

وإنما يبطل العمل الكثير إذا كان لغير عذر، والعذر كمرض يستدعي حركة لا يستطيع الصبر عنها أثناء صلاة المريض[٤].

وأما الحركات الخفيفة؛ كتحريك الأصابع في سبحة أو حكة أو حل وعقد؛ فلا تبطل وإن كثرت متوالية، لكن تكره.

٣- زيادة عمل من أعمال الصلاة عمدًا:

وذلك كزيادة ركوع أو سجود أو ركعة عمدًا، فإن كان عمدًا بطلت صلاته، وإن كان سهوًا لا تبطل صلاته[٥]، ويسجد للسهو، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله

---

(١) فقه السنة، للسيد سابق، جـ١، صـ٢٢٩.
(٢) المجموع، للإمام النووي، جـ ٤، ص (٢٥، ٢٦).
(٣) المرجع السابق.
(٤) الفقه على المذاهب الأربعة، للجزيري، جـ١.
(٥) الفقه على المذاهب الأربعة، للجزيري، جـ١.

ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا فَقِيلَ لَهُ: أَزِيدَ فِي الصَّلاةِ؟ فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟»، قَالَ: صَلَّيْتَ خَمْسًا. فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَمَا سَلَّمَ. [رواه البخاري، الحديث ١١٥٠].

٤ - فقد الطهارة من الحدثين:

تبطل الصلاة إذا طرأ على المصلي ناقض الوضوء أو الغسل أو التيمم أو المسح على الخفين أو الجبيرة، ما دام المصلي لم يفرغ من صلاته بالسلام[1]، وذلك لأنها من شروط صحة الصلاة. وهذا هو مذهب الجمهور.

٥ - انكشاف العورة:

إذا انكشف شيء من العورة من غير قصد في أثناء الصلاة، فإن كان يسيرًا لا تبطل الصلاة، وإن طال زمن الانكشاف، فعن عمرو بن سَلَمَةَ ﷺ قال: «.. فَانْطَلَقَ أَبِي وَافِدًا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَعَلَّمَهُمْ الصَّلاةَ، فَقَالَ: «يَؤُمُّكُمْ أَقْرَؤُكُمْ». وَكُنْتُ أَقْرَأَهُمْ لِمَا كُنْتُ أَحْفَظُ، فَقَدَّمُونِي، فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي صَغِيرَةٌ صَفْرَاءُ، فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَكَشَّفَتْ عَنِّي، فَقَالَت امْرَأَةٌ مِن النِّسَاءِ: وَارُوا عَنَّا عَوْرَةَ قَارِئِكُمْ، فَاشْتَرَوْا لِي قَمِيصًا عُمَانِيًّا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ الإسلام فَرَحِي بِهِ، فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ. وفي رواية: فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ فِي بُرْدَةٍ مُوَصَّلَةٍ فِيهَا فَتْقٌ، فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ خَرَجَتْ اسْتِي».

[رواه أبو داود، الحديث ٤٩٥].

وإن كان المكشوف كثيرًا بطلت الصلاة، إلا إذا تم ستره في الحال دون تطاول زمن ودون حركات كثيرة فتصح الصلاة، أما إن كشف المصلي عورته عامدًا فصلاته باطلة.

٦ - الانحراف عن القبلة:

تبطل الصلاة بالتحول عن القبلة في الصلاة، واختلفوا في حد التحول؛ فقال المالكية: ما لم تتحول قدماه عن مواجهة القبلة، وقال الحنابلة: ما لم يتحول المصلي بجملته عن القبلة، وقال الحنفية: إذا تحول بصدره عن القبلة، فإما أن يكون مضطرًا أو مختارًا؛ فإن كان مضطرًا لا تبطل، إلا إذا مكث قدر ركن من أركان الصلاة على هذه الحالة، وإن كان

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، جـ١.

مختارًا، فإن كان بغير عذر بطلت، وإلا فلا تبطل، سواء قلّ التحول أو كثر، وقال الشافعية: إذا تحول بصدره عن القبلة يمنة أو يسرة، ولو حرّفه غيره قهرًا، بطلت صلاته، ولو عاد عن قرب[١]، بخلاف ما لو انحرف جاهلاً أو ناسيًا وعاد عن قرب فإنها لا تبطل[٢]، وذلك البطلان إنما يأتي من فقدان شرط من شروط صحة الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٧- ملاقاة النجاسة غير المعفو عنها:

فمن تنجس جسده أو ثوبه أو سجد على شيء نجس بنجاسة لا يعفى[٣] عنها بطلت صلاته، ولا تبطل الصلاة بالنجاسة التي يعفى عنها، ولا بما إذا وقع على ثوبه نجاسة يابسة فنفض ثوبه حالاً[٤]؛ لأنه زمن يسير يعفى عنه[٥]، وإذا كانت الأرض نجسة فوضع عليها المصلي ثوبًا ثخينًا لا يشف النجاسة وصلَّى عليه جازت صلاته، وتصح الصلاة على سجادة أحد أطرافها نجس إن لم يصلِّ المصلي على الطرف النجس، كما تصح الصلاة على سجادة ذات بطانة، وجهها طاهر والوجه الآخر نجس، إذا كان يمكن فصل كل وجه على حدة.

ومن حُبس في مكان نجس فإنه يصلي فيه ولا إعادة عليه، فإن كانت النجاسة رطبة في محل السجود يومئ ولا يسجد، وإن كانت جافة سجد على الأرض.

ويعفى عن ذرق الطير[٦] في الأماكن لمشقة الاحتراز منه، وينبغي ألا يتعمد المصلي الوقوف عليه، وقال الإمام النووي: إذا عمت البلوى به- كما في صحون المساجد- وتعذر الاحتراز منه يُعفى عنه، وتصح الصلاة[٧].

---

(١) أي عاد سريعًا.
(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة، للجزيري، جـ١.
(٣) ما يعفى عنه من النجاسات وما لا يعفى عنه انظره في الجزء الأول من هذه السلسلة.
(٤) الفقه الإسلامي وأدلته، للزحيلي، جـ١، صـ١٨.
(٥) الحاجة/ سعاد زرزور، فقه العبادات على المذهب الحنبلي.
(٦) ذرق الطير: بُرازه.
(٧) الحاجة/ درية العيطة، فقه العبادات على المذهب الشافعي.

٨- اللحن في القراءة[١]:

من لحن في الفاتحة وأحال[٢] المعنى بطلت صلاته، أما إذا لم يُحِلْ المعنى فلا تبطل، وفي غير الفاتحة لا تبطل مطلقًا، إلا أن يتعمده[٣] لتلاعبه.

١٢- سبق الإمام:

إذا سبق المأموم إمامه بركن عمدًا بطلت صلاته، كأن يركع أو يرفع قبل أن يركع الإمام أو يسلم قبل سلامه، أما إذا كان سهوًا رجع لإمامه ولا تبطل صلاته[٤].

ثانيًا- أسئلة للتقويم:

١- هل يبطل مضغ العلك الصلاة؟ ولماذا؟

٢- ماذا تفعلين إذا سقطت بقايا الطعام العالقة بأسنانك في فمك في الصلاة؟

٣- كيف تميزين الفعل الكثير المنافي لأعمال الصلاة من الفعل القليل؟ واذكري مثالاً لكل نوع.

٤- عن عبد الله بن مسعود ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقِيلَ لَهُ: أَزِيدَ فِي الصَّلاةِ؟ فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: صَلَّيْتَ خَمْسًا، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَمَا سَلَّمَ.

علام تستدلين بهذا الحديث في موضوع مبطلات الصلاة؟

٥- تعلق طفل بأمه في الصلاة ونزع عنها شيئًا من حجابها.

- فمتى تبطل صلاتها ومتى لا تبطل؟

- هل يمكن لهذه الأم تدارك الموقف؟ وكيف؟ وما دليلك من السنة؟

٦- ما الفرق بين التحول عن القبلة والانحراف عنها؟ وما حكم كل منهما؟

---

(١) اللحن في القراءة: الخطأ فيها.
(٢) أي غيَّر المعنى.
(٣) المغني، لابن قدامة.
(٤) الفقه على المذاهب الأربعة، جـ١.

٧- سجدت الأم ولامست براز طفلها.

- هل تبطل صلاتها؟ ولماذا؟
- لو كانت النجاسة براز طير، فهل يختلف الحكم؟ ولماذا؟
- ماذا تفعل الأم لو كانت هي وطفلها محبوسين في مكان ضيق وأرادت السجود؟

٨- متى يبطل كل من (اللحن في القراءة، سبق الإمام) الصلاة؟ ومتى لا يبطل؟

* * *

الدرس الحادي عشر
أمور تتعلق بالصلاة

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الدرس أمورًا تتعلق بالصلاة، وتؤثر على صحتها، وهي: الكلام الأجنبي في الصلاة (صوره، وأحكامه)، ترك ركن من الأركان، قطع الصلاة والتردد فيها، سترة المصلي، وتنبيه ختامي في الخشوع.

١ - الكلام الأجنبي في الصلاة (صوره، وأحكامه):

الكلام الأجنبي: هو ما سوى القرآن والذكر والدعاء[(١)]، فالتكلم بكلام أجنبي عن الصلاة عمدًا مبطل لها باتفاق، وذلك لما رواه زيد بن أرقم قال: «إِنْ كُنَّا لَنَتَكَلَّمُ فِي الصَّلاةِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، يُكَلِّمُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ بِحَاجَتِهِ حَتَّى نَزَلَتْ: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ»؛ فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ» [رواه البخاري، الحديث ١١٢٥]، ولقول الرسول ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ هَذَا، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» [رواه مسلم، الحديث ٨٣٦].

وحدُّ الكلام المبطل هو ما كان مشتملاً على بعض حروف الهجاء، وأقله ما كان منتظمًا من حرفين، وإن لم يُفهما، أو حرف واحد مُفهِم لمعنى كما إذا قال: «عِ»- بكسر العين- فإنه حرف واحد، ولكن له معنى في اللغة، وهو: احفظ وافهم.

أما إذا نطقت بحرف واحد لا معنى له، فإن صلاتها لا تبطل بذلك، ومثل الحرف في الحكم: الصوت الذي يشتمل على حرف واحد مفهوم أو أكثر. وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء[(٢)].

(١) المجموع، للإمام النووي، جـ ٤، صـ ١٤.
(٢) المجموع، للإمام النووي، جـ٤، ص١٤.

- وإليكِ تفصيل حالات الكلام الأجنبي، وحكمها:

أ- التكلم في الصلاة بكلام أجنبي سهوًا أو جهلاً:

إذا تكلمت في الصلاة بكلام أجنبي سهوًا أو نسيانًا، فإنها لا تبطل بذلك الكلام، بشرط أن يكون الكلام يسيرًا، وحدُّ اليسير ما كان ست كلمات فأقل، وكذلك المخطئ، وهو الذي يسبق لسانه إلى كلمة غير القرآن، فإن صلاته لا تبطل بذلك؛ وذلك لما روى ابن عباس (رضي الله عنهما)، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» [رواه ابن ماجة، الحديث ٢٠٣٣].

وإذا تكلم أحد في الصلاة كلامًا يسيرًا جاهلاً لا تبطل الصلاة، بشرط أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو يكون قد تربى بعيدًا عن العلماء، بحيث لا يستطيع الوصول إليهم لعذر، وإلا فسدت صلاته، ولا يُعذر بالجهل.

وإذا نامت نومًا يسيرًا لا ينقض الوضوء وهي في الصلاة وتكلمت في هذه الحالة، فإن صلاتها تبطل على مذهب الجمهور؛ لكونها غافلة عن ربها تمام الغفلة، فما قيمة صلاة من تفعل هذا؟[1].

ب- التنحنح في الصلاة:

ومن الكلام المبطل التنحنح إذا بان منه حرفان فأكثر، وإنما يبطل الصلاة إذا كان لغير حاجة، فإن كان لحاجة كتحسين صوت حتى تخرج القراءة من مخارجها تامة، أو يهتدي الإمام إلى الصواب ونحو ذلك، فإنه لا يبطل، وكذا إذا كان ناشئًا بدافع طبيعي، فإنه لا يبطل[2].

ج- تشميت العاطس في الصلاة:

من الكلام المبطل تشميت العاطس في الصلاة، فإذا شمتت المصلية عاطسة بحضرتها بطلت صلاتها، وذلك لما ورد عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، جـ١.
(٢) الفقه على المذاهب الأربعة، جـ١.

اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ - فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي - مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَالله مَا كَهَرَنِي[1]، وَلا ضَرَبَنِي، وَلا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» [رواه مسلم، الحديث ٨٣٦].

د- الأنين والتأوه في الصلاة:

الأنين والتأوه والتأفف والبكاء إذا اشتملت على حروف مسموعة، فإنها تبطل الصلاة، إلا إذا كانت ناشئة من خشية الله تعالى، أو من مرض بحيث لا يستطيع منعها.

ومثل الأنين في الحكم: التثاؤب والعطاس والجشاء فلا تبطل الصلاة بها، ولو كانت مشتملة على بعض الحروف للضرورة[2].

هـ- الضحك والتبسم في الصلاة:

الضحك يبطل الصلاة إذا ظهر به حرفان فأكثر، أو حرف واحد مفهوم، وهذا إذا كان باختيار المصلية، أما إن غلبها الضحك فإن كان كثيرًا أبطل وإلا فلا[3].

و- الفتح على الإمام[4]:

الفتح على الإمام لا تبطل به الصلاة، وإنما يفتح المأموم على إمامه إذا وقف عن القراءة وطلب الفتح بأن تردد في القراءة، أما إذا وقف ولم يتردد، فإنه يكره الفتح عليه، ويجب الفتح عليه في الحالة الأولى إن ترتب عليه تحصيل الواجب، كقراءة الفاتحة، ويسن إن أدى إلى صلاح الآية الزائدة عن الفاتحة، وأما الفتح على غير الإمام، سواء كان خارجًا عن الصلاة أو فيها، فإنه مبطل للصلاة. والأصل في الفتح على الإمام ما رواه ابن عمر

---

(١) زجرني وعبس في وجهي.
(٢) الفقه على المذاهب الأربعة، جـ١.
(٣) الفقه على المذاهب الأربعة، جـ١.
(٤) أي: إرشاده إلى الصواب في القراءة.

(رضي الله عنهما)، أن النبي ﷺ صَلَّى صَلاةً فَقَرَأَ فِيهَا فَلُبِسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لأُبَيٍّ: «أَصَلَّيْتَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا مَنَعَكَ؟» [رواه أبو داود، الحديث ٧٧٣]، وفي رواية لابن حبان: «فما منَعكَ أنْ تَفْتَحَها عليَّ»، وعن أنس قال: «كنَّا نفتَحُ علَى الأئِمَّةِ علَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ»[1].

ز- التكلم في الصلاة عمدًا لمصلحة الصلاة:

إن تكلمت المصلية عمدًا لمصلحة الصلاة بأن يقوم الإمام إلى خامسة، فتقول: قد صليت أربعًا أو نحو ذلك، فمذهب جمهور العلماء أنه تبطل الصلاة، وقال الأوزاعي: لا تبطل. وهي رواية عن مالك وأحمد[2].

ح- التسبيح في الصلاة للإرشاد والتصفيق للنساء:

إذا أراد المصلي تنبيه غيره بأن استأذن عليه أحد، أو أراد إعلام غيره بأمر، أو احتاج إلى تنبيه إمامه على سهو، فالسنة أن يُسبِّح الرجل، وتُصفِّق المرأة.

وصفة التسبيح: سبحان الله أو نحو هذا اللفظ، ويجهر به جهرًا يسمعه المقصود، وصفة التصفيق أن تضرب المرأة بظهر كفها اليمنى بطن كفها الأيسر أو عكسه، ولا تضرب بطن كف على بطن كف، فإن فعلت ذلك على وجه اللعب بطلت صلاتها[3].

والأصل في التسبيح والتصفيق ما رواه سهل بن سعد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ؛ فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ الْتُفِتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ» [رواه البخاري، من الحديث ٦٤٣]، وعن علي بن أبي طالب قال: كَانَتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ السَّحَرِ أَدْخُلُ فِيهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنْ كَانَ قَائِمًا يُصَلِّي سَبَّحَ بِي، فَكَانَ ذَاكَ إِذْنُهُ لِي، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُصَلِّي أَذِنَ لِي» [رواه أحمد، الحديث ٥٣٨].

٢- تركُ ركنٍ من الأركان:

سبق أن تحدثنا عن أركان الصلاة، بين متفق عليها ومختلف فيها، فمن تركت ركنًا من

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، جـ١، صـ٢٧٦، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي.
(٢) محمد حسين، أحكام الصلاة، ص٢٥.
(٣) المجموع للإمام النووي.

أركانها- المتفق عليها- عمدًا، بطلت صلاتها بإجماع الفقهاء.

أما إذا تركت ركنًا مختلفًا فيه، فهي على حسب مذهبها واعتقادها، فإن كانت تعتقد أنه ركن من أركانها بحسب ما توفر لديها من الأدلة، وتركته عمدًا، بطلت صلاتها، وذلك لحديث المسيء في صلاته الذي رواه أبو هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» [رواه البخاري، الحديث ٧١٥].

وإن كانت تعتقد أنه سنة وليس ركنًا، فلا تبطل صلاتها بتركه.

ومن الأركان المختلف فيها: الفاتحة بالنسبة للمأموم، والجلوس الثاني، وتشهده، والصلاة على النبي ﷺ، إلى آخر ما تقدم ذكره في أركان الصلاة فراجعيه.

وإليكِ بعض أمثلة تصبح الصلاة فيها باطلة بترك ركن من أركانها عمدًا:

أ- امرأة نوت بقلبها الظهر وصلت العصر.

ب- امرأة تركت تكبيرة الإحرام عمدًا، أو جهلاً، كأن وجدت الإمام راكعًا وأرادت الدخول في الصلاة فكبرت للركوع، ولم تكبر للإحرام، أو كبرت للإحرام بعد ركوعها، فتكون بذلك تركت القيام لتكبيرة الإحرام، وهو ركن من أركان الصلاة.

ج- امرأة ركعت فلم تعتدل من ركوعها، بل هوت ساجدة، وهذا يفعله كثير من المتعجلين، الذين ينقرون صلاتهم كنقر الطير.

د- امرأة سجدت، ثم رفعت من سجودها، وسجدت السجدة الثانية ولم تعتدل في الجلسة بين السجدتين.

ففي هذه الصّوَر وأشباهها، تبطل الصلاة[1].

الحكم إن كان ترك الركن سهوًا:

لا تبطل الصلاة بترك ركن منها سهوًا، بل يجب الإتيان به إن أمكن، وإلا تلغى

(١) د. محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ١، صـ٣٢٢.

الركعة، وتأتي بغيرها، ثم تسجد للسهو[١]. وإليكِ أمثلة توضح لك الحكم:

أ- امرأة نست الفاتحة، وقرأت بدلاً منها التشهد، ثم ركعت، فهذه ترفع من الركوع، وتقرأ الفاتحة وسورة بعدها إن كانت في الركعة الأولى أو الثانية، ثم تركع وتسجد للسهو؛ لأنها زادت ركوعًا.

ب- أن تذكر في السجدة الأولى أنها لم تقرأ الفاتحة، فتقوم وتقرأها، ثم تركع وتسجد، ثم بعد ذلك تسجد للسهو في آخر الصلاة أو بعدها، على ما مر بيانه مفصلاً في حكم سجود السهو.

ج- من سجدت ولم تركع، وتذكرت في السجدة الأولى أو الثانية، تقوم واقفة وتقرأ شيئًا من القرآن وتركع[٢].

٣- قطع الصلاة والتردد فيها:

يحرم على المصلي إذا دخل في الصلاة المكتوبة قَطْعُها إلا لضرورة، مثل:

* استغاثة شخص ملهوف، ولو لم يستغث بالمصلي بعينه، كما لو شاهد إنسانًا وقع في الماء، أو صال عليه حيوان، أو اعتدى عليه ظالم، وهو قادر على إنقاذه.

* إذا غلب على المصلي خوف تردّي أعمى أو صغير أو غيره في بئر ونحوه.

* خوف اندلاع حريق واحتراق متاع[٣].

وفي هذه الأحوال يجب على المصلي، رجلاً أو امرأة، قطع الصلاة وسد هذه الضرورة، ثم إعادة الصلاة.

وعلل الفقهاء هذه الأحكام لما فيها من إحياء النفس، وإمكان تدارك الصلاة بعد قطعها؛ لأن أداء حق الله مبنيّ على المسامحة، بخلاف حق العباد فمبني على المشاحَّة.

---

(١) تقدم الحديث عن سجود السهو تفصيلاً.
(٢) المرجع السابق.
(٣) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، جـ٢، صـ٣٧، بتصرف واختصار.

وهناك حالات يجوز فيها قطع الصلاة:

١ - خوف المرأة على ولدها، أو خوف فوران القِدر (كاللبن ونحوه)، أو احتراق الطعام على النار.

٢ - سرقة المتاع ولو كان المسروق للغير.

٣ - مخافة المسافر من اللصوص أو قطاع الطرق.

٤ - قتل الحيوان المؤذي إذا احتاج قتله إلى عمل كثير.

٥ - رد الدابة إذا شردت.

٦ - مدافعة الأخبثين (البول والغائط) وإن ترتب عليه فوات الجماعة[١].

ولو عزمت المرأة في الركعة الأولى مثلاً على قطع الصلاة في الثانية فتبطل في الحال.

كذلك إن ترددت في قطعها هل تخرج منها أو تستمر بطلت؛ لأن النية شرط في جميع الصلاة[٢]، أي بألاّ يأتي ما ينافيها، فإن فعلت ما سبق فقد أتت بما ينافيها، فتبطل الصلاة.

٤ - سترة المصلي:

يُستحب للإمام والمنفرد أن يجعل أمامه شيئًا يستتر به في أثناء الصلاة، لكيلا يمر أمامه إنسان أو حيوان، فعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدري ﷺ، قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ؛ فَلْيُصَلِّ إِلى سُتْرَةٍ، وَلْيَدْنُ مِنْهَا، وَلا يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ»

[ابن ماجة، الحديث ٩٤٤].

* وليس معنى السترة أن يكون هناك شيء يختفي المصلي وراءه، وإنما القصد منها منع المرور بين يديه، وفي موضع سجوده.

* وتتحقق السترة بكل شيء ينصبه المصلي تلقاء وجهه، ولو كان نهاية فرشه، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه صلى إلى حَربة، وصلى إلى عصا، وصلى إلى عمود المسجد، وصلى إلى

---

(١) المرجع السابق، جـ٢، صـ٣٨.

(٢) الحاجة/ درية العيطة، فقه العبادات على المذهب الشافعي.

السرير وعليه عائشة مضطجعة، كما صلى إلى راحلته (١)، وإلى مؤخرة الرحل (٢).

* وإذا لم تجد المصلية شيئًا تنصبه أمامها، فيمكنها أن تخط خطًا على الأرض وتصلي إليه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «إِذَا صَلى أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ تِلقَاءَ وَجْهِهِ شَيْئًا، فَإِنْ لمْ يَجِدْ فَلْيَنْصِبْ عَصًا، فَإِنْ لمْ يَكُنْ مَعَهُ عَصًا فَلْيَخْطُطْ خَطًّا، ثُمَّ لا يَضُرُّهُ مَا مَرَّ أَمَامَهُ» [أبو داود، الحديث ٥٩١، وفي سنده ضعف].

* وتعتبر سترة الإمام سترة لمن خلفه، فلا يسن للمأموم أن يتخذ له سترة أخرى، فعَنْ عَبْدِ الله بن عَبَّاسٍ قَال: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلى حِمَارٍ أَتَانٍ (٣) وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الاحْتِلامَ (٤)، وَرَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي بِمِنًى إِلى غَيْرِ جِدَارٍ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ وَأَرْسَلتُ الأَتَانَ تَرْتَعُ، فَدَخَلتُ فِي الصَّفِّ، فَلمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَليَّ (٥). [البخاري، الحديث ٧٤]، فيؤخذ من الحديث جواز المرور بين الصفوف.

* وإذا اتخذ المصلي سترة، يشرع له أن يدفع المار بينه وبين السترة؛ إنسانًا كان أو حيوانًا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْري قَال: قَال النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ يُصَلِّي فَليَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»

[البخاري، من الحديث ٣٠٣٣].

ولكن.. ما حُكم المرور بين يدي المصلي؟

اتفق الفقهاء على حُرمة المرور بين يدي المصلي وسترته، فعن أبي جُهَيْم ﷺ قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «لوْ يَعْلمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيْ المُصَلِّي مَاذَا عَليْهِ، لكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»، قَال أَبُو النَّضْرِ (٦): لا أَدْرِي أَقَال: أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً.

[البخاري، الحديث ٤٨٠].

---

(١) الراحلة: الدابة.
(٢) مؤخرة الرحل: الخشبة التي يستند إليها راكب البعير.
(٣) الأتان: أنثى الحمار.
(٤) ناهزت الاحتلام: أي قاربت البلوغ.
(٥) أي: لم يخطِّئه رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة.
(٦) أبو النضر: هو سالم بن أبي أمية، أحد الرواة في سند الحديث، من التابعين.

وإن لم تتخذ المصلية سترة، وصلَّت في طريق الناس ومر أحد أمامها -حيث لم يجد طريقًا آخر- أثِمت هي لتقصيرها في اتخاذ السترة وصلاتها في طريق الناس.

وإن لم تتخذ سترة، ولكنها لا تصلي في طريق الناس، فمر أحد بين يديها بغير عذر، أثِما معًا.

وإنْ اتخذت المصلية سترة بعيدًا عن طريق الناس، فمر أحد أمامها داخل سترتها من غير عذر، أثِم المارُّ فقط.

وإن كان للمارِّ عذر فلا إثم على أيٍّ منهما.

والأولى في جميع الحالات أن ينتظر المار حتى يفرغ المصلي.

لا يبطل الصلاة مرور شيء:

قال الأئمة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وجمهور العلماء من السلف والخلف: لا تبطل الصلاة بمرور شيء بين يدي المصلي؛ لحديث أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَقْطَعُ الصَّلاةَ شَيْءٌ، وَادْرَءُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» [أبو داود، الحديث ٦١٧، وفي سنده ضعف]، وفسروا ما ورد بالحديث الصحيح[1] الذي رواه الإمام مسلم، أن الصلاة يقطعها مرور المرأة والحمار والكلب أمام المصلي- فسروه بأن المراد بالقطع نقص الصلاة؛ لشغل القلب بهذه الأشياء، وليس المراد إبطالها، ذلك أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما ذُكِرَ عِنْدَهَا ذلكَ قَالتْ: شَبَّهْتُمُونَا بِالحُمُرِ وَالكِلابِ، وَالله لقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً. [البخاري، من الحديث ٤٨٤].

وفي حديث ابن عباس قَال: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ وَرَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي بِمِنًى، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ وَأَرْسَلتُ الأَتَانَ تَرْتَعُ، فَدَخَلتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَلَيَّ. [البخاري، من الحديث ٧٤].

ومع ذلك فالأولى أن يحترز المصلي من مرور شيء أمامه، بينه وبين السترة، ليُجَنِّبَ صلاته النقص.

---

(١) في الحديث ٧٩٠ من صحيح الإمام مسلم.

٥- تنبيه ختامي: الخشوع روح الصلاة:

رأيت أختنا الكريمة دقة التشريعات المتعلقة بالصلاة من شروط الصحة والأركان والسنن والمكروهات والمبطلات، وكيف أنها تصب في النهاية في إناء واحد.

إذ الحكمة من وراء هذه الأحكام- والله أعلم- أن يتفرغ القلب للاتصال بالخالق سبحانه، فلا ينشغل بأي عالق أو عائق من عوائق الدنيا، فكانت هذه الأحكام الشرعية وسائل ومقدمات لتحقيق مقصد أعلى وأعظم، وهو تجريد القلب وصلته بالله ﷻ.

فهيا مع أخواتك في ورشة عمل، حددي الخطوات العملية لتخشعي في الصلاة، ثم حولي التوصيات إلى برنامج ينفذ ويتابع مع بعضكن البعض.

وتقبل الله منا ومنك.

ثانيًا: أسئلة للتقويم:

١- أكملي:

- (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي...).
- (من رابه شيء في صلاته فليسبح...).
- (إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة...).
- (لا يقطع الصلاة شيء...).

٢- ماذا تفعلين في الحالات التالية؟ ولماذا؟

- رأيت في أثناء صلاتك رجلاً أعمى سيصدم بشيء خطر، ولا أحد غيرك يوجِّهه.
- توقفت أختك (الإمام) عن القراءة وأنتِ تُصلين خلفها.
- استأذنت أختك لدخول منزلك وأنت تصلين، وتريدين أن تأذني لها.
- إذا كان يصلي أمامك جماعة صفوفها كبيرة وكثيرة، وأردتِ المرور لحاجة ما.
- إذا لم تجدي شيئًا تجعلينه سترة أمامك.

٣- ماذا تقولين لهؤلاء......؟

- نوت الظهر وهي تصلي العصر.

- عزمتْ على قطع الصلاة في الركعة الأولى ولم تنصرف منها.

- تركت- وهي مأمومة- قراءة الفاتحة عمدًا.

- تنحنحت في الصلاة لغير حاجة.

- شمَّتت أختها العاطسة في الصلاة (أي قالت لها: يرحمك الله).

٤- متى يُبطل كل من (الضحك، التأوه) الصلاة؟ ومتى لا يبطلها؟

٥- بأي شيء تتحقق السترة للمصلي؟

٦- متى يكون المرور بين يدي المصلي إثمه على المار؟ ومتى يكون إثمه على المصلي؟

* * *

المحور الثاني

الأخلاقي والسلوكي

الباب السادس

في رياض

الأخلاق والقيم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وبعد:

فيقول النبي الكريم ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ» [رواه أحمد].

وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أن الهدف الأساسي من وراء هذه الرسالة المحمدية هو الارتقاء بالأخلاق، وتهذيب النفوس، وتربية الأفراد والمجتمعات؛ فالخلق هو أثقل ما يوضع في الميزان، وهو الطريق إلى جنة الرضوان، ففي الحديث الشريف: «إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُم أَخْلاَقًا» [رواه الترمذي].

لذا نرى ضرورة التركيز في أثناء عملية التربية على تحقيق النمو الخلقي، باعتباره من أهم جوانب النمو في الشخصية الإنسانية.

ولكن هل الإنسان يكون قد تربى خلقًا بمجرد أن يتلقى التوجيهات والأوامر الدينية فقط؟

بالطبع لا؛ إذ إنه قد يستوعب الكثير، ويخزن العديد من تلك المبادئ والقيم، ولكنه لا يخرجها إلى حيز التطبيق والممارسة، بدليل أن كثيرًا من الناس يعلمون جيدًا الخير والشر، والحق والباطل، ويمكنهم التمييز بينهما، إلا أن هذه المعرفة لا تعني أن الشخص قد تهذب سلوكيًّا، أو تربى خلقيًّا؛ لأن تربية الأخلاق لا تتم بالتلقين أو الوعظ أو القراءة، وإنما تتم عن طريق تهيئة مواقف عملية، ومتابعة حقيقية تقود الفرد في النهاية إلى تعديل سلوكه إلى ما هو أحسن؛ لأن العبرة بالعمل، وليس بالعلم.

ومما يدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٢-٣].

بعبارة أخرى، نقول: إنه إذا كانت الأخلاق لا تتكون بالتلقين والاستيعاب، وإنما

عن طريق التدريب والممارسة والقدوة الصالحة، فإنه لزامًا علينا مراعاة النقاط التالية:

١- استحضار النية لله بأننا نريد أن نتخلق بهذه الأخلاق طاعة لربنا، وأننا لن نستطيع ذلك إلا بأن يعيننا (سبحانه وتعالى) على ذلك... فاللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئ الأخلاق، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

٢- قراءة الخلق قراءة جيدة من الكتاب، أو الاستعانة بمصادر أخرى.

٣- مدارسة الخلق مع المعلمة والزميلات، وقياس مدى تحقق الخلق فينا من خلال استبيانات حساب الجوارح، ورصيد القلب.

٤- تحديد ما ينقصنا لتحقيق الخلق، والعمل على تنفيذه وتحقيقه في أنفسنا، ومجاهدة النفس يومًا بعد يوم للوصول إلى التحقق بالخلق في فترة زمنية محددة.

٥- قياس أنفسنا مرة أخرى بعد هذه الفترة لنرى مدى تحقق الخلق فينا، فإن كان خيرًا نحمد الله، ونستمر على ما نحن فيه، وإن كان غير ذلك نراجع الخلق مرة أخرى حتى نتخلق به.

٦- مراجعة أنفسنا كل فترة على ما سبق من أخلاق.

وينقسم هذا الباب إلى فصلين؛ الأول: يتناول بعض الأخلاق الإسلامية مثل: (الأمانة- أمانة المجلس- احترام الكبير- ترك الجدال- الجود والكرم- ستر المسلم- العفو).

والثاني: يتناول بعض القيم الإسلامية مثل: (النظافة- النظام والترتيب- العزة- حسن اختيار الصديق).

أختي الحبيبة..

تعاوني مع زميلاتك، واستفيدي من خبرة معلمتك دائمًا من أجل التغلب على أي صعوبة تواجهك في أي تكليف أو مظهر.

واذكري دائمًا قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وفقنا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه من الأخلاق.

الهدف العام: أن يكون لدينا الرغبة في تغيير النفس إلى الأحسن، والمسارعة إلى ذلك.

الأهداف المرحلية:

١- أن ندرك أن الإنسان بصفة عامة لديه استعداد للخير والشر.

٢- أن نوضح أهمية تغيير النفس إلى الأحسن وضرورته.

٣- أن نوضح صفات النفس البشرية وجوانب القصور فيها.

٤- أن نوضح بعض وسائل تغيير (تربية) النفس.

٥- رغبة المؤمنة في تغيير نفسها إلى الأحسن والمسارعة إلى ذلك

ما من إنسان إلا ويسعى لتحقيق السعادة التي يعيش في ظلها، ومفهوم السعادة يختلف عند المؤمنة؛ لأنها ترى أن الحياة دنيا وآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى، فالسعادة المأمولة لديها هي سعادة الدنيا والآخرة.

والمؤمنة تعلم- أيضًا- أن السعادة والفلاح متوقفان على طيب نفسها، وجمال أخلاقها، وسمو روحها.

وما من عاقلة تفكر في داخلها إلا رأت أن بداخلها مزيجًا من الصلاح وغيره، وأنها تعمل الخير تارة، وتتلبث بالشر تارة، فكيف تحقق السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة وهي لا تزال على هذه الحال؟

وبناء على ما سبق، كان من الجدير بكل مؤمنة لبيبة أن يكون لديها رغبة في تغيير نفسها للأحسن، وتسارع إلى ذلك، ولا تترك نفسها دون تربية وتقويم.

وفي الصفحات التالية سنسير معك نحو هذا الهدف وفق مراحل تتمثل في الدروس التالية:

١ - الإنسان مستعد للتوجه نحو الخير والشر.

٢ - أهمية التغيير إلى الأحسن وضرورته.

٣- صفات النفس وجوانب القصور فيها.

ثم نتناول عددًا من وسائل تربية النفس وتزكيتها، متمثلة في الموضوعات التالية:

- الخوف من الله والمراقبة.

- محاسبة النفس.

- الرجوع إلى الله «التوبة».

- الاستعانة بالله «الدعاء».

* * *

الدرس الأول

الإنسان مستعد للتوجه نحو الخير والشر

أولاً - المحتوى النظري للموضوع:

نتناول هذا الموضوع في ضوء العناصر التالية: استعداد النفس البشرية للخير والشر، أقسام الناس في تعاملهم مع نفوسهم، طبيعة المعركة مع النفس.

١ - استعداد النفس البشرية للخير والشر:

يقول الحق (سبحانه وتعالى): ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس: ٧-١٠]. ويقول أيضًا: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

(من خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها... إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه. ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء. وإن هذه القدرة كامنة في كيانه يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، ويعبر عنها بالهداية تارة: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك، وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية في ذات الإنسان هي التي يناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعدادات الخير فيها، وتغليبه على استعدادات

الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها، فقد خاب ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1].

(ومن رحمة الله بالإنسان أنه سبحانه لم يدعه لاستعدادات فطرته، فأعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وتكشف له عن دلائل الخير في نفسه، وبذلك يتضح له الطريق، فتتصرف القوة الواعية حينئذ على بصيرة، وتختار الاتجاه التي تسير فيه)[2].

(فعندما خلق الله تعالى النفس البشرية، خلق معها قوة الاستعداد لفعل الخير أو الشر، وجعل الإنسان قادرًا على استعمال هذا الجهاز الذي أودعه فيه دون أن يكون مسيرًا لطريق ما، بل له تمام الاختيار في اختيار المنهج ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وترتب على هذه الحرية في الاختيار الجزاء أو العقوبة يوم الحساب، وذلك بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].[3].

(ولقد خلق الله لكل عبد من عباده نفسًا أمَّارة بالخير والشر على السواء، ليختبر مدى صدق عبوديته له، وجعل من صفاتها الجهل والظلم والشح، فهي تميل إلى الشر، وتفر من الخير أحيانًا، ولا تحب المشقة، وتكره التكليف.

ولقد خلقها الله تعالى بهذه الصفات لتكون بمثابة المحك الرئيسي، والميدان العملي لصدق عبوديتنا له، فلولا وجودها لصرنا كالملائكة لا نعصي لله أمرًا.

ولقد طالبنا الله (عز وجل) بجهاد أنفسنا، ونصرته عليها؛ لنفوز برضاه والجنة، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» [النازعات: ٤١-٤١][4].

٢- أقسام الناس في تعاملهم مع نفوسهم:

إذا نظرنا إلى أنفسنا ومن حولنا مِن الصالحات ومن دون ذلك، نجد أن هذه النفوس

---

(١) الظلال، تفسير سورة الشمس.
(٢) الظلال.
(٣) منهج التابعين في تربية النفوس.
(٤) ظاهرة الضعف النفسي، الهلالي.

تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

أ- المجاهدات للنفس:

وهن اللاتي اتصفن بالصفات والأعمال التالية:

* أيقنَّ أن أكبر عائق يعيقهن عن تجريد عبوديتهن لربهن هو أنفسهن التي بين جنوبهن، فهي أعدى الأعداء، ومن ثم رفعن راية الجهاد عليها، ووقفن لها بالمرصاد، وحاسبنها على الصغيرة والكبيرة.

* خالفن هواهن، ولم يعطين أنفسهن من الحظوظ إلا المباح بلا توسع يطغيها، ولا منع يفسد عليهن أعمالهن وعبادتهن، فقد بِعْنَ أنفسهن لله فرحًا بالثمن الغالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

* غنى النفس والقناعة، فلا يفرحن إذا ما أقبلت الدنيا عليهن، ولا يحزَنَّ إذا ما ولت عنهن، ولا ينظرن لمن فوقهن من أهل الدنيا.

* التوكل على الله، والرضا بقضائه، وتقديم مصلحة الدين دائمًا على المصالح الدنيوية، وتحري الحلال، والابتعاد عن الشبهات، وحسن الخلق، وحفظ الحرمات، وأداء الأمانات، والوفاء بالوعود.

* عدم الاعتداد بالرأي، ويتمثلن دائمًا قول الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

* يتحرين السنة في أفعالهن وأقوالهن، ويسارعن دائمًا إلى التوبة والاستغفار.

ب- إماء وجوارٍ لأنفسهن وهواهن:

* فصاحبات هذا القسم قد سارعن وراء النفس وهواها، فلا يتخلفن عن طلب تطلبانه، ولا شهوة تريدانها.

* هذا الصنف هالك لا محالة- إن لم تتداركه رحمة الله- ولم لا وقد استبدلن بعبادة ربهن وخالقهن ومولاهن عبادة أنفسهن وهواهن، فانطبع حالهن مع قول الله (عز وجل):

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

فنفوسهن ساقتهن إلى الأرض بزخرفها ومباهجها، فتمرغن في الشهوات، وأطلقن لأبصارهن وفروجهن العنان، وملأن بطونهن بكل ما تشتهيه أنفسهن دون النظر إلى حل ذلك أو حرمته.

* نفوسهن لا تطيق التكليف والمشقة، فلا صلاة يحافظن عليها، ولا صيام يلتزمن به، ولا غير ذلك من العبادات، فصرن إماءً لأنفسهن، أسيرات لها، مكبلات بشهواتها.

* لا يحببن الخير إلا لأنفسهن، ولا يعملن إلا في سبيل مصلحتهن، وشعارهن: الغاية تبرر الوسيلة.

* اتبعن الشيطان فأصبحن من جنده وحزبه ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ج- مخالفات النفس تارة وسائرات خلفها تارة أخرى:

صاحبات هذا الصنف انتصرن على أنفسهن في مواضع كثيرة، وانتصرت عليهن أنفسهن في مواضع أخرى، ففيهن الكثير من مظاهر القوة والضعف أمام نفوسهن. وهذا الضعف موجود بيننا، والكثيرات منا- إن لم تكن الأغلب- تندرجن تحت هذا القسم.

وللأسف الشديد، أن البعض قد خدعتهن مظاهر قوتهن أمام أنفسهن في بعض المواضع، وبخاصة المحسوسة والمرئية، وظننَّ أنهن قد انتصرن عليها انتصارًا تامًا، ولم ينتبهن إلى أساليب خداعها، فمنعن عنها حظوظها الظاهرة، وسرن وراء حظوظها الخفية، فانتصرت عليهن أنفسهن، وساقتهن أمامها دون أن يشعرن بذلك.

٢- طبيعة المعركة مع النفس:

* وتخطئ من تظن أن المعركة مع النفس معركة سهلة، وفي مجالات محدودة. فالمعركة ضخمة لا تنتهي إلا بالموت؛ لذلك يجب علينا أن نداوم على محاسبة أنفسنا، والتفتيش الدائم داخلها.

(ويؤمن المسلم أن سعادته في كلتا حياتيه؛ الأولى والآخرة- موقوفة على مدى تأديب

نفسه وتزكيتها وتطهيرها، كما يؤمن المسلم أن ما تطهر عليه نفسه وتزكو هو حسنة الإيمان والعمل الصالح، وأن ما تخبث به النفس وتفسد هو سيئة الكفر والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وقال (عز وجل): ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ومن أجل هذا يعمل المسلم دائمًا على تهذيب نفسه وتزكيتها وتطهيرها؛ إذ هي أولى من يؤدب)[1].

ثانيًا- جوانب تطبيقية مستفادة:

عرفت أختنا الفاضلة أقسام الناس في تعاملهم مع النفس، وصفات كل قسم، وبالتأكيد نحن نتطلع إلى أن نكون من القسم الأول: المجاهدات لأنفسهن، ومن ثم نوصيك أن تقومي في جلسة مع أخواتك بالتالي:

١- التأكد من التخلي عن أي صفة من صفات القسم الثاني.

٢- استعراض صفات القسم الأول، وعمل برنامج تنفيذي للوصول لها جميعًا.

ثالثًا- أسئلة للتقويم:

١- خلق الله النفس مستعدة للخير والشر، ما الدليل على ذلك؟

٢- المعركة مع النفس معركة ضخمة لا تنتهي إلا بالموت.

- اشرحي العبارة السابقة.
- بيني واجبنا تجاه أنفسنا بمقتضى هذه العبارة.

٣- عددي صفات المجاهدات لأنفسهن.

* * *

(١) منهاج المسلم.

الدرس الثاني
أهمية التغير إلى الأحسن وضرورته

أولاً - المحتوى النظري للموضوع:

نتناول هذا الموضوع من خلال عنصرين: عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بتزكية النفوس، وحاجة الأمة إلى أهل التزكية.

١ - عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بتزكية النفوس:

في القرآن الكريم:

إن عملية تغيير النفس إلى الأحسن بتطهيرها وإصلاحها قد عُنِي بها القرآن عناية كبيرة، وأطلق عليها كلمة «التزكية».

وقد نوَّه القرآن العظيم بأهميتها وضرورتها في مواضع كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

- قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس: ٧-١٠].

فقد وصف الله (عز وجل) من يسعى في تزكية نفسه بالفلاح، ووصف من يهملها ويدنسها ولا يسعى في تزكيتها بالخيبة.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فقد امتن الله (عز وجل) على المؤمنين بإرسال رسول فيهم من أنفسهم من أبرز مهامه، ومن أبرز مقومات هذه المنة أنه يزكيهم. وجدير بالملاحظة في هذه الآية أن الله (عز وجل) قدم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة.

- وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ

يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١-١١]، فقد عاتب الله (عز وجل) رسوله ﷺ لإعراضه عن رجل أعمى جاءه يسعى إليه لطلب العلم.. لعله يزكَّى- والرسول إنها أعرض عنه لانشغاله بها يظنه أهم وأخطر لمصلحة الدعوة، وهو دعوته ﷺ لصناديد قريش رغبةً في إسلامهم وإسلام من وراءهم من قبائل العرب- فما هذا الأمر الجلل الذي استحق أن يعاتب فيه الله (عز وجل) رسوله الحبيب ﷺ؟

إنها إشارة واضحة إلى ارتفاع منزلة من يحرص على تزكية نفسه، وثقل وزن عملية التزكية ذاتها في ميزان الحق (سبحانه وتعالى).

- وقوله تعالى لسيدنا موسى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[النازعات:١٧-١٩]، فقد أرسل الله (عز وجل) سيدنا موسى إلى فرعون، داعيًا إياه إلى أن يتزكى؛ (فهل لك أن تتطهر من رجس الطغيان؟ ودنس العصيان؟ هل لك إلى طريق الصلاة والبركة؟ هل لك أن أعرفك طريق ربك؟)[1]، ولا يخفى أنه في تلخيص رسالة سيدنا موسى (عليه السلام) إلى فرعون في هذه الكلمة الموجزة ما يشير إلى مكانة التزكية، وأهمية الحرص عليها.

وفي السنة المطهرة:

- كان من دعاء الرسول ﷺ: «اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»[2].

- وقوله ﷺ لربيعة الأسلمي الذي طلب منه مرافقته في الجنة: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[رواه الطبراني في الكبير].

وفي الآثار:

- في وصية سيدنا أبي بكر الصديق لسيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما): أول

---

(١) الظلال.

(٢) من حديث رواه مسلم عن زيد بن أرقم.

ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك.

- وكان عمر ﷺ يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنُوا أعمالكم قبل أن تُوزَن عليكم، وتزينوا للعرض الأكبر.

- وكان بعض الأئمة يقول: مؤدب نفسه ومعلمها أولى بالإجلال عندي من مؤدب الناس ومعلمهم؛ تنويهًا بعلو شأنه واحترامه، وليس تقليلاً من شأن تعليم الناس ودعوتهم.

- وهذا الحطيئة الشاعر يهجو الزبرقان بن بدر ببيت واحد، فيغضب ويشكوه إلى عمر بن الخطاب ﷺ؛ لأنه عابه بشيء شنيع لا يتحمله.. ترى ما هذا الشيء الشنيع؟ قال له:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي لا شأن لك بمكارم الأخلاق ما دمت تأكل وتشرب وتكتسي، فلا تجهد نفسك في تزكية ولا غيرها.. فنهاه عمر بن الخطاب ﷺ عن ذلك، وهمَّ بتعزيره لولا أن اعتذر له؛ لأن سبب تفضيل الله للإنسان على باقي المخلوقات هو معرفة الله، والسعي إلى مرضاته مزكيًا لنفسه، فإذا تخلى عن هذه الميزة، واكتفى بالطعام والشراب والشهوات انحط إلى أقل من درجة البهائم.

وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي (رحمه الله): (وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل، ولكنه يتميز عليه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة، فيكون الفرس مخلوقًا لهذا، فإذا تخلى عن ذلك انحط إلى درجة الحمار، كذلك الإنسان إذا تخلى عن سبب تكريمه واكتفى بمشاركة البهائم في أفعالها) [1].

٢- حاجة الأمة إلى أهل التزكية [2]:

عرفنا شيئًا عن أهمية التزكية ومكانتها في الدين، فأما رجالها المرابطون عليها علمًا

(١) الإحياء، جـ ٣، ص ٩، بتصرف يسير.
(٢) التزكية، نبيل حامد المعاذ.

وعملاً، فهم الروح التي تسري في جسد هذه الأمة فتحييه- بإذن الله- وفي مثل هذا المعنى يقول الشهيد حسن البنا: (محال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية في النفوس والأرواح والمشاعر، ولهذا أستطيع أن أقول: إن أول ما نهتم له في دعوتنا، وأهم ما نعول عليه في نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجاة، فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح، حياة القلوب، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر، وليس يعنينا أن نتكلم عمّا نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح في النواحي العملية المختلفة، بقدر ما يعنينا أن نركز في النفوس هذه الفكرة)[(١)]. وقد بيَّن أن دواء أمتنا في كلمة واحدة هي: (علاج النفوس، وتقويم أخلاق الشعوب)[(٢)].

وقد اقتضت حكمة الله (عز وجل) أن ترتبط عملية التزكية بإرادتك أنت؛ لتغيري من نفسك، وتسيري أنتِ أُولى خطواتها.

- فقد قال الله (عز وجل): «إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

- ويقول الله (عز وجل): ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، وترتيب الوقائع في الآية يستوقف النظر؛ فالذين اهتدوا بدءوا هم بالاهتداء، فكافأهم الله بزيادة الهدى، وكافأهم بما هو أعمق وأكمل: «وآتاهم تقواهم»، والتقوى حالة في القلب تجعله أبدًا واجفًا من هيبة الله، وشاعرًا برقابته، وخائفًا من غضبه، متطلعًا لرضاه، متحرجًا من أن يراه الله على هيئة أو في حالة لا يرضاها. هذه الحساسية المرهفة هي التقوى، وهي مكافأة يؤتيها الله (عز وجل) من يشاء من عباده حين يهتدون هم، ويرغبون هم في الوصول إلى رضا الله (عز وجل)[(٣)].

- ويقول (عز وجل) عن قوم موسى (عليه السلام): ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، فقد زاغوا بعدما بذلت لهم كل أسباب

(١) الرسائل، (دعوتنا في طور جديد).
(٢) الرسائل، (المؤتمر الخامس).
(٣) الظلال.

الاستقامة، فزادهم الله زيغًا، وأزاغ قلوبهم، فلم تعد صالحة للهدى، وضلوا فكتب الله عليهم الضلال أبدًا: ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

- وفي هذا يقول الله (عز وجل) أيضًا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

فالمفتاحان في يدك، والطريقان أمامك، ولك وحدك الاختيار في إطار مشيئة الله (سبحانه وتعالى).

- وفي الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه: «وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» [رواه مسلم].

فإذا صدقت في خطواتك الأولى المباركة في تزكية نفسك إرضاءً لله تعالى تداركتك العناية الإلهية، وقصَّرت لك الطريق، وبلَّغتك مقصودك، يقول الله (عز وجل): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

ثانيًا- جوانب تطبيقية مستفادة:

هيا سارعي وانهضي بعزم، وسيري بجد على طريق تغيير نفسك وإصلاحها، مستعينة بربك- حتى في هذه النهضة وتلك الخطوة الأولى- فالله (عز وجل) يقول: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١].

١- ابتهلي إلى الله تعالى في كل سجود: اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

٢- احرصي على حضور كل عمل يعينك على تزكية نفسك.

٣- الزمي الصحبة الصالحة؛ فإنها تزكي النفوس.

ثالثًا- أسئلة للتقويم:

١- اذكري من الآيات ما يدل على ما يلي:

- اعتنى القرآن الكريم بتزكية النفس.

- اقتضت حكمة الله (عز وجل) أن ترتبط عملية التزكية بإرادتك أنت لتغيري من نفسك، وتسيري أنت أولى خطواتها.

٢- أكملي الآثار التالية:

- وصية سيدنا أبي بكر الصديق لسيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما): أول ما أحذرك....

- كان بعض الأئمة يقول: مؤدب نفسه ومعلمها أولى بالإجلال عندي....

- يقول أبو حامد الغزالي (رحمه الله): وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل....

* * *

الدرس الثالث
صفات النفس وجوانب القصور فيها

(إن لهذه النفس التي أودعها الله فينا صفات كثيرة، وقد تتعدد الصفات المتضادة في النفس الواحدة) [١]، (فقد تكون النفس مطمئنة إلى ذكر الله ووعيده وأمره ونهيه ودينه ورسوله ﷺ، وقد تكون لوَّامة تلوم صاحبها على التقصير في العبادة، ولكنها تضعف أحيانًا، وقد تكون أمارة بالسوء) [٢]، ولا بد من معرفة أنواع الأنفس حتى نتمكن من التحلي بأحسنها، ونتجنب أسوأها.

وسنتناول هذا الموضوع من خلال عنصرين: أنواع النفوس التي ذكرها القرآن الكريم [٣]، وبعض صفات النفس البشرية.

١- من أنواع الأنفس التي ذكرها القرآن الكريم:

أ- النفس الأمارة بالسوء [٤]:

(عندما يتحدث أهل التزكية عن النفس ومجاهدتها ومخالفتها، فالمقصود بالنفس عندهم المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، أو الأصل الجامع للصفات المذمومة في الإنسان) [٥].

(وإذا أردنا أن ندرك خطورة النفس على الإنسان فلنقرأ قول الله تعالى عن قابيل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[المائدة: ٣٠]، وقوله تعالى على لسان يعقوب لأبنائه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨]، وقوله تعالى على

---

(١) منهج التابعين في تربية النفوس.
(٢) التزكية، نبيل المعاذ.
(٣) منهج التابعين.
(٤) نفس السابق.
(٥) التزكية.

لسان السامري الذي صنع العجل لبني إسرائيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]، وقوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

(أي لا أزكي نفسي ولا أنزِّهها، فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات)[١]، وفي تفسير القرطبي: إن النفس مشتهية للسوء.

والأدلة على خطورة تسلطها على العبد وانقياده لشهواتها كثيرة جدًّا؛ لذلك يقول ابن القيم (رحمه الله): (سائر أمراض القلوب تنشأ من النفس، فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب، ثم تنبعث منها إلى الأعضاء، وأول ما تنال القلب)، وقد استعاذ النبي ﷺ من شرها عمومًا، ومن شر ما يتولد عنها من الأعمال، وقد اتفق السالكون على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه سبحانه لا يدخل عليه، ولا يوصل إليه إلا بعد قهرها ومخالفتها، وقال بعض العارفين: «انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم، فمن ظفر بنفسه أفلح ونجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]، (فالأصل أن النفس أمارة بالسوء، والاستثناء هو غير ذلك، وهي مبعث البلاء والشقاء، ومكمن الشر والفساد، ومصدر الظلم والطغيان، وتحتاج إلى قوة إيمانية حتى تزكو ويكون هواها تبعًا لشرع الله، ويؤكد ذلك رسول الله ﷺ فيقول: «ما تقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية؟ وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية؟» قالوا: يا رسول الله، هذا شر صاحب في الأرض، قال: «فوالذي نفسي بيده، إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم»[٢][٣]. فالنفس البشرية بطبيعتها ميالة إلى الشهوات، إلا من تعب في تربيتها فانتقلت من الأمر بالسوء إلى الأمر بالخير، فتتغير طبيعتها الأمارة بالسوء

---

(١) صفوة التفاسير: ٢/ ٥٣.
(٢) ذكره القرطبي في تفسيره لسورة يوسف في قوله تعالى: ((وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)).
(٣) محاسبة النفس، د. حسين شحاتة.

لكثرة التربية إلى طبيعة أخرى، وهي اللوم على اقتراف كل ما من شأنه الإبعاد عن رضا الله تعالى.

ب- النفس اللوّامة:

يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة: ٢].

قال قرة بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن - والله - لا نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قدمًا ما يعاتب نفسه[١]. فالمؤمن دائمًا ينقي نفسه مما يعلق بها كل يوم من الأقوال والأفعال التي تؤخره عن دخول الجنة، وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه؟»[٢]، فهو يتذكر ماضيه البعيد والقريب، وما اقترف فيه من المعاصي، ويعتصر قلبه لذلك الماضي الأسود، فيندم أشد الندم على تضييع الأوقات في غير طاعة الله، وعدم استغلالها في مرضاته، ويندم على استسلامه لتزيين الشيطان، فهو في محكمة دائمة مع نفسه اللوامة، لذلك فهي نفس حساسة حية تشعر بالحسن والقبيح.

يقول سيد قطب (رحمه الله) في الظلال: «فهذه النفس اللوامة المتيقظة التقية الخائفة المتوجسة التي تحاسب نفسها، وتتلفت حولها، وتتبين حقيقة هواها، وتحذر خداع ذاتها هي النفس الكريمة على الله، حتى ليذكرها مع القيامة، ثم هي الصورة المقابلة للنفس الفاجرة، نفس الإنسان الذي يريد أن يفجر ويمضي قدمًا في الفجور، والذي يكذب ويتولى ويذهب إلى أهله يتمطى دون حساب لنفسه، ودون تلوم ولا تحرج ولا مبالاة!»، وهو يستشعر دائمًا شر نفسه، فيكون متحفزًا منتبهًا أن تأخذه على حين غرة، فيذكر نفسه صباحًا ومساءً وقبل أن يأوي إلى فراشه: «قُلْ اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ؛ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ» [رواه أبو داود والترمذي]، فطلب المعونة للوقوف أمام نفسه هو أول ما يُلْجِئه إلى الله.

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٤٥، ٤٤٦.
(٢) تفسير القرطبي.

وإذا ما استمر على الالتزام بهذه الصفة فإنها توصله إلى صفة أخرى، كنتيجة طبيعية لالتزامه بصفة اللوم، ألا وهي الطمأنينة.

ج- النفس المطمئنة:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

يقول الإمام القرطبي: «النفس المطمئنة: الساكنة الموقنة، أيقنت أن الله ربها، فأخبتت لذلك».

وقال ابن عباس: أي المطمئنة لثواب الله.

وعن مجاهد: الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.

وقال الحسن البصري: إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله تعالى، واطمأن الله إليها.

وأنّى يكون لها تلك الصفات لولا المحاسبة الدائمة لكل لفظة أو خطرة أو لحظة أو خطوة، فإن هذا اللوم الدائم يعدل من مسارها حتى تستقر على الخط الأصيل، والصراط المستقيم، فلا تؤثر فيها رياح الفتنة، وزينة الدنيا، وشدة البلاء، وتسويل الشيطان، فإنها تهزأ بذلك كله بطمأنينة المؤمن الموقن بقدر الله تعالى، والمستسلم لإرادته تعالى.

يقول سيد قطب (رحمة الله عليه) عن هذه النفس في الظلال: «المطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنع والعطاء، المطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق، والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرهيب».

فإذا خاف الناس، وإذا ارتعب الناس، وإذا سقط الناس، وإذا جزع الناس، وإذا مال الناس؛ فهو أبدًا ثابت كالجبل الأصم لا يغيره شيء، لطمأنينته التي غمرت جوانبه.

٢- من صفات النفس البشرية:

(إن لهذه النفس التي أودعها الله فينا صفات كثيرة، وقد تتعدد الصفات المتضادة في

النفس الواحدة)[1]، والمطلوب شرعًا أن يربي المسلم نفسه على الصفات الحميدة، وأن يُخلِي نفسه من الصفات الذميمة، ومن هذه الصفات:

أ- الازدواجية في النفس البشرية: يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:٧-١٠].

إن جهاز الاختيار الذي أودعه الله تعالى في هذا الإنسان جعله قادرًا على فعل الخير أو الشر، وهو يحاسب يوم القيامة طبقًا لذلك، ولهذا فإن هذه النفس قابلة أن تتغير إما ناحية الخير أو ناحية الشر، وذلك بمقدار ما ينفق هذا الإنسان من جهد لتغييرها، فالتغيير للأحسن يسمى «التزكية»، والتغيير للأسوأ يسمى «التدسية»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[النساء:٧٩]؛ لأنه باختياره لم يتبع الحق فأصابه الشر.

فكاذب من يدعي أنه غير قادر على فعل الخير والابتعاد عن الشر؛ لأن الله خلق فيه هذا الاستعداد، ويبقى القرار لهذا الإنسان باختياره للخير أو للشر. والازدواجية في النفس البشرية هي الأصل في خلق الإنسان، وليست هي صفة مستقلة بالمعنى التفصيلي.

ب- القدرة على التكليف: يقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

عندما خلق الله تعالى الاستعداد في النفس البشرية لعمل الخير أو عمل الشر، صاحب ذلك خلق القدرة لعمل ذلك الخير المأمور به؛ لكي يسهل عليها فعله، يقول ابن كثير: «أي لا يكلف أحدًا فوق طاقته. وهذا من لطفه تعالى بخلقه، ورأفته بهم، وإحسانه إليهم، وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾[البقرة:٢٨٤] أي هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها، فهذا لا يكلف به الإنسان».

ج- التطويع: فمن صفات النفس أنها تغري الإنسان، وتسهل في عينه فعل الشر، وتنسيه في ذات اللحظة عاقبة ما يقبل عليه، فيرى ذلك سهلاً فيقدم عليه، يقول تعالى عن

(١) منهج التابعين في تربية النفوس.

قصة ابني آدم قابيل وهابيل، عندما أقبل قابيل على قتل أخيه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

يقول الإمام القرطبي: أي سولت وسهلت نفسه عليه الأمر، وشجعته وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل له[١].

د- **التسويل**: التسويل أو التزيين، أي أن النفس تزين لصاحبها فعل الخطأ، والزينة توضع على الشيء حتى تغير من صورته الحقيقية فتقبلها النفس، يقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٥-٩٦].

يقول الإمام القرطبي: أي ما أمرك وشأنك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: رأيت ما لم يروا، رأيت جبريل (عليه السلام) على فرس الحياة، فألقي في نفسي أن أقبض من أثره قبضة، فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم، فلما سألوك أن تجعل لهم إلهًا زينت لي نفسي ذلك)[٢].

وجاءت كلمة التسويل في سورة يوسف (عليه السلام) عند قول يعقوب (عليه السلام): ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، وكذلك قال لهم نفس العبارة عندما أبقى يوسفُ أخاه الصغير عنده.

هـ- **الوسوسة**: والوسوسة هو الصوت الخافت الذي لا يسمعه الآخرون؛ لذلك كانت صفة من صفات النفس، وحديثها لصاحبها، وهذا الحديث قد يكون خيرًا أو شرًّا، فإن كان ممن تعب في تزكيتها، فإنها تأمره بالخير، وإن لم يكن من أولئك، فإنها تحدثه وتغريه بالسوء.

ثانيًا- جوانب تطبيقية مستفادة:

أختنا الفاضلة، بعدما عرفت أنواع النفس التي أشار القرآن الكريم إلى بعض

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ١٣٨.
(٢) تفسير القرطبي: ١١ / ٢٣٩.

خصائصها، جدير بك أن تستوصي بما يلي:

١- احترسي من مخاطر هذه الخصائص، والانسياق وراء شرها: ازدواجية النفس- قدرة النفس على التكليف- التسويل- التطويع- الوسوسة.

٢- حددي صفات النفس المطمئنة كما ذكرها العلماء، واجعليها سقفًا تسعين للوصول إليه على مدار حياتك.

٣- اجعلي صفات النفس اللوامة مؤشرات للنجاح، والتمسي وجودها في نفسك.

٤- استعيني بالله دومًا، واستعيذي من شر نفسك، لأن الأمر عظيم جدًّا، والمعركة مشتعلة لا خمود لها.

ثالثًا- أسئلة للتقويم:

١- اذكري من الآيات ما يدل على: خطورة النفس على الإنسان.

٢- ماذا نستفيد من الحديث التالي في حقيقة النفس: «ما تقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية، وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية، قالوا: يا رسول الله، هذا شر صاحب في الأرض، قال: فوالذي نفسي بيده، إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم».

٣- وضحي متى ينطبق على المرأة لقب النفس اللوامة.

٤- قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾...

- ما حقيقة النفس المطمئنة؟ - كيف وصلت لهذه المنزلة؟

- أكملي... يقول الحسن البصري: إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن، اطمأنت النفس...

٥- ازدواجية النفس- قدرة النفس على التكليف- التسويل- التطويع- الوسوسة. المفاهيم السابقة من خصائص النفس، فما المقصود بكل منها؟

الدرس الرابع

وسائل تربية النفوس

إن تزكية النفوس وتربيتها، والرقي بها وإصلاحها مدخل إلى كل خير، وطريق إلى كل نجاح، وهو في الوقت نفسه غاية عزيزة المنال، غالية الثمن، تحتاج إلى صدق العزم، وشد الرحال، وبذل الجهود، كما تحتاج إلى وسائل عديدة، وجهاد طويل ومجاهدة لا تتوقف؛ أملاً في الوصول إلى مرضاة الله، وإلى النفوس المطمئنة.

ووسائل التربية والتزكية عديدة، منها: اتخاذ القدوة الصالحة من أم أو معلمة أو أخت أكبر، ومنها القراءة والاستماع عن الصالحين، ومنها تلاوة القرآن، ومنها الصلاة، لاسيما قيام الليل، ومنها حضور مجالس العلم والذكر، ومنها الصحبة الصالحة.

كما أن تجنب ما ينافي هذه الوسائل يعد بالضرورة من مكملات التربية، كترك الصحبة السوء، وهجر القرآن. وسنتناول هنا بعض الوسائل بشيء من التفصيل، وهي:

١ - الرجوع إلى الله «التوبة».   ٢ - الاستعانة بالله «الدعاء».

٣- الخوف من الله والمراقبة.   ٤ - محاسبة النفس.

(١) الرجوع إلى الله (التوبة)

الرجوع إلى الله والفيء إليه أول الطريق إلى تزكية النفس، ويكون باليقظة والتفكر والتوبة والإنابة.

وسنتناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية: حقيقة التوبة، وجوب التوبة إلى الله، شروط تحقق التوبة، انقسام التائبين إلى طبقات أربع، فضل التوبة إلى الله، كيفية تحقيق التوبة.

١- حقيقة التوبة:

(اعلم أن التوبة عبارة عن ثلاثة أحوال مرتبة: علم، وحال، وفعل.

أما العلم: فمعرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها حجابًا بين العبد وكل محبوب.

وأما الحال: فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، فيسمى تألمه بسبب الفعل المُفوِّت لمحبوبه ندمًا.

وأما الفعل: فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى، انبعث بالحال وبالماضي وبالاستقبال.

أما تعلقه بالحال: فبالترك للذنب إذا كان ملابسًا.

وأما بالاستقبال: فبالعزم على ترك الذنب إلى آخر العمر.

وأما بالماضي: فبتلافي ما فات بالخير، وبالقضاء إن كان قابلاً للجبر.

وكثيرًا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده، وبهذا الاعتبار قال (عليه الصلاة والسلام): «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» [رواه ابن ماجة والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين]، إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه)[١].

(والمراد بالتوبة التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي، والندم على كل ذنب وتقصير سالف، والعزم على عدم العودة إلى الذنب في مقتبل العمر)[٢].

٢- وجوب التوبة إلى الله:

- يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].

- وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

- وقال (عز وجل): ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجر: ١١].

- ويقول (عز وجل) أيضًا: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

و قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى الله؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٣].

وقال ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»[١].

---

(١) كتاب التوبة، الإمام أبو حامد الغزالي.

(٢) منهاج المسلم.

(٣) رواه مسلم.

وقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على وجوب التوبة، قال القرطبي (رحمه الله): «اتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين»[٢].

وقال ابن قدامة المقدسي (رحمه الله) في كتابه مختصر منهاج القاصدين: الإجماع منعقد على وجوب التوبة؛ لأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله تعالى؛ فيجب الهروب منها على الفور.

وهذا لأن كل إنسان- بدون استثناء- معرض للخطأ والزلل، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» [رواه الترمذي وابن ماجة].

٣- شروط تحقق التوبة:

ذكر العلماء شروطًا للتوبة، وهي مأخوذة من الآيات والأحاديث الصحيحة، وهي:

أ- الندم على اقتراف الذنب، قال ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» [رواه ابن ماجة].

ب- ترك الذنب.

ج- العزم على عدم العودة لفعله مرة أخرى.

د- إرجاع الحقوق المترتبة أو المأخوذة نتيجة لهذا الذنب، أو طلب المسامحة والتنازل من أصحاب الحقوق، وذلك إذا كان الذنب في حق العباد.

وينبغي على التائب أن يراجع نفسه، وأن يفتش فيها عمَّا وقع فيه من معاصٍ وذنوب فيما بينه وبين الله، وما بينه وبين العباد، كما عليه أن ينظر إلى مقادير ذنوبه، فيطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها، فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات ويزيد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وقال ﷺ: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا» [رواه الترمذي].

كما يجب على التائب أن تكون توبته خالصة لوجه الله (سبحانه وتعالى)، لا لغرض آخر، أو لعدم القدرة على فعل الذنب، فلا يعتبر تائبًا من ترك السرقة مثلاً؛ لأنه لم يجد ما يسرقه، ولا

---

(١) رواه ابن ماجة من حديث ابن مسعود.
(٢) تفسير القرطبي: ٥/ ٩٠.

لمن ترك شرب الخمر؛ لأن الطبيب حذّره من أضراره، أو لأنه لم يجده متوافرًا عنده.

٤- انقسام التائبين إلى طبقات أربع:

الأولى: ذو النفس المطمئنة: يتوب ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتدارك ما فرط من أمره، ولا يحدث نفسه بالعودة إلى ذنوبه، وهذه هي التوبة النصوح.

الثانية: ذو النفس اللوامة: يتوب فيسلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات، ويترك كبائر الفواحش كلها، لكنه يبتلى أن يقع في أحوال ذميمة من غير أن يقدم عزمًا على الإقدام عليها، لكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف، وجدد عزمه على أن يحترز من الأسباب التي تفضي إليها.

الثالثة: ذو النفس الضعيفة: يتوب ويستمر مدة على الاستقامة، ثم تغلبه شهوة، فيقدم على بعض الذنوب قصدًا وعمدًا، ثم يندم ويأمل لو قدره الله (عز وجل) فكفاه هذا الشر، ولكن نفسه تسوّل له فيسوف توبته مرة بعد أخرى.

الرابعة: ذو النفس الأمارة بالسوء: يتوب ويجري مدة على الاستقامة، ثم يعود إلى مقارفة الذنب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله. وهذا الصنف يخاف عليه من سوء الخاتمة، والعياذ بالله.

٥- فضل التوبة إلى الله:

أ- التوبة تمحو عنك الذنوب:

قال (عليه الصلاة والسلام): «التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ» [رواه ابن ماجة].

ب- التوبة تبدل السيئات إلى حسنات:

يقول الحق (سبحانه وتعالى): ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

ج- التوبة سبب في الحياة المطمئنة وفي سعة الرزق والقوة:

قال (تبارك وتعالى): «وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وقال أيضًا على لسان نبيه نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

د- التوبة تطهر قلب التائب:

لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»(١).

هـ- التوبة سبب الفلاح في الدنيا والآخرة:

ويدل على ذلك قول الحق (سبحانه وتعالى): ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

وقوله (تبارك وتعالى): ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠].

٦ـ خطوات عملية لتحقيق التوبة:

* احذري أن تستصغري ذنبًا مهما كان يسيرًا:

فالذنوب الصغيرة إذا اجتمعت عليك دون أن تتوبي منها قد تهلكك، قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»(٢).

فكم من ذنب يراه البعض صغيرًا لكثرة وقوعه ومجاهرة الناس به، ولكنه عند المؤمن وعند الله عظيم! وتأملي قول رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» [رواه البخاري].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما.

(٢) رواه أحمد وغيره.

*** واحذري المجاهرة بالمعاصي ولو كانت في الماضي:**

المجاهرة بالمعصية جريمة عظيمة، يقول الرسول ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ: يَا فُلانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»[1]؛ لأنها تسهم في استسهال الناس واستصغارهم للمعاصي، وتساعد على إشاعة الفاحشة.

وهذا لا يعني أن يتهاون الإنسان بالمعاصي إذا خلا بنفسه طالما أنه لا يحدث أحدًا بها، يقول رسول الله ﷺ: «لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَلاَّ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[2].

*** واحذري من الإصرار على الذنوب:**

قال تعالى في وصف أهل الجنة المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

*** واحذري من القنوط من رحمة الله:**

فقد قال الحق (تبارك وتعالى): ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. وقال أيضًا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

*** احذري- رحمك الله- من تأخير التوبة وتسويفها.**

فأنتِ لا تدرين متى يدركك الموت، وعندها لا تنفع التوبة، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ- (عز وجل) - يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[3]، فالتراخي في التوبة قد يدلل على استصغار

(١) متفق عليه.
(٢) رواه ابن ماجة.
(٣) رواه أحمد والترمذي.

الذنب، أو الجهل، أو الإصرار، أو القنوط.

*** اتبعي السيئة الحسنة تمحيها:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، و: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

*** تحري مكفرات الذنوب واشتغلي بالعمل بها:**

ومنها: (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ)[1]، وصيام يوم عرفة، وصيام يوم عاشوراء، وقيام رمضان إيمانًا واحتسابًا، والحج المبرور، و«إن من موجبات المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام»[2]، و«الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ»[3]، وكثير من أدعية أحوال اليوم والليلة، وأذكار الصباح والمساء، وغيرها من أبواب الخير الكثير لا ينبغي أن تفوتنا. والله وحده هو المستعان.

ثانيًا- جوانب تطبيقية مستفادة:

* أختي الفاضلة.. بعدما علمت وتذكرت عن التوبة كواحدة من وسائل تربية النفس، جدير بك أن تستوصي بما يلي:

١- ادعي الله أن تكون نفسك من النفوس المطمئنة.

٢- قومي فصلي ركعتين، ثم استغفري الله من ذنبك الذي اقترفت.

٣- اعزمي على عدم العودة إلى أي ذنب أو تقصير من الآن، وادعي الله أن يعينك على ذلك.

٤- داومي على ذكر «سيد الاستغفار»: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ)

---

(١) رواه مالك ومسلم.

(٢) رواه الخرائطي، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

[رواه البخاري]. ثلاث مرات صباحًا ومساءً.

* اجعلي لك كل يوم ورد استغفار لا يقل عن ١٠٠ مرة.

* اسألي نفسك ما إذا كان حالك حال التائبات أم لا، مستعينة بالنقاط التالية:

١ - أشعر بأن الذنب يباعد بيني وبين الله.

٢- تلومني نفسي عندما أفعل ذنبًا كاشفة لي عن ضرره.

٣- آخذ نفسي بالوسائل التي تمنعها من العودة إلى اقتراف الذنب.

٤ - لا أتعمد ارتكاب ذنب تبت عنه قبل ذلك.

٥- أتمنى لو لم أرتكب الذنب.

٦- أحرص على تحقيق شروط التوبة.

٧- أحرص على تكرار التوبة والاستغفار مرات كثيرة في اليوم.

٨- أتعمد أن يكون لي توبة بالنهار، وأخرى بالليل.

٩- أتوقف عن عمل الذنب عند التذكر.

١٠- أصمم على ترك الذنب لآخر العمر.

١١- أعالج أثر الذنب الماضي بالتعويض، أو بقضاء ما فات.

ثالثًا- أسئلة للتقويم:

١- أكملي: التوبة معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة هي: ....، ....، ...

- من فضائل التوبة: ....، ....، ...

- طبقات التائبين هي: ....، ....، ....، ...

٢- ما الدليل على وجوب التوبة من الكتاب والسنة والإجماع؟

٣- ينبغي على التائب أن يراجع نفسه، وأن يفتش فيها عمّا وقع فيه من معاصٍ وذنوب فيما بينه وبين الله، وما بينه وبين العباد... إلى أي مدى توافقين على هذه العبارة؟

٤- ارتدت إحدى البنات الحجاب لتداري عيوبًا في خلقتها. هل تعد تائبة من التبرج؟ ولماذا؟

الدرس الخامس
من وسائل تربية النفس

(٢) الاستعانة بالله «الدعاء»

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

حينما يستقر في نفس المسلمة العزم على التغيير إلى الأحسن فأول شيء تقوم به هو الاستعانة بالله، وطلب العون من الله يكون بالدعاء.

وسنتناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية: أهمية الدعاء وفضله، الدعاء مفتاح التوفيق، تواصي السلف فيما بينهم بالدعاء.

١- أهمية الدعاء وفضله:

الدعاء من أبرز الطرق التي تزكي النفوس، بل إن الرسول ﷺ يقول: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»[(١)]، والدعاء كجهاز الشحن الذي يشحن القلب دائمًا بالقوة والرقة، وهو جزء من الذكر الذي يُذكِّر الإنسان بخالقه (سبحانه وتعالى)، واللجوء إليه، وبضعفه البشري، وبأعدائه الذين بين جوانحه، ومن بينهم هذه النفس الأمارة بالسوء.

ونلحظ حرص الصديق ﷺ على تعلم ما يزكي هذه النفس من النبع الصافي، فقد روى أبو هريرة ﷺ، أن أبا بكر الصديق ﷺ قال لرسول الله ﷺ: مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ»[(٢)].

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني.
(٢) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني.

وفي حديث أبي راشد الحُبْرَانِي زيادة: «وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»[١].

يقول الإمام ابن القيم: «قد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من الشر وأسبابه وغايته، فإن الشر كله إما أن يصدر من النفس، أو من الشيطان، وغايته إما أن يعود على العامل، أو على أخيه المسلم، فتضمن الحديث مصدري الشر الذي يصدر عنهما، وغايتيه اللتين يصل إليهما»[٢]. وكون هذه الوصية من أتقى الناس لأحب الناس إليه ليلتزم بها صباحًا ومساءً إنما يدل على أهمية طريق (الدعاء) في تربية النفوس.

ولم يكن هذا الدعاء هو الوحيد الذي يوصي به النبي ﷺ صحابته الكرام كطريقة لتربية النفس، بل إن المتصفح لأبواب الدعوات في كتب الحديث يجد فيها كنوزًا عظيمة في تربية النفوس.

٢- الدعاء مفتاح التوفيق:

يقول الإمام ابن القيم: اعلموا أن التوفيق ألا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار، وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه. فمتى أُعطي العبد هذا المفتاح، فقد أراد الله أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجًا دونه»[٣]، ولأن الدعاء هو مفتاح الخير والتوفيق كان التابعون يعتمدونه كأصل من أصول علاج هذه النفس، فمما يرويه ابن أبي رواد عنهم قوله: «رأيت طاوسًا وأصحابه إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة، ولم يكلموا أحدًا، وابتهلوا في الدعاء»[٤].

٣- تواصي السلف فيما بينهم بالدعاء:

وكانوا (رضي الله عنهم) يتواصون فيما بينهم بالتمسك بهذا الأصل في تربية النفوس، فمما يرويه مفتي مكة، التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح، عن صاحبه طاوس: «قال لي

(١) رواه الترمذي.
(٢) فيض القدير: ٤/ ٥٢١.
(٣) الفوائد: ١٢٧، ١٢٨، النفائس.
(٤) صفة الصفوة: ٢ / ٢٨٨.

طاوس: يا عطاء، لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك»[(١)]. لا شك أن هذا الجيل الشامخ كان يعرف أسباب الاستجابة، والتي منها أن يكون المطعم حلالاً، واختيار الوقت المناسب، وأن يسبقه الثناء، وألاً يدعو بقطيعة رحم، وغيرها من أسباب الاستجابة، إلا أن أسرار الاستجابة الحسية التي لم يفطن لها الكثيرون بيّنها التابعون؛ لتكون علامات لنا نستهدي بها لمعرفة قرب الاستجابة من بُعدها، أو القبول من الرفض، فقد جاء رجل لعالم اليمن التابعي الجليل الحافظ طاوس بن كيسان وقال له: ادعُ الله لنا، قال: ما أجد لقلبي خشية فأدعو لك[(٢)]. فهو يريد من هذه الإجابة أمرين: أولهما: أن يتعلم السائل أن يدعو بنفسه، فليس بين الله والعبد حجاب، ويريد أن يربي نفسه على عدم الغرور بسبب مجيء الناس إليه، وطلبهم الدعاء منه، ومع ذلك فهو ليس بكاذب عندما أجاب بذلك؛ لأن الخشية هي السر الذي لا يعرفه الكثيرون عندما لا يستجاب لهم.

ومما يرويه لنا التابعي ثابت البناني عن أحد العباد قوله: إني لأعلم حين يستجيب لي ربي (عز وجل)، قال: فعجبوا من قوله فقالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك؟ قال: نعم، قالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وجل قلبي، واقشعر جلدي، وفاضت عيني، وفتح لي في الدعاء، فثمَّ أعلم قد استجيب لي[(٣)].

وهذه الأسرار بمجموعها لا تخرج عمَّا لخصه طاوس عندما أجاب ذلك السائل، ويؤكد طرفًا من هذه الأسرار قول أمير المؤمنين الفاروق: إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه[(٤)]. **من عجائب دعائهم:**

وبسبب تلك الخشية التي تحدث عنها طاوس وثابت البناني ألهمهم الله العجائب من

(١) أسرار الاستجابة.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٥ / ٤٢ .
(٣) صفة الصفوة: ٣ / ٢٦١ .
(٤) الفوائد: ١٢٧، ١٢٨ النفائس.

الدعاء، فكان من دعاء التابعي البصري الزاهد الكبير طلق بن حبيب: اللهم إني أسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك، ويقين المتوكلين عليك، وتوكل الموقنين بك، وإنابة المخبتين إليك، وإخبات المنيبين إليك، وشكر الصابرين لك، ولحاقًا بالأحياء المرزوقين عندك[1]، ولو تحرينا كل كلمة من دعائهم لاكتشفنا وراء ذلك علمًا عميقًا، وخشية واضحة.

ثانيًا- جوانب تطبيقية مستفادة:

١- التواصي بالدعاء.

٢- تحري أوقات الإجابة والدعاء فيها.

٣- تحري المطعم الحلال.

ثالثًا- أسئلة للتقويم:

١- أكملي هذا الدعاء: اللهم عالم الغيب والشهادة، ...، رب كل شيء ومليكه، ...، أعوذ بك من شر نفسي، ...

٢- وضحي مكانة الدعاء كوسيلة لتزكية النفس.

٣- بيني كيف كان السلف يتواصون بالدعاء.

* * *

---

(١) سير الأعلام: ٤/ ٦٠٢، ٦٠٣.

الدرس السادس

من وسائل تربية النفس

(٣) الخوف من الله والمراقبة

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

نتناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية: حقيقة المراقبة والخوف من الله، أهمية الخوف من الله والمراقبة، نماذج من الخوف ومراقبة النفس من حياة الصحابة والصالحين.

١- حقيقة المراقبة والخوف من الله:

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

أورد القرطبي قول مجاهد تعليقًا على هذه الآية: (هو خوفه في الدنيا من الله (عز وجل) عند مواقعة الذنب فيقلع)، ونهي النفس عن الهوى أي زجرها عن المعاصي والمحارم[١].

ويتعوذ ابن مسعود ﷺ من زمان سيأتي بعده يكون للهوى الدولة والصولة، فيقول: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق، فنعوذ بالله من ذلك الزمان[٢].

والخوف هو الأساس في نهي النفس عن الهوى الذي يسحب صاحبه للمعصية، ولا يمكن أن تكون للإنسان القدرة الزاجرة للنفس عن الهوى دون خوف من الله يدفعه لذلك.

(١) القرطبي: ١٩ / ٢٠٨ .
(٢) القرطبي: ١٩ / ٢٠٨ .

٢ - أهمية الخوف من الله والمراقبة:

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، كما لا يغيب عنه سبحانه أي تصرف أو قول في ليل أو نهار، يقول سبحانه: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وكل ذلك محسوب لنا أو علينا، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فالفرد المسلم يخشى الله (سبحانه وتعالى) في كل تصرفاته وحركاته وسلوكه وهواجسه على دوام الأوقات، ويؤمن إيمانًا راسخًا بأن الله مطلع على ما يخفي وما يعلن، ولذلك يقوم بمقارنة ما ينوي القيام به من عمل مع أوامر الله ونواهيه، فينفذ العمل إذا كان صالحًا، ولوجه الله خالصًا، ويجتنبه إذا كان فيه معصية أو إثم أو هوى نفس.

والقرآن الكريم حافل بالآيات الكريمة التي تدل على هذا المعنى؛ فيقول الله تبارك وتعالى): ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩]، ويقول (جل شأنه) في سورة أخرى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، ويقول (سبحانه وتعالى): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤]، ويقول الحكيم الخبير: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣-١٤]، ويقول الله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٣، ١٤].

ويقول (سبحانه وتعالى): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. ويقول (عز وجل): ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وهذه الآيات تدل على أن النفس البشرية التي يؤمن صاحبها بالله ربًّا، توقن بأنه (جل شأنه) مطّلع عليها، عليم بأسرارها، رقيب على أعمالها، ولذلك تقوم المسلمة بمراقبة نفسها ذاتيًّا عن طريق ضميرها الحي اليقظ، فتقوم بمقارنة ما تهم القيام به من فعل أو قول مع ما يجب القيام به في ضوء الأحكام والقواعد المستنبطة من القرآن والسنة سواء

كانت تتعلق بالعبادات أو المعاملات...إلخ، فإذا ما تأكد ضميرها، واطمأن قلبها إلى شرعية ذلك استخارت الله (تبارك وتعالى)، ونفذت ما تنوي القيام به قاصدة من وراء ذلك وجه الله (سبحانه وتعالى)، ذاكرة قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

والمسلمة المرتبط قلبها بالله، والتي تخشع جوارحها لذكر الله، قادرة على التحكم في نفسها الأمارة بالسوء، ومتمكنة من السيطرة على هواها، ولذلك تراقب نفسها بنفسها، وتخاف الله في كل تصرفاتها وسلوكياتها، يقول الحق (تبارك وتعالى) في هذا الخصوص: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ويقول أيضًا في سورة أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، وتؤمن المسلمة بأنها سوف تحاسب أمام الله يوم القيامة، ففي ذلك خير ووقاية لها من الوقوع أو الاقتراب مما نهى الله عنه.

يقول سيد قطب (رحمه الله): (والذي يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم والاستغفار والتوبة، فظل في دائرة التوبة.

ونهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقلَّ أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأجل لعلاجها.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى)[1].

(والهوى عنيف شديد يغطي العقل ويقيده، فهو يحتاج إلى قدرة هائلة لهدمه، مرتكزة على الخوف من الله تعالى، والخوف من الفضيحة يوم القيامة، والشقاء في الدنيا والآخرة،

---

(١) الظلال.

وهكذا كان التابعون يربون أنفسهم وأتباعهم على الخوف من الله تعالى مع رجاء عفوه ورحمته، وكان النبي ﷺ- وهو رسول الله المؤيد بالوحي- يقول: «أَنَا أَخْوَفُكُمْ لله» (١).

- فالذي يخاف الله يتقي سخطه، ويخشى عذابه، ويتحاشى الوقوع في محارمه.
- والذي يخاف الله تعالى يغدو أطهر الناس قلبًا، وأزكاهم نفسًا، وأدمعهم عينًا، وأسخاهم يدًا.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «اللهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَينِ هَطَّالَتَينِ تَشفِيَانِ القَلْبَ بِذُرُوفِ الدَّمْعِ مِنْ خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَمًا» (٢).

٣- نماذج من الخوف ومراقبة النفس من حياة الصحابة والصالحين:

*** راعي الغنم وعمر بن الخطاب:**

قال عبد الله بن دينار: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فعرسنا ببعض الطريق، فانحدر علينا راعٍ من الجبل، فقال له عمر: يا راعي الغنم، بعني شاة من هذه الغنم، فقال الراعي: إني مملوك، فقال عمر: قل لسيدك: أكلها الذئب، فقال العبد: فأين الله؟ فبكى عمر، ثم غدا على سيد الراعي فاشتراه منه وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

(تتضمن هذه القصة معاني كثيرة، من بينها أن الفرد المسلم الذي تربى وفقًا لمنهج الله لا يخاف من الناس، ولا تشده الدنيا، ولا يغريه المال؛ لأن ما عند الله خير وأبقى. هؤلاء تربوا في مدرسة الإسلام، فأصبحوا يخشون الله ولا يخشون الحكام).

*** بائعة اللبن وعمر بن الخطاب:**

قال أسلم: بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعسُّ يتلمس أحوال رعيته بالمدينة، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه (اخلطيه) بالماء، فقالت الفتاة لأمها: أوَمَا علمتِ بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟

---

(١) رواه البخاري.

٢٠٧- رواه الطبراني في الدعاء.

فقالت الأم: وماذا كان من عزمته يا بنية؟ قالت الفتاة: إنه أمر مناديه فنادى: لا يشاب (يخلط) اللبن بالماء، قالت الأم لابنتها ساخرة: يا بنيتي، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك في موضع لا يراه عمر ولا منادي عمر، فقالت الفتاة لأمها غاضبة: لا يا أماه، ما كنت لأطيعه في الملأ، وأعصيه في الخلاء! وهل يغيب عنا رب عمر إذا غاب عمر؟! وقد سمع عمر هذا الحوار كله فقال لأسلم: علِّم الباب واعرف الموضع. ثم مضى عمر، فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلى الموضع فانظر: من القائلة: ومن المقول لها؟ وهل لها من بعل (زوج)؟ فأتيت الموضع فإذا الجارية لا بعل لها، وكذلك أمها، فأخبرت عمر، فجمع أولاده وقال لهم: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، وكان للجميع زوجات عدا عاصم بن عمر، فتزوجها، ثم ولدت له بنتًا، وولدت هذه البنت عمر بن عبد العزيز ﷺ.

* قصة الشيخ والغلام والطير:

وروي أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب، وكان يكرمه ويقدمه، فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدعا بعدة طيور، وناول كل واحد منهم طائرًا وسكينًا وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد، ودفع إلى الشاب قبل ذلك، وقال له كما قال لهم، فرجع كل واحد منهم بطائره مذبوحًا، ورجع الشاب والطائر حيٌّ في يده، فقال مالك: لِمَ لمْ تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعًا لا يراني فيه أحد، إذ وجدت الله مطلعًا عليّ في كل مكان، فاستحسنوا منه هذه المراقبة، وقالوا: حُقَّ لك أن تُكرم.

ثانيًا- جوانب تطبيقية مستفادة:

فأين أنت أختي الفاضلة من الخوف من الله؟ تذكري قبل أن تقدمي على أي عمل أنك مراقبة، وعلى كل شيء محاسبة، واجعلي ما يأتي شعارًا ووظيفة لك:

- أستشعر في خلوتي مع نفسي أن الله سبحانه يراني.
- أعرف في عملي ما هو لله وما هو لنفسي.

- أعرف أنني مراقبة في أعمالي، وأستحيي ممن يراقبني من الملائكة.

- أحسن عملي عندما أنتبه إلى أن الله مطلع عليّ.

- أبيّن لغيري معنى المراقبة والخوف من الله.

ثالثًا- أسئلة للتقويم:

١- الخوف ضروري لنهي النفس عن الهوى. ما مدى صحة العبارة السابقة، اذكري من القرآن ما يؤيد كلامك.

٢- المؤمنة تعلم أن الله تعالى يعلم السر وأخفى. ما الذي ينبغي أن تحدثه هذه العقيدة من أثر على سلوكياتنا؟ وبماذا أرشدنا القرآن في هذه المسألة؟

٣- أكملي:

التي تخاف الله تتقي....، وتخشى ....، وتتحاشى الوقوع في ....، وهي تغدو أطهر الناس....، وأزكاهم ....، وأدمعهم ....، وأسخاهم ....

٤- وضحي كيف كان السلف يزِنُون الناس على مدى تحقق مراقبة الله فيهم.

* * *

الدرس السابع
من وسائل تربية النفس

(٤) محاسبة النفس

أولاً- المحتوى النظري للموضوع:

نتناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية: المقصود بمحاسبة النفس، أهمية محاسبة النفس، نماذج من محاسبة الصحابة والصالحين لأنفسهم، أنواع المحاسبة وشرط نشأتها، التدرب على محاسبة النفس.

١ - المقصود بمحاسبة النفس:

المحاسبة من الحساب وتصفيته لمعرفة الأرباح من الخسائر[1]، وتعني محاسبة النفس أن يقوم الفرد من تلقاء ذاته بمحاسبة نفسه بنفسه أولاً بأول، عن أعماله وأحواله وسلوكه وتصرفاته، ما ظهر منها وما بطن، وحتى يكون على بصيرة من أمره، وذلك في ضوء المشروع، وأن يقوِّم نفسه بنفسه، إذا ما وجد انحرافًا، وذلك قبل فوات الأمر، وانقضاء الأجل، والوقوف أمام الله (سبحانه وتعالى) للمحاسبة الأخروية، فمحاسبة النفس هي طريق المتقين، وزاد المؤمنين الصالحين، ومعيار الخوف من الله (سبحانه وتعالى)، ومرشد السائرين إلى رب العالمين)[2].

٢ - اهمية محاسبة النفس:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[الحشر: ١٨]. وهذه إشارة إلى محاسبة النفس.

ولقد ربي الرسول ﷺ المسلمين الأوائل على المحاسبة الذاتية، وكان يحذرهم من شدة

---

(١) مشروع برنامج تربوي لإصلاح النفس، د. عبد الحي الفرماوي.
(٢) محاسبة النفس، د. حسين شحاتة.

حساب الآخرة، فعرف هؤلاء أن الله لهم بالمرصاد، وأنهم سوف يحاسبون يوم القيامة على كل شيء، ولا ينجيهم من ذلك إلا المحاسبة الذاتية، وصدق المراقبة، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف يوم القيامة، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت يوم القيامة وقفاته، فقد روى عبادة بن الصامت أنه (عليه الصلاة والسلام) قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه: «إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، إِنْ كَانَ رَشَدًا فَأَمْضِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيًّا فَانْتَهِ عَنْهُ».

كما روى شداد بن أوس ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله ﷻ»[(١)] [(٢)].

(والعاقل من حاسب نفسه الآن قبل أن يحاسب، ومن طال حسابه لنفسه الآن نجا من أهوال الحساب يوم الحساب، وكلما كثرت محاسبة الإنسان لنفسه قلت عيوبه، وكثرت ميزاته، ونجحت خطته في إصلاح نفسه، ولذلك كان عمر ﷺ يقول[(٣)]: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨][(٤)].

وكان الحسن ﷺ يقول: المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه.

وعن ميمون بن مهران أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه. والشريكان يتحاسبان بعد العمل.

ومن أهم سمات النفس المؤمنة الورعة الوجلة المحاسبة على التصرفات والأفعال، ما ظهر منها وما بطن، وذلك حتى تتأكد أنها تسير على الطريق المستقيم الذي حدد معالمه القرآن الكريم، ووضحه رسول الله ﷺ، وسار عليه السلف الصالح ومَن والاهم، وحتى يبين لها الخطأ والانحراف عن ذلك الطريق، فتعرف السبب، وتعود إلى الحق، وتتمسك

---

(١) رواه أحمد والترمذي.
(٢) محاسبة النفس.
(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.
(٤) مشروع برنامج تربوي إسلامي لإصلاح النفس، د. عبد الحي الفرماوي.

به، حتى لا تضل فتشقى.

والمسلم الذي صحَّ إسلامه هو القادر على محاسبة نفسه، والتحكم في تصرفاته وأفعاله، والعاقل الكيس من لام نفسه وعاتبها إذا ما أخطأت؛ لأنه يخشى يوم الحساب الأعظم أمام الله الحسيب القدير.

(ويجب على المؤمن ألا يغفل على محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة يمكن أن يشتري بها كنزًا من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبدًا، فإضاعة هذه الأنفاس، أو شراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم، وأقلهم عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

(ولما كان المسلم عاملاً في هذه الحياة ليل نهار على ما يسعده في الدار الآخرة، ولما كانت الدنيا هي موسم عمله، كان عليه أن ينظر إلى الفرائض الواجبة عليه كنظر التاجر إلى رأس المال، وينظر إلى الذنوب والمعاصي كالخسارة في التجارة، ثم يخلو بنفسه ساعة من آخر النهار كل يوم يحاسب نفسه فيها على عمل يومه، فإن رأى نقصًا في الفرائض لامها ووبخها، وقام إلى جبره في الحال، فإن كان مما يُقضى قضاه في الحال، وإن كان مما لا يُقضى جبره بالإكثار من النوافل، وإن رأى نقصًا في النوافل عوض الناقص وجبره، وإن رأى خسارة بارتكاب المنهي عنه استغفر وندم وأناب، وعمل من الخير ما يراه مصلحًا لما أفسد)[1]. هذا هو المراد من المحاسبة للنفس، وهي إحدى طرق إصلاحها وتأديبها وتزكيتها وتطهيرها.

٣- نماذج في المحاسبة:

* عن عمر ﷺ أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنَّ عليه الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟

---

(١) منهاج المسلم.

* وقال أنس بن مالك: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يومًا قد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطًا، فسمعته يقول- وبيني وبينه جدار وهو في الحائط-: عمر بن الخطاب أميرُ المؤمنين بخٍ بخٍ!! والله لتتقين الله أو ليعذبنك.

* وقال البحتري بن حارثة: دخلت على عابد، فإذا بين يديه نار قد أحجبها وهو يحاسب نفسه ويعاتبها حتى مات.

* وقيل: كان ابن الصمة يحاسب نفسه يومًا وهو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتاه! ألقى الملك بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب؟! كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب!! ثم خر مغشيًّا عليه.

* وكان أحد التابعين يزيد في عبادته وقرباته إلى الله، حتى إنه كان (إذا سجد تجيء العصافير تنقر على ظهره كأنه جذع حائط)[1]، ومع كل هذه العبادة فهو على خوف دائم، ومحاسبة مستمرة لنفسه أن تكون أقواله غير مطابقة لأعماله، ويقول: ما عرضت قولي على عملي إلا خفت أن أكون مكذبًا[2]. بمثل هذه المحاسبة يستمر العمل ويزداد، فتحفظ النفس من الانحراف والانقلاب.

هكذا كان الصحابة والصالحون يحاسبون أنفسهم؛ فهلا اقتدينا بهم في ذلك؛ حتى ننجو من حساب يوم القيامة، اليوم الذي يقال لنا فيه: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

٤ - انواع المحاسبة وشرط نشأتها:

محاسبة النفس أنواع:

منها المحاسبة المتقطعة، والتي تأتي بين فترات متباعدة، ومنها ما يعقب الخطأ الجسيم، ومنها المحاسبة الآنية، وهي أفضلها، حيث يحاسب المرء نفسه على كل خطأ تقوم به.

---

(١) الزهد، لأحمد، ٣٦٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٥ / ٦١.

وهـذه المحاسـبة لا يمكـن أن تبـدأ دونـها الانتبـاه واليقظـة لتحركـات هـذه الـنفس واتهامها، فإن النفس خصم جاهل.

(سئل يحيى بن معاذ: من خصمك؟ قال: نفسي تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة)[1]. إنها خواطر النفس عندما تزين للإنسان بهارج الدنيا، وتزين له فعل الشهوات، وتسهل له اقترافها، وتصغر في عينه الجريمة. إنه صراع المؤمن مع نفسه الأمارة، والتي تنسيه لذائذ الجنة كلها، وتعميه عنها، وتبرز له لذة الدنيا الفانية، هي التي تجعل الإمام يحيي بن معاذ يقول ذلك، وإلا فحاشى لمثله أن يبع الجنة ونعيمها بشهوة ساعة؛ ذلك أنه أدرك أن المحاسبة لا يمكن أن تتم دون الالتفات لهذه النفس واتهامها.

هكذا يجب على المسلمة أن تنتبه لنفسها، فلا تترك لها مجالاً ولا بابًا تدخل عليها منه لتجرها عن الصراط المستقيم، فهي ترى نفسها أقل الناس شأنًا، فإذا رأت من هي أكبر منها قالت: هذه سبقتني بالإيمان والعمل الصالح، فهي خير مني، وإذا رأت من هي أصغر منها قالت: سبقتُها إلى الذنوب والمعاصي، فهي خير مني، وإذا رأت أخواتها يكرمنها ويعظمنها قالت: هذا فضل منهن أخذنني به، وإذا رأت منهن تقصيرًا قالت: هذا ذنب أحدثته)[2].

فهي تحاصر نفسها في جميع الأحوال، ولا تترك لها متنفسًا تتنفس فيه، ولا فرصة تصطادها فيها، وكلها مجالات واسعة للنفس البشرية تجول فيها وتصول، ولكن ليس عند المؤمنة اليقظة لنفسها.

٥ - التدرب على محاسبة النفس:

تتم محاسبة النفس على النحو التالي:

(١) تحديد وقت المحاسبة: فقد يكون في كل لحظة، أو ساعة، أو في آخر النهار، أو نحو ذلك.

---

(١) صفة الصفوة: ٤ / ٩٤ .

(٢) صفة الصفوة: ٣ / ٢٤٨، وفلنبدأ بأنفسنا، الهلالي، بتصرف.

(٢) القيام بحصر واسترجاع الأعمال والتصرفات التي تمت خلال هذه الفترة (يمكن الاستعانة بجدول للمحاسبة).

(٣) تبيُّن جوانب الخير في أعمالها، فتشكر الله (سبحانه وتعالى) على ذلك، وتعمل على تنميتها وزيادتها، وتبيُّن جوانب النقصان والخسران، وهنا تلوم نفسها وتعاقبها، وتتوب وتقلع عن هذا النقصان، وتجبر نفسها على تعويض ما فاتها.

ثانيًا- جوانب تطبيقية مستفادة:

* لا تنامي هذه الليلة قبل أن تجلسي في غرفتك منفردة، وتطفئي الأنوار، وتغلقي الباب، لتحاسبي نفسك خلالها على ما فعلت هذا اليوم؛ فإن كان خيرًا فقومي وصلي ركعتين شكرًا لله، وإن كان غير ذلك، فتوبي إلى الله واعقدي العزم على الخير.

* التزمي بورد المحاسبة يوميًّا قدر المستطاع.

* تأكدي من وجود السمات التالية في نفسك، فإنها علامات الالتزام بالمحاسبة:

- أشعر كلما أقبلت على النوم أن نفسي قد لا تعود إلى الحياة.
- أشعر كلما استيقظت أنني مُنِحت فرصة جديدة لتحصيل الثواب.
- أشعر بخسارة كبيرة إن فاتني فرض فرضه الله علي.
- أحزن إن وجدت نفسي لم تزد في فعل الخير عن الأمس.
- يعتريني شعور بأنني موجودة في هذه الحياة بصفة مؤقتة.
- أذكِّر نفسي بأن الموت والحياة يتعاقبان يوميًّا على الإنسان.
- أراجع عملي عند كل صلاة وأستغفر للتقصير.

ثالثًا- أسئلة للتقويم:

١- «ربَّى الرسول ﷺ المسلمين الأوائل على المحاسبة الذاتية».

- وضحي العبارة السابقة بكلماتك الخاصة.
- اذكري من الأحاديث ما يدل على كلامك.

٢- أكملي:

- محاسبة النفس أنواع، منها المحاسبة المتقطعة، وهي: ....، ومنها ما يعقب ....، ومنها المحاسبة الآنية، وهي............

- المحاسبة لا يمكن أن تبدأ دونها الانتباه واليقظة إلى...............

- يقول ميمون بن مهران: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من ....

- سئل يحيى بن معاذ: من خصمك؟ قال: ....

٣- ماذا فعل ابن الصمة وهو يحاسب نفسه؟

***

الحياة وسط صحبة صالحة

(١)

الصحبة الصالحة

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول الحديث عن الصحبة الصالحة من خلال العناصر التالية:

ضرورة الصحبة في حياة الإنسان، أهمية اختيار المرأة الصحبة الصالحة.

١ - ضرورة الصحبة في حياة الإنسان:

الإنسان اجتماعي بالطبع، لابد أن يخالط الناس، ويكون له منهم أخلاء وأصدقاء، فالله فطرنا على حب العشرة والتآنس بالآخرين، والالتقاء بهم، ولا يخلو إنسان من هذا الطبع أيًا كان: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[الروم:٣٠].

كما أن الله خلق كلاً منا بقدرات وطاقات تختلف على الآخرين تجعله مفتقرًا إلى الآخرين، ويفتقر الآخرون إليه، لتصبح الصحبة ضرورة من ضرورات الحياة: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[الزخرف:٣٢].

ولقد أكد لنا القرآن أن سر اختلاف الناس وتفرقهم في شعوب وقبائل هو أن يتحقق التعارف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[الحجرات: ١٣].

ولكن هذا التعارف وهذه المصاحبة ينبغي أن تحقق وظيفة الإنسان في النهاية: العبادة؛ لذا جاء في تتمة الآية السابقة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

٢- أهمية اختيار المرأة الصحبة الصالحة:

للصحبة أثر عميق في شخصية المرأة وأخلاقها وسلوكها، والصاحبة تكتسب صفات صاحباتها بالتأثر الروحي، والاقتداء العملي؛ فإن اخترتهن من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت أخلاقها، وانحطت صفاتها تدريجيًا دون أن تشعر، حتى تصل إلى حضيضهن، وتهوي إلى دركهن.

أما إذا اختارت صحبة أهل الإيمان والتقوى والاستقامة والمعرفة بالله تعالى، فلا تلبث أن ترتفع إلى أوج علاهن، وتكتسب منهن الخُلق القويم، والإيمان الراسخ، والصفات العالية، والمعارف الإلهية، وتتحرر من عيوب نفسها، ولهذا تُعرف أخلاق المرأة بمعرفة صاحباتها وجليساتها.

وقد قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينِهِ ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقد مثل لنا رسول الله ﷺ الصاحب الصالح والصاحب السوء، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[رواه البخاري].

وعلى النقيض من ذلك؛ فإن الصديق السوء يجر على صاحبه الخسارة والوبال في الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾[الفرقان: ٢٧-٢٩].

إن صداقة السفهاء هي منزلق سريع إلى الحضيض.

٣- تأكيد القرآن والسنة على اختيار الصحبة الصالحة:

أ) قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨].

فالله ﷻ يأمر نبيه ﷺ بصحبة الذين يقصدون وجه الله، ويسعون إلى رضاه، ولا يمنع أن يكون فيها أيضًا إرشاد لنا بصحبة من هذا وصفه؛ إذ الأمر لرسول الله ﷺ أمر لنا أيضًا.

ب) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩].

فالصادقون هم الذين تمثلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فصفت نفوسهم، وتنزهت عمَّا هي عليه أخلاق البشر، فكانوا بذلك كالمرآة الصافية التي تكشف للإنسان حقيقة نفسه.

ج) قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧].

فلقد وصف الله ﷻ الأصدقاء بأنهم كلهم أعداء لبعضهم يوم القيامة، واستثنى الله المتقين؛ وذلك لأنه لم يجمعهم على الصحبة إلا تقوى الله ﷻ، والصداقة في طلب الله ليست لمصلحة أو المال أو المعصية كما جمعت غيرهم من الأصحاب، وكذلك صحبة المريد لشيخه في طريقه إلى الله تعالى، فلم يجمع المريدون مع شيوخهم إلا الصدق في طلب الله، والسعي إلى مرضاته.

د) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قيل: يا رسول الله، أي جلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله»[رواه أبو يعلى في مسنده].

هـ) عن أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[رواه أبو داود].

و) عن حنظلة ﷺ قال: لقيني أبو بكر ﷺ فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ وعافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا. قال أبو بكر ﷺ: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ....»[رواه مسلم].

فهذا الحديث يُبَيِّنُ كيف كانت مجالسة الصحابة لرسول الله ﷺ تؤثر فيهم، وتجلي بصائرهم، وترتفع بالأرواح إلى مستوى ملائكي، وتسمو بالإيمان إلى مستوى المراقبة،

وكذلك أيضًا مجالسة المربية، أو المعلمة الربانية، تزكي النفس، وتوقظ القلب، وتزيد الإيمان، وتسمو به.

٤ - من أقوال الصالحين في الصحبة:

أ) ابن القيم الجوزية[١]: «إذا أراد العبد أن يقتدي برجل، فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؛ فإذا كان الحاكم عليه الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطًا.. إلى أن قال: فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه؛ فإن وجده كذلك؛ فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله، واتباع السنة؛ فليتمسك بغرزه».

ب- الإمام الغزالي: «مما يجب في حق السالك طريق الحق أن يكون له مرشد ومربٍّ؛ ليدله على الطريق، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمودة»[٢].

وقال أيضًا: «لكن أكثر الخَلْقِ جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عين نفسه، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه، له أربعة طرق: الأولى: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات، وهذا شأن المريد مع شيخه، فيعرفه شيخه عيوب نفسه، ويعرفه طرق علاجها»[٣].

٥- بعض ثمار الصحبة الطيبة:

إن الإنسان عندما يختلط بالناس ويتعامل معهم يظهر له صحة ما هو عليه من الآراء والأفكار والأخلاق، وما يكنه في نفسه أخطأه.

وما ذلك إلا لأن الأصحاب كالمرآة، فالواحد منا عندما ينظر في المرآة يتبين له جمال شكله من قبحه، فعندما كان الأصحاب كالمرآة من حيث إنه بهم يكتشف الإنسان صحة ما هو عليه من خطئه، فتظهر له عيوب نفسه وأخطاؤها، قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ**»[أخرجه أبو داود]، و الْمُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كَالْيَدَيْنِ تُغَسِّلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، أي أن المؤمن

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص٥٣.
(٢) خلاصة التصانيف في التصوف، ص ١٨.
(٣) الإحياء: ٢/ ٥٥.

يجد خطأه في وجه أخيه المؤمن عندما ينكر عليه ذلك، وينصحه ويرشده إلى التخلص منه، من غير أن يكون بينهما بغض وحسد.

- والصديق الصالح يكون عونًا لصديقه على طاعة الله تعالى، فعن أنس بن مالك قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعالَ نُؤمِن بربِّنا ساعةً، فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن رواحة، يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ ابنَ رَواحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ المَجالِسَ الَّتي تَتَبَاهَى بِهَا المَلائِكَةُ»[رواه المنذري].

وعن أبي قلابة قال: التقى رجلان في السوق، فقال أحدهما للآخر: تعالَ نستغفر الله في غفلة الناس، ففعلا، فمات أحدهما، فلقيه الآخر في النوم، فقال: علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق.

- الفوز بظل الله يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي» [رواه مسلم].

- مكانة رفيعة في الآخرة، عن عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى»، قالوا: يا رسول الله ﷺ، تخبرنا من هم، قال: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»[رواه أبو داود].

- القرب من الله، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلَيْنِ تَحَابَّا فِي اللهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»[رواه الطبراني في الكبير].

- الفوز بمحبة الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافَوْنَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي»[رواه أحمد].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ

لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي الله ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». [رواه مسلم].

- رفع المنزلة، عن أبي ذر ﷺ، أنه قال: يا رسول الله ﷺ، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: «أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» [رواه أبو داود].

- الفوز بالجنة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي الله، نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً» [رواه الترمذي].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- »إذا أراد العبد أن يقتدي برجل، فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أم الوحي؟».

حاسبي نفسك، وقيمي أصحابك بهذا الميزان.

٢- وَجِّهي رسالة دعوية في المسجد أو الشارع أو عبر الإنترنت للأخريات عن الصحبة الصالحة، بحيث تكون الرسالة ممزوجة بمشاعرك وخواطرك التي تَكَوَّنت في هذه الحلقة.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- اذكري من الآيات أو الأحاديث ما يدل على:

- المرأة تتأثر بالصحبة الصالحة والسيئة.

- على المسلمة ملازمة الصالحات المخلصات.

- الصحبة الصالحة هي التي تدوم يوم القيامة.

٢- اذكري بعض ثمار الصحبة الصالحة.

٣- أكملي الحديث: أي جلسائنا خير؟...

* * *

(٢) تعميق الصلة بين الأصحاب
(الأخوة في الله)

من الطبيعي أن تزداد العلاقة بين الأصحاب عمقًا يومًا بعد يوم، وهذا أمر بديهي يتماشى مع الشرع، بل إن الشرع جعل لهذا العمق سقفًا عاليًا هو ما سماه: الأخوة.

١- مفهوم الأخوة في الله وشرعيتها:

الأخوة منحة قدسية، وإشراقة ربانية، ونعمة إلهية، يقذفها الله ﷻ في قلوب المخلصين من عباده، والأصفياء من أوليائه، والأتقياء من خلقه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣]، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آل عمران:١٠٣]، وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[متفق عليه].

الأخوة هي روح الإيمان، وباب المشاعر الرقيقة التي تكنها المسلمة لأخواتها، حتى إنها لتحيا بهن، وتحيا لهن، فكأنهن أغصان انبثقت من روح واحدة، أو روح واحدة حلت في أجساد متعددة.

والأخوة تجمع على التحابب في الله، والتعاون على تنفيذ أوامر الله تعالى، والدعوة إليه، وتحقيق العدل، وإسداء المعروف عن رغبة فيه، والتباذل في ذات الله، والإيثار عن سماحة رائعة، والمساواة بين الناس والأجناس، وتبادل الاحترام والحب، والاستئناس بمشاهدة الأخ ومجاورته وزيارته، إلى غير ذلك من فوائد.

والإخاء الصحيح إخاء العقيدة الخالصة لوجه الله، لا إخاء المنافع الزائلة، أو الغايات الدنيا.

٢- فضائل الأخوة في الله:

إن للأخوة فضائل جمة، البعض منها عاجلة، وأخرى تنالها صاحبتها الجزاء عنها في الآخرة.

أ- فضائل الأخوة في الدنيا:

- الإحساس بشعور واحد تجاه مآسي المسلمين في العالم.
- التعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التكافل والتناصح والتفاهم فيما بين الأخوات.
- الحب والتعارف بين جماعة المتحابات في الله.
- مجالسهن مرهونة بشرع الله، فلا خروج فيها عنه مما يحدث في كثير من المجالس من غيبة ونميمة وغير ذلك.
- التآلف بين القلوب؛ فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.
- توحد الرؤية والموازين والتصورات تجاه أحداث الدنيا.

إن صاحباتها هن المتذوقات لحلاوة الإيمان؛ لقول رسول الله ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[متفق عليه].

ب- الفضائل الأخروية:

- أن وجوههن نور، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى**»، قالوا: يا رسول الله ﷺ، تخبرنا من هم، قال: «**هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**»[رواه أبو داود].

- أنهن مغفورات الذنوب، فعن سلمان الفارسي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عنهُمَا ذُنُوبُهُمَا، كَمَا يَتَحَاتُّ الوَرَقُ اليَابِسُ مِنَ الشَّجَرِ فِي يَوم عَاصِفٍ»[رواه البيهقي في الشعب].

- إنهن في ظل عرش الرحمن، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[رواه مسلم].

- إنهن في كنف المحبة الإلهية، فعن معاذ ﷺ، قال النبي ﷺ: «قَالَ الله تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابين فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» [رواه مالك].

-إنهم في جنة الرضوان؛ لحديث الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي الله، نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً» [رواه الترمذي].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

الأخوة درجة أعلى من الصحبة، وهي العلاقة التي اختارها الإسلام للمجتمع المسلم.

١- حددي عددًا من الزميلات تريدين توثيق العلاقات معهن ليصرن من جملة الأخوات.

٢- أعدي برنامجًا عمليًّا مع أخواتك في الحلقة لتوسيع دائرة العلاقات.

٣- حددي شريحة من الناس لتوجيههم إلى معاني الأخوة، وحددي أيضًا الوسيلة الدعوية التي ستقومين بها لتوجيههم (رسالة إلكترونية، درس مسجدي، قافلة دعوية... إلخ).

ثالثًا: أسئلة التقويم:

١- أكملي: (إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء...).

(قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: وجبت محبتي...).

(إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين ...؟).

٢- اذكري بعض ثمار الأخوة في الدنيا.

٣- (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وضحي مفهوم الأخوة مستعينة بهذا الحديث.

(٣)

طرق تعميق العلاقة بين الأصحاب والأخوات

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

سنتناول في هذا الدرس حقوق الأخوة مضافة لحقوق الصحبة العامة، وبعض الوسائل العملية لتعميق روح الأخوة.

١ - حقوق الأخوة في الله:

المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، وإن أعباء الدنيا جسام، والإنسان وحده أضعف من أن يقف وحيدًا قليلاً تجاه هذه الشدائد، ولهذا وجدت حقوق الأخ تجاه إخوانه، ولابد من السعي لتحقيقها.

أ- **السعي لقضاء حوائج أخواتها**: لقول الرسول ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[متفق عليه]. والنماذج في ذلك من سير الصالحين أكثر من أن تُحْصَى، نذكر منها على سبيل المثال:

قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه، فجاءه بهدية، فقال ابن شبرمة: ما هذا؟ قال أخوه: لما أسديته إليَّ من معروف، قال ابن شبرمة: عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ لصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات، وعُدَّهُ في الموتى.

في عهد عمر بن الخطاب ﷺ أصاب الناس قحط وشدة، فكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل، عليها من ألوان الطعام واللباس قد حلت لعثمان ﷺ، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة، فقال لهم: كم تعطونني ربحًا؟ قالوا: خمسة في المائة، قال: إني وجدت من يعطيني أكثر، قالوا: ما نعلم من التجار من يدفع أكثر من هذا الربح، قال عثمان: إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر، إني وجدت الله

يقول: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦١]، أشهدكم - يا معشر التجار - أن القافلة وما فيها من بر ودقيق وزيت وسمن وثياب قد وهبتها لفقراء المدينة، وأنها صدقة على المسلمين.

ب- أن تحبي لأختك النفع: وتفرحي لوصوله إليها؛ فإن ذلك قربى لله بأزكى الطاعات؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ»[رواه الطبراني في الكبير].

ج- التناصر: لا تناصر العصبيات العمياء، ولكن تناصر المؤمنات لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وردع المعتدي، وإجارة المظلوم.

د- الوفاء والإخلاص: والوفاء والثبات على الحب في الله، وإدامته إلى الموت وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، وكلما انقطع الوفاء شمَتَ الشيطان.

و- العفو عن الزلات والهفوات، والتغاضي عن الأخطاء، وستر العيوب، وحفظ الغيبة: هفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية، أو في حقك بتقصير في الأخوة؛ لذلك يقول أبو الدرداء ﷺ: إذا تغير أخوك وحاد عمَّا كان عليه، فلا تدعه لأجل ذلك؛ فإن أخاك يَعْوَجُّ مرة، ويستقيم أخرى.

وعن أبي هريرة ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[رواه مسلم]، وفي رواية: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[رواه ابن ماجة].

ولله در من قال:

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا ... صديقك لم تلق الذي لم تُعاتبهْ
فعش واحدًا أو صِلْ أخاكَ فَإِنَّهُ ... مقارف ذنبًا تارةً ومُجانبهْ
ومن ذا الذي تُرْضَى سجاياه كلها ... كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبهْ

وهذا التغاضي عن زلة الأخت لا يمنع من نصحها على انفراد مراعية آداب

النصيحة، ولا يسقط واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إذا وقعت في الإثم؛ لأنه لا خير في أخوة المتآخيات في الله إن لم يتواصين بينهن بالحق، ولا وزن لهن عند الله إن لم يتناصحن في الله. ورحم الله من قال:

تعمدني بنصحك بانفرادِ وجنبني النصيحة في جماعةْ

فإن النصح بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعهْ

ز- من الحقوق العامة: إفشاء السلام- رد السلام- عيادة المريض- اتباع الجنائز- إجابة الدعوة - تشميت العاطس- إبرار القسم- نصرتها ظالمة أو مظلومة- النصح لها- التنفيس عن المكروبة- التيسير على المعسرة- الابتعاد عن الأذى كالحسد والتباغض والظلم، قال رسول الله ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[رواه مسلم].

وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» [رواه الترمذي].

وفي حديث ثالث يقول رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا» [متفق عليه].

٢- وسائل عملية لتعميق صلة الأخوة:

أ- أن تخبر الأخت بصدق عاطفتها تجاهها إذا أحبتها وتقول لها: إني أحبك بلسان الحال والمقال، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»[رواه أبو داود].

ب- أن تطلب الأخت من أختها الدعاء لها إذا فارقتها بظهر الغيب، فتقول لها: (لا تنسيني من صالح دعائك)، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة؛ فأذن لي، وقال: «لاَ تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ» [رواه أبو داود].

ج- الابتسامة عند اللقاء، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[رواه مسلم].

د- المبادرة بالمصافحة باليد، مع الضغط عليها ضغطًا يشعرها بالحب والعاطفة؛ لقول الرسول ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا» [رواه أبو داود والترمذي].

هـ مناداتها بأحب الأسماء إليها وبكنيتها (يا أم فلان).

و- الإكثار من زيارتها والسؤال عنها؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحابينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»[رواه مالك]، وعن ابن مسعود ﷺ، أنه قال لأصحابه حين قدموا عليه: هل تجالسون؟ قالوا: نترك ذلك، قال: هل تزاورون؟ قالوا: نعم، يا أبا عبد الرحمن، إن الرجل منا ليفقد أخاه فيمشي على رجليه حتى يلقاه، قال: لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك.[رواه الطبراني في الكبير].

ز- تهنئتها في المناسبات السارة، قال ﷺ: «مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ بِمَا يُحِبُّ لِيَسُرَّهُ؛ سَرَّهُ اللهُ (عز وجل) يَومَ القِيَامَةِ»[رواه الطبراني في الصغير].

ح- مشاركتها ومواساتها في الأحزان.

ط- الاهتمام بقضاء حاجاتها، قال ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». [رواه مسلم].

ي- تقديم الهدية إذا وُجِدت المناسبة، وبطريقة تشعرها بالحب والتقدير، قال ﷺ: «تَهادُوا تَحَابُّوا»[رواه البيهقي في الشعب].

ل- أن تفسح لها في المجلس.

ن- الدعاء لها بظهر الغيب، فعن أبي الدرداء (رضي الله عنه)، عن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»[رواه مسلم].

وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم.

كما أن الدعاء لأختك بمثابة الهدية لها في حياتها وبعد مماتها، لذلك قال بعض السلف: أين الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم بما قدَّمت وما صرتَ إليه، ويدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

ك- تنفيذ حقوق الأخوة كاملة كما سبق ذكرها.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- عمل ورد محاسبة لأداء حقوق الأخوة والحقوق العامة.

٢- الاتفاق معًا على دورة التزاور لاسيما تَفَقُّد الغائبات.

٣- أعدي هدية لتقدميها لواحدة بنية توطيد الصلة معها في الله.

٤- انشري- كيفما شئت- ما تعلمتِه اليوم عن الأخوة في الله.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- اذكري الحقوق العامة لكل مسلمة على أختها.

٢- هاتي من النصوص ما يدل على: الهدية تزيد المودة بين المسلمات.

المصافحة باليد مع السلام بين الأختين سبب لغفران الذنوب.

قضاء الحاجات من حقوق الأخوة.

٣- ماذا تفعلين تجاه أختك في المواقف التالية لتدللي على حبك لها:

حضرت الأخت متاخرة إلى الحلقة، وكل واحدة أخذت مكانها في الجلسة.

اعتذرت لك عن موعد لانشغالها بمناسبة عائلية.

لم تعد تتواصل مع الحلقة.

أُجْرِيَ لها عملية جراحية.

***

بعض الأخلاق والقيم الإسلامية

الجود والكرم

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الدرس قيمة الكرم من خلال العناصر التالية: معنى الكرم ومكانته، فضائل الكرم، أنواع من الجود سوى بذل المال، من أنواع الجود: الكرم بالعواطف، من روائع الكرم النبوي.

١ - معنى الكرم ومكانته:

الكرم هو البذل والعون والإنفاق ابتغاءَ مرضاه الله، وهو خلق من أخلاق النبي ﷺ، وهو الخلق النبيل الذي يدل على الشهامة والنجدة لمساعدة أصحاب الحاجات، وإدخال السعادة على الضعفاء والمعوزين، وتفريج كربهم.

والكرم والإنفاق من دلائل الإيمان، ويثاب فاعله، ويبارك له في رزقه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ومَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: ٣، ٤].

٢ - فضائل الكرم:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ الله، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ الله، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى الله «عز وجل» مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ»[رواه الترمذي].

ومن ينفق في سبيل الله يخلف الله تعالى عليه ما أنفقه، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» [رواه البخاري].

وقال أيضًا ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»[رواه مسلم]، وقال ﷺ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ»[رواه البخاري].

وتأملي هذا الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ»، قال الصحابي الذي يروي الحديث: ثم سمعته ﷺ يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»، فقال: سمعتك يا رسول الله تقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ»، ثم سمعتك تقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»، قال ﷺ: «لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»[رواه أحمد].

٣- أنواع من الجود سوى بذل المال:

لا يقتصر الجود على الأغنياء الذين وهبهم الله المال فقط، ولكن يستطيعه كل الناس بغض النظر عن قدراتهم المالية؛ وذلك لتعدد أنواع الجود، فقد عدد الإمام ابن القيم للجود عشرة أنواع:

١- الجود بالابتسامة.

٢- الجود بترك ما في أيدي الناس.

٣- الجود بالمال، وهو أشهرها.

٤- الجود بالراحة ليستريح الآخرون.

٥- الجود بالعلم ببذله لمن يسأل عنه.

٦- الجود بالنجاة، كالشفاعة إلى ذي السلطان.

٧- الجود بالصبر؛ ﴿والجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥].

٨- الجود بالعرض، كجود علي بن زيد حين تصدق بعرضه على من اغتابه من المسلمين.

٩- الجود بالرئاسة، كجود الحسن بن علي بالخلافة لمعاوية ليصلح بين المسلمين.

١٠- الجود بالنفس.

٤- من أنواع الجود: الكرم بالعواطف:

إن الخروج بالبخل والكرم من المعنى الحسي المادي إلى المعنى النفسي الواسع يفتح عالمًا رحيبًا ليس له حدود، عالم يصير الكرم والجود فيه هو كل خير تعطيه، ويصير البخل والشح فيه هو كل خير تمسكه أو تَضِنّ عن بذله، فمن أنواع الكرم أن تبذل العواطف الطيبة لمن حولك، فالعواطف نبع لا ينضب، وينبوع يملكه كل والدين نحو أولادهما، كما يملكه كل من الزوجين تجاه الآخر، بل يملكه كل ولد وبنت نحو الوالدين، ويملكه كل إنسان تجاه من حوله.

٥- من روائع الكرم النبوي:

- قال أنس مالك (ﷺ): كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ، وكانَ أجْودَ الناسِ، وكانَ أشْجَعَ الناسِ.[رواه البخاري].

- وعن أنس بن مالك (ﷺ) أيضًا، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فسأله، فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة.[رواه مسلم].

- ويقول رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا يَسُرُّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ وعِنْدِي مِنْهُ شَيْء، إلاَّ شَيْء أَرْصِدُهُ لِدَيْنٍ»[رواه البخاري].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

- احرصي على أن تنفقي في وجوه الخير والبرّ لمساعدة الفقراء والمحتاجين.
- أنفقي مما تملكين من مال أو طعام أو غير ذلك.
- اعتدلي في الإنفاق دون إسراف أو تقتير.
- اجتهدي أن يكون إنفاقك في السر حفاظًا على شعور المتصدق عليه.

- تجنبي المنّ.

- الاستمرار في النفقة حتى وإن أغضبك من تنفقين عليه.

- المبادرة بالعطاء دون انتظار لطلب أصحاب الحاجات.

- طلاقة الوجه وطيب اللقاء والبشر.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- وضحي معنى الكرم؟

٢- عددي فضائل الكرم.

٣- اذكري أنواع الجود.

٤- اذكري الأحاديث الدالة على الكرم.

* * *

العـــــزة

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الدرس الحديث عن قيمة العزة من خلال العناصر التالية: حقيقة قيمة العزة، بعض خصائص قيمة العزة ومصدرها، الوسائل التي تؤدي إلى العزة، نماذج من رموز العزة في الإسلام.

١- حقيقة قيمة العزة:

العزة في اللغة بمعنى: القاهرية، ومنه لقب عزيز مصر، والندرة، ومنه وصف القرآن: ﴿وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، وبمعنى المشقة؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[التوبة: ١٢٨].

وهذه المعاني تتفرع عن معنى الصلابة أو تتصل بها.

- وقيمة العزة التي ينبغي لنا التخلق بها تحمل معاني الصلابة والامتناع (في الحق).

- فالعزة تعني: ارتفاع المسلمة بنفسها ودينها وربها، قال تعالى: (ولله العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ ولَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) [المنافقون: ٨].

ويمكن تقسيم العزة إلى نوعين: ذاتية، وهي: عزة الله وحده، واكتسابية: وهي عزة المخلوق الذي اكتسب عزته من الله تعالى، وهي التي نعنيها في هذا الدرس.

٢- بعض خصائص قيمة العزة ومصدرها:

- العزة والإباء من أبرز الخلال والصفات التي ينادي الإسلام بها، ويحرص على غرسها في كل أفراد المجتمع المسلم، ولذا فإنه يتعهدها بالإنماء من خلال ما شرعه من عقائد وما سنَّه من تعاليم، ولذا نجد الحق (تبارك وتعالى) قد اختار اسمي العظيم

والأعلى من أسمائه الحسنى ليكررها المسلم في أثناء ركوعه وسجوده، فتتشرب روحه إفراد رب العالمين بالعلو والعظمة، ولا يذل نفسه لأحد إلا لله رب العالمين.

- وليس للعزة إلا مصدر واحد، فمن أراد العزة فعليه بالرجوع إلى هذا المصدر الوحيد، إنه الله جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- هذا الامتناع هو كبرياء الإيمان الذي يمنع المؤمن أن يصغر لسلطان أو يتصنع لذي مكانة، إنها العزة التي تجعله يترفع عن مغريات الأرض وأباطيل الحياة.

- وعلى المؤمنة في إطار العزة خفض جناح الذل لاثنين لا ثالث لهما، وهما:

أ- الوالدان: يقول تعالى: ﴿واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

ب- الإخوان في الدين: يقول تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهذا ذل الرحمة والكرامة والعزة والفوز بالجنة.

أذان لتكبير الله وحده:

علام يؤذن المؤذن خمس مرات كل يوم مناديًا بتكبير الله وحده في بداية الأذان ونهايته؟ ولماذا يتكرر هذا التكبير؟ لكي يوقن المسلم يقينًا لا يهتز ولا يزيغ أن كل متكبر بعد الله فهو صغير، وأن كل متعاظم بعد الله فهو حقير، فكأنما جُعل هذا النداء ليرد الناس إلى صوابهم كلما شغلتهم الدنيا، واختلطت عليهم المفاهيم.

٣- الوسائل التي تؤدي إلى العزة:

الإسلام عندما أوصى المسلم بالعزة هداه إلى أسبابها، ويسر له وسائلها، ومنها:

أ- **تقوى الله تعالى**: التقوى والإيمان سبيلان إلى العزة، إن العزة طاعة الله، والمؤمن الذي يعلم ذلك، ويعمل به، يأخذ نصيبه كاملاً في الحياة العزيزة.

ب- **التزام العبادات**: فمن ركع لله وسجد لله لا يذل نفسه إلا لخالقه، ويعيش عزيزًا مستمدًا عزته من ربه (سبحانه وتعالى).

ج- **عدم الاستكانة**: لَمَّا كان في النفس الإنسانية شيء من الضعف أو القلق ربما حملها على التذلل لمن يملك قضاء حوائجها؛ لذا علمنا رسول الله ﷺ ألا نستكين في هذه الأمور، وتبقى جباهنا عالية ونحن نسعى إلى ما نبغي، فقال ﷺ: «**اطْلُبُوا الحَوَائِجَ بِعِزَّةِ الأَنْفُسِ؛ فإِنَّ الأُمُورَ تَجْرِي بِمَقَادِيرَ**» [رواه العجلوني بسند ضعيف].

د- **حسن الصلة بالله (تبارك وتعالى) والثقة فيه**: إن الناس يذلون أنفسهم لواحد من أمرين: إما أن يصابوا في أرزاقهم، أو في آجالهم، والحق تبارك وتعالى قطع سلطان البشر تمامًا على الآجال والأرزاق جميعًا، فليس لأحد إليها من سبيل ﴿**وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ومَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

وعن ابن مسعود (ﷺ)، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»[رواه ابن ماجة].

هـ- الخوف من الموت: إن الخوفَ من الموت وتحمل العار طلبًا للبقاء في الدنيا على أية صورة حُمْقٌ، فإن الفرار لا يطيل أجلاً، والإقدام لا ينقص عمرًا، قال تعالى: ﴿**ولِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[الأعراف: ٣٤]، إن الأجل يصيب العزيز والذليل، فكن إنسانًا عزيزًا ما دمت لن تفلت من القضاء.

و- الإيمان بقدر الله تعالى والرضا به: إن اليقين الجازم بقدر الله تعالى والرضا به يذهب عن الإنسان الهم والحزن، ويقيه الذل لغيره من البشر، عن ابن عباس (ﷺ) قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» [رواه الترمذي].

٤- نماذج من رموز العزة في الإسلام:

- أبو بكر الصديق (ﷺ)، حينما أرادت بعض قبائل العرب منع الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، قام أبو بكر (ﷺ) عازمًا على قتالهم، فتكلم الصحابة مع الصديق (ﷺ) أن يتركهم وما هم عليه، فقال: وَالله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ.(متفق عليه)

- عمر بن الخطاب (ﷺ) لما أسلم (ﷺ) قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده، إنكم على الحق إن متم وإن حييتم»، قال: ففيم الاختفاء؟ فخرج المسلمون في صفين، عمر في أحدهما، وحمزة في الآخر.(أبو نعيم في دلائل النبوة)

- أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) كانت في الثمانين من عمرها، وكان ابنها عبد الله بن الزبير يقاتل الحجاج، فقتله الحجاج، وعلق جثته في مكة ثلاثة أيام، ثم ذهب إليها الحجاج وقال لها: أرأيت ماذا فعلتُ بابنِك؟ فردت عليه بكل عزة: «رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك» [رواه مسلم].

- جعفر بن أبي طالب (ﷺ) حينما هاجر المسلمون إلى الحبشة، وبعثت قريش عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص يحملان الهدايا إلى النجاشي، ويحملان رجاءها في أن يُخْرِجَ من بلاده المسلمين المهاجرين.

وعندما بعث النجاشي إلى المسلمين ليسمع منهم كان المتحدث الرسمي بلسان المسلمين سيدنا جعفر بن أبي طالب (ﷺ)، فقال: يا أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم

والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من ربه، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا.

فقام علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان وإلى ما كنا عليه من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نُظلم عندك. [رواه أحمد، وأبو نعيم في دلائل النبوة].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- الزمي مبدأ «إذا عزَّ أخوك فهُنْ» مع أخواتك.

٢- اسألي الله العافية من البلاء والابتلاء؛ حتى لا تذلي نفسك لأحد.

٣- التزمي في أداء ما عليك من واجبات؛ حتى لا تضعي نفسك في موضع إحراج، ولا تعرضي نفسك للذلة.

٤- الثقة بالله والاعتماد والتوكل عليه وحده يزيدك عزة واحترامًا.

٥- اليقين بأن الأجل والرزق بيد الله وحده، فلا تخافي فوات الرزق أو حلول الأجل.

٦- لا تتنازلي عن دعوتك ولا مبادئك خوفًا من أحد؛ فإن الأمور تجري بقدر الله.

٧- استشعري أن الحجاب تاج عزتك، وادعي قريناتك له من منطلق هذا المبدأ.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- وضحي حقيقة ذل العباد لربهم وثمرته.

٢- اذكري الآيات والأحاديث الدالة على العزة.

٣- حددي مصدر عزة المسلمين.

٤- عددي الوسائل التي تؤدي إلى العزة.

٥- اذكري نماذج من رموز العزة في الإسلام.

* * *

المحور الثالث

الدعوي والحركي

البـــاب السابع

واحـــــة المعرفة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فيقول الرسول الكريم ﷺ: «مَنْ لمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيسَ مِنْهُمْ»

[رواه الطبراني في الأوسط].

وهذا يعني ضرورة أن يكون المسلم إيجابيًّا غير سلبي، متعاونًا ومحبًّا للآخرين غير أناني؛ إذ إن الإسلام دين الجماعة، ولقد حذرنا الحديث الشريف من الفرقة عندما قال نبينا الكريم: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ»

[رواه الترمذي].

يقول المولى (ﷻ): ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: من الآية:٧١].

فالمسلم الحق دومًا حريص على استقامة المجتمع من حوله؛ لأنه عنصر فيه يتأثر به ويؤثر فيه، فإذا كان يريد الخير لأمته والنصر لدينه، فلابد وأن يهتم بأمور المسلمين، خاصة أننا نعيش في عصر كثر فيه الفساد والتخبط والانحلال الخلقي، وهذا يتطلب من كل منا ضرورة استشعار المسئولية الفردية تجاه الإسلام، والعمل من أجله، بعبارة أخرى نقول: إن إرشاد المجتمع اليوم أصبح فريضة شرعية، وضرورة اجتماعية؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومن أجل ذلك حرصنا في هذا الباب على أن نوضح النقاط التالية:

- الغاية من الخلق.
- شرعية الاهتمام بأمور المسلمين.

- أن أعيش للإسلام.

باعتبار أن دراسة وفهم هذه الأفكار تعينك على أداء رسالتك، والقيام بدورك في تغيير المجتمع والارتقاء به إلى المثالية الواقعية.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

أهداف الباب:

١- إدراك علاقة الإسلامية بمصدريه الكتاب والسنة.

٢- التعرف على مكانة المرأة في الإسلام.

٣- الإيمان بوجوب العمل للإسلام.

٤- نشر الدارسة هذه المفاهيم في المجتمع.

٥- تطبيق الدارسة لهذه المفاهيم في واقع الحياة.

* * *

الدرس الأول

حياة المسلمة للإسلام

إذا كان انتمائي للإسلام يفرض عليَّ أن أعيش الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقًا، أعيشه في نفسي وبيتي وأهلي، فإنه يفرض عليَّ كذلك أن أوجه حياتي، كل حياتي، من أجله، وأن أسخر كل طاقتي وإمكاناتي لما يعزز سلطانه، ويرفع بنيانه.

١- اختلاف الناس في اهتماماتهم ومقاصدهم في الحياة:

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة **«إلى أي شيء ندعو الناس»** :

إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها؛ فبين أن قومًا همهم من الحياة الأكل والمتعة، فقال (تبارك وتعالى): ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وبيَّن أن قومًا آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل، فقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وبيَّن أن قومًا آخرين شأنهم في الحياة إيقاد الفتن، وإحياء الشرور والمفاسد، أولئك الذين قال فيهم الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

٢- ارتفاع اهتمام المسلمة عن هذه المقاصد، وحياتها للإسلام:

ويقول الإمام أيضًا: تلك مقاصد من مقاصد الناس في الحياة نزَّه الله المؤمنين عنها،

وبرأهم منها، وكلفهم مهمة أرقى، وألقى على عاتقهم واجبًا أسمى، ذلك الواجب هو: هداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام.

حيث يعتبرون الدنيا مزرعة الآخرة، وهؤلاء هم المؤمنين حقًّا، الذين يدركون حقيقة هذه الحياة كما يدركون قيمة الدنيا من الآخرة: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالمنتمون إلى الإسلام بحق يعتبرون الدنيا ميدان تنافس على طاعة الله ورضاه، حياتهم كلها (علمهم- تجارتهم- أموالهم- بيوتهم- أوقاتهم- أذهانهم)، مسخرة في هذا السبيل، بعكس أولئك الذين يسخرون كل شيء من أجل الأهواء والشهوات.

ولقد أشار الإمام حسن البنا إلى هذا المعنى، فقال في رسالة **«إلى أي شيء ندعو الناس»** : فبربك عزيزي: هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى، فسمت نفوسهم، ورَقَّتْ أرواحهم، وتحرروا من رق المادة، وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء، وترفعوا عن سفاسف الأمور، ودنايا المقاصد، ووجهوا وجوههم لله الذي فطر السموات والأرض حنفاء يعلون كلمه الله، ويجاهدون في سبيله، وينشرون دينه، ويذودون عن حياض شريعته، أم هم أسرى الشهوات، وعبيد الأهواء والمطامع، كل همهم لقمة لينة، ومركب فاره، وحلة جميلة، ونومة مريحة، وامرأة وضيئة، ومظهر كاذب، ولقب أجوف.

رضوا بالأماني، وابتلوا بحظوظهم، وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»**. [رواه البخاري].

٣- كيف تعيشين للإسلام؟

كي تكون حياتكِ موجهة في طريق الإسلام، ومن أجل الإسلام، لابد من إدراك جملة أمور والالتزام بها:

- إدراك الغاية من الحياة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]،

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧].

- إدراك قيمة الدنيا من الآخرة: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، ولقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ وقف يومًا على مزبلة، ونادى أصحابه قائلاً: «هلموا إلى الدنيا»، ثم أخذ خرقة قد بلِيتْ، وعظامًا قد نخِرتْ، وقال: «هذه الدنيا»[رواه البيهقي في الشعب].

ورُوي أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه رأى يومًا شاة ميتة قد رماها أصحابها، فالتفت إلى أصحابه قائلاً: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا» [رواه ابن ماجة].

وقال ﷺ: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلاَ يَزْدادُ النَّاسُ على الدُّنيا إلاَّ حِرْصًا، ولاَ يَزْدادُونَ مِنَ الله إلاَّ بُعدًا» [رواه الحاكم].

- إدراك حتمية الموت والاتعاظ به: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

ولقد رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ». [رواه البيهقي في الزهد الكبير].

- إدراك حقيقة الإسلام: وذلك بالتفقه والتعلم، ومعرفة أصوله وأحكامه وحلاله وحرامه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: من الآية ١١٤]، ويقول الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [رواه الطبراني في الكبير].

- إدراك حقيقة الجاهلية: وذلك بالتعرف على أفكارها ومذاهبها ومخططاتها، واكتشاف مثالبها وعيوبها، وإدراك أخطارها وأضرارها؛ ليأمن مكرها، وليأخذ العدة اللازمة لمكافحتها ومحاربتها، فمن تعلم لغة قوم أمن مكرهم.

٤- صفات اللاتي يعشن للإسلام:

إنني حين أعيش للإسلام لابد وأن تتسم حياتي بسمات وقسمات تميزها عن حياه سائر الناس، من ذلك:

- الالتزام العملي بالإسلام؛ ذلك أن الإيمان ليس بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

- تقصي مصلحة الإسلام؛ لقوله ﷺ: «... دُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ»[رواه الطبراني في الكبير]، وقوله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ» [رواه الطبراني في الأوسط].

- الاعتزاز بالحق والثقة بالله: وهذه صفة من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، وقال أيضًا: «وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٣٩]. ويروى أن المهاجرين من المسلمين الذين التجئوا إلى الحبشة فرارًا بدينهم دخلوا على النجاشي، فابتدرهم من عنده من القسيسين والرهبان أن اسجدوا للملك، فقال جعفر بن أبي طالب (ﷺ)، وكان على رأسهم: نحن قوم لا نسجد إلا لله.

- التزام العمل للإسلام، والتعاون مع العاملين: ذلك أن انتمائي للإسلام يفرض عليَّ أن أعمل للإسلام، أن أعمل له ضمن جماعة، وأن أتعاون مع العاملين غيري في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الفرد المسلم، والبيت المسلم، والمجتمع المسلم، والدولة الإسلامية، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (متفق عليه)، و: «يَدُ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ»، و: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ»[رواه أبو داود]، وقوله: «الْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ»[أخرجه الحارث بن أبي أسامة في البغية]، وقوله: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ والفُرْقَةُ عَذَابٌ» [أخرجه ابن أبي عاصم في السنة].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

العاقلة من تجعل في حياتها رسالة تعيش لها، وتسعى لتحقيقها، فتكون ذكرًا لها بعد مماتها.

فحددي- بالاستعانة بأخواتك- رسالتك في الحياة من خلال الإجراءات التالية:

١- ضعي أمامك عددًا من النماذج الناجحة من العاملات للإسلام.

٢- تخيري- مستعينة بالله- المثال الأنسب لك.

٣- حددي خطة بسيطة تتكون من الأهداف التي تريدين تحقيقها والوسائل.

٤- التزمي بلقاء أخواتك؛ فإنه أعظم وسيلة تعينك على العمل للإسلام.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- حددي غايات الحياة ومقاصد الناس كما ذُكرت في القرآن.

٢- عددي الأمور التي يجب أن تلتزمي بها لكي تعيشي للإسلام.

٣- اذكري صفات من يعشن للإسلام.

* * *

الدرس الثاني
العمل للإسلام واجب شرعي

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول في هذا الموضوع توضيح المقصود بالعمل للإسلام، والوجوه التي تؤكد وجوب العمل للإسلام، وهي على النحو التالي: وجوب العمل للإسلام مبدأً، ووجوبه حكمًا، ووجوبه ضرورة، كما نبين أن العمل للإسلام واجب فردي وجماعي على حد سواء.

١ - ماذا نعني بالعمل للإسلام؟

علمنا في الدرس السابق أن المؤمنة ترتقي عن غيرها برقيّ رسالتها، وهي: هداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام.

والعمل للإسلام يكون بالسعي لإيجاد الشخصية التي تمثله عقيدة وأخلاقًا، ولإيجاد المجتمع الذي يلتزم به فكرًا وسلوكًا، ولإيجاد الدولة التي تطبق شريعته منهجًا ودستورًا، وتحمله دعوة هادية لإقامة الحق والعدل في العالمين.

هذا العمل وما يحتاج إليه ويتصل به ويتفرع عنه واجب إسلامي شرعي.

٢- وجوه وجوب العمل للإسلام:

أولاً: وجوب العمل للإسلام مبدأً:

فالعمل للإسلام واجب مبدأً؛ لأنه مناط تكليف الله للبشر جميعًا للأنبياء والمرسلين أولاً، ثم للناس أجمعين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأدلة ذلك:

من القرآن:

١. قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر ١-٣].

٢. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

٣. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ومن السنة المطهرة:

ما رُوِيَ عن الرسول ﷺ من أحاديث تحض على الدعوة إلى الحق، ومكافحة الباطل، منها قوله: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» [رواه مسلم]، وقوله: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلاَ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» [رواه ابن ماجة].

ثانيًا: وجوبه حكمًا:

العمل للإسلام واجب حكمًا؛ لأن تعطيل حاكمية الله في الأرض، وهيمنة النظم والتشريعات الوضعية على المجتمعات البشرية يفرض على المسلمين العمل لإقامة المجتمع الإسلامي والحياة الإسلامية، وتعبيد الناس لله في معتقداتهم وأخلاقهم ونظمهم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

فإذا كان تحقيق المجتمع الإسلامي والحكم بما أنزل الله واجبًا بذاته، فيصبح العمل لإقامته وإيجاده واجبًا حكمًا؛ بدليل القاعدة الشرعية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

ثالثًا: وجوبه ضرورة:

العمل للإسلام واجب بالضرورة لمواجهة تحديات العصر، ومؤامرات أعداء الإسلام؛ لوقف الموجات المادية الإلحادية التي تهدد الوجود الإسلامي بالانحسار والزوال. إن نظرة واحدة إلى الأوضاع التي تعيشها أقطار العالم الإسلامي تؤكد ضرورة قيام مجابهة إسلامية، بل وتجعل القيام بذلك تكيفًا شرعيًّا لا يجوز القعود عنه، أو التهاون

فيه؛ فهناك أقطار تشكو من سيطرة غير المسلمين عليها وتحكمهم فيها؛ كفلسطين وكشمير وإريتريا وقبرص وبخارى، وفضلاً عن كل هذا، فإن أقطار العالم الإسلامي جميعًا تعيش حالة ضياع وفوضى سياسية، وفوضى اجتماعية، وفوضى اقتصادية، وتعيش تدهورًا مريعًا في الأخلاق والقيم، كما في الأفكار والمعتقدات، كل ذلك وغيره يؤكد وجوب العمل لمواجهة هذه التحديات التي يواجهها الإسلام، سواء من الاستعمار والقوى الدولية في الخارج، أو من المتعاونين معه بالداخل.

٣- العمل للإسلام واجب فردي وجماعي:

١. إن مسئولية العمل للإسلام من حيث هي واجب تكليفي شرعي تعتبر مسئولية فردية، شأنها شأن كل الواجبات والمسئوليات الشرعية الأخرى التي يترتب على القيام بها الثواب، كما يترتب على تركها العقاب: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[المدثر:٣٨]، و: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[مريم: ٩٥]، و: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]. ومن هنا كان وجوب العمل للإسلام فرديًّا كتكليف شرعي، وواجب إسلامي، وإذا كان العمل للإسلام واجبًا فرديًّا من هذا الجانب، فهو واجب جماعي من حيث مسئوليته الحركية، وهذا ما تؤكده وقائع وحيثيات غير قابلة للجدل أساسًا، ومن ذلك:

- أن تكاليف العمل للإسلام أكبر من أن يتصدى لها إنسان بمفرده، فالعمل للإسلام يستهدف هدم الجاهلية، وإقامة الإسلام مكانها، وهذا يتطلب من التكاليف والإمكانيات والجهود ما يعجز عن القيام بأعبائه فرد؛ بل لا يقوى على النهوض به مع الجهد والمكابدة والمعاناة إلا تنظيم حركي يكون في مستوى المواجهة وعيًا وتنظيمًا وقدرة.

- أن عمل الرسول ﷺ في مواجهة الجاهلية، وإقامة المجتمع الإسلامي، واستئناف الحياة الإسلامية دليل شرعي على وجوب الجماعية في العمل للإسلام، فالرسول لم يعتمد أسلوب العمل الفردي فقط، وإنما حرص من أول يوم على إقامة جماعة كان يختار عناصرها اختيارًا، وينتقى أفرادها انتقاءً؛ لتكون أداة الإسلام في عمليه التغيير.

- ثم أن طريق العمل للإسلام مفروشة بالأشواك، محفوفة بالمحن؛ فالتحديات التي تعترض السبيل كبيرة، والقوى التي تتربص بالإسلام وأهله كثيرة، وهذا ما يفرض وجود تنظيم حركي عريض كيفًا وكمًّا؛ لمواجهة كل مراحل العمل وظروفه واحتمالاته، وفي ثنايا الآيات القرآنية إشارات ودلالات واضحة- وكذلك الأحاديث النبوية- تؤكد ضرورة أن يكون العمل للإسلام جماعيًّا وحركيًّا ومنظمًا، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

من جاهد فإنما يجاهد لنفسه:

إن أول ما يتوجب على العاملين للإسلام أن يدركوه بعمق أنهم هم المحتاجون إلى الإسلام، وأنهم يعملون ويجاهدون ويكابدون لتزكية ذواتهم، وتطهير نفوسهم، وتأدية بعض حقوق الله عليهم، فليحتسبوا ذلك عند الله يوم تزيغ الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر.

فهم الرابحون إن أقبلوا، وهم وحدهم الخاسرون إن أدبروا: ﴿ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

كما أن عليهم أن يدركوا أن قيمتهم الحقيقية تكون بالإسلام، ولا قيمة لهم من دونه؛ فهم عندئذ: ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾(الفرقان: من الآية ٤٤)، وإن الكرامة الحقيقية، والعزة الحقيقية لا يمكن أن يتحقق إلا بالمشاركة في مسيرة الإسلام، وبالاستمرار في هذه المشاركة، وأن «مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ»[رواه الترمذي]، وإن من احتوته المسيرة بحق فقد اتصل بأشرف نسب، وارتبط بقافلة الهداة: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

كما أن على العاملين للإسلام أن يدركوا أن البقاء في المسيرة شرط للثبات؛ «فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ»[رواه أبو داود]، والمجتمع الذي تموج فيه الفتن كقطع الليل المظلم لا يمكن أن يعيش فيه دون التأثر بملوثاته من كان بعيدًا عن الذكرى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، أو بعيدًا عن التناسق والتواصي بالحق والصبر: ﴿ وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر]؛ فلابد من العيش في رحاب أسرة الإيمان، ولابد من الالتحاق

بمسيرة الرحمن، والعيش في كنفها دائمًا وأبدًا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

كما أن على العاملين للإسلام أن يدركوا أنهم إنما يعملون لله، ويجاهدون في سبيله، وأن هذا الطريق طويل وشاق، وأن الجنة حفت بالمكاره، وأن النار حفت بالشهوات.

إنه طريق لا يقوى على السير فيه من كانت خطرات النسيم تجرح خديه، ولمس الحرير يدمي بنانه، وإنه طريق لا يقوى على السير فيه من يخاف الغد على رزقه وحياته، وإنه طريق لا يقوى على السير فيه صاحب المزاج والهوى، وضيِّق الصدر، وخائر القوى، ومن لا يصبر على كلمة، فضلاً عن ملمة، والمعتد برأيه، والذي لا يدري أنه لا يدري، والذي يشق عليه النزول عند حكم المجموعة والالتزام برأي الجماعة، إنه طريق التطهر والتعفف والتنظف، طريق المرحمة والمكرمة، طريق المثابرة والمرابطة، طريق التجرد والسمو، طريق الصدمة والإخلاص، وإن طريقًا هذه مواصفاته لا يمكن أن يثبت عليه غير المؤمنين المعلقة قلوبهم بواحد أحد، الناظرة نفوسهم إلى فرد صمد: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- التزمي بلقاء أخواتك؛ فإنه أعظم وسيلة تعينك على العمل للإسلام.

٢- تابعي مع أخواتك تنفيذ رسالتك في الحياة سالفة الذكر في الدرس السابق.

٣- إعداد ورقة مشتركة بين الأخوات حول وجوب عمل المرأة للإسلام لدعوة الآخرين لهذا الجانب.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- ما المقصود بالعمل للإسلام؟

٢- اذكري الأدلة الشرعية على وجوب العمل للإسلام من الكتاب والسنة.

٣- ما المقصود بالعمل للإسلام على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة؟

الدرس الثالث
شرعية الاهتمام بأمور المسلمين وأهميته

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

يشتمل هذا الدرس على عنصرين، هما: شرعية الاهتمام بأمور المسلمين، أهمية الاهتمام بأمور المسلمين.

١- شرعية الاهتمام بأمور المسلمين:

إن الاهتمام بشئون المسلمين وأمورهم من أهم الأمور التي يقوم عليها الدين؛ فالرسول ﷺ يقول: «مَنْ لمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيسَ مِنْهُمْ» [رواه الطبراني في الأوسط].

وقال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» [رواه مسلم]. وقد قال بعض السلف: إن هذا الحديث هو ربع الدين.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لاَ يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا- ويشير إِلَى صدره ثلاث مراتٍ- بحَسْب امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلم عَلَى الْمُسْلم حَرَامٌ؛ دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ» [رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «لاَ يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لنَفْسِهِ» (متفق عليه)، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» [رواه مسلم].

يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) مؤكدًا هذا المعنى:

ليس الإسلام رابطة تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب، ولكنه جملة الحقائق التي تقرر العلاقة الصحيحة بين الناس وربهم، ثم بين الناس وبعضهم، ومن ثم فأصحاب الإسلام وحملة رسالته يجب أن يستشعروا جلال العقيدة التي شرح الله بها صدورهم، وجمع عليها أمرهم، وأن يولوا التعارف عليها ما هو جدير بها من عناية وإعزاز، وبذلك يصير الدين الخالص أساس أخوة وثيقة العرى تؤلف بين أتباعه في مشارق الأرض ومغاربها، وتجعل منهم على اختلاف الأمكنة والأزمنة وحدة راسخة الدعامة، سامقة البناء لا تنال منها العواصف الهوج.

وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي، ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم، ويحيى لهم؛ فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة، أو روح واحد حلت في أجساد متعددة.

٢- أهمية الاهتمام بأمور المسلمين:

إن الأثرة الغالبة آفة الإنسان، وغول فضائله، وإذا سيطرت نزعتها على امرئ محقت خيره، ونمَّت شره، وحصرته في نطاق ضيق خسيس لا يعرف فيه إلا شخصه، ولا يهتاج بالفرح أو الحزن إلا لما يمسه من خير أو شر، أما الدنيا العريضة والألوف المؤلفة من البشر فهو لا يعرفهم إلا في حدود ما يصل إليه عن طريقهم ليحقق آماله، أو يثير مخاوفه!

من حق أخيك عليك أن تكره مضرته، وأن تبادر إلى دفعها، فإن مسه ما يتأذى به شاركته الألم، وأحسست معه بالحزن، أما أن تكون ميت العاطفة، قليل الاكتراث لأن المصيبة وقعت بعيدًا عنك، فالأمر لا يعنيك، فهذا تصرف لئيم، وهو مبتوت الصلة بمشاعر الأخوة الغامرة التي تمزج بين نفوس المسلمين، فتجعل الرجل يتأوه للألم ينزل بأخيه، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»** [رواه البخاري].

والتألم الحق هو الذي يدفعك دفعًا إلى كشف ضوائق إخوانك، فلا تهدأ حتى تزول غمتها، وتدبر ظلمتها، فإذا نجحت في ذلك استنار وجهك، واستراح ضميرك.

إن أعباء الدنيا جسام، والمتاعب تنزل بالناس كما يهطل المطر على الخصب والجدب، والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلاً تجاه هذه الشدائد، ولئن وقف إنه لباذل من الجهد ما كان في غنًى عنه لو أن إخوانه هرعوا لنجدته، وظاهروه في إنجاح قصده، وقد قيل: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهير له في السراء والضراء، وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى المؤمنين تساندها، وتشد أزرها، قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» ثم شبّك بين أصابعه. [متفق عليه].

ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة المضاعفة، لا نعمة التجانس الروحي فحسب، بل نعمة التعاون المادي كذلك، وقد كرر الله (عز وجل) ذكر هذه النعمة مرة ومرة في آية واحدة: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن القاعدة التي تُسوَّى بها الصفوف تسوية ترد المتقدم إلى مكانه، وتقدم المتأخر عن أقرانه هي الأخوة، فإذا نشب نزاع أو حدث هرج ومرج طبقت قوانين الإخاء على الكافة، ونفذ حكمها، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات:١٠].

والاتحاد قوة، وليس في شئون الناس فقط، إنه قانون من قوانين الكون، فالخيط الواهي إذا انضم إليه مثله أضحى حبلاً متينًا يجر الأثقال، وهذا العالم الكبير ما هو إلا جملة ذرات متحدة!

وقد شرح حكيم لأولاده هذا المعنى عند وفاته ليلقنهم درسًا في الاتحاد، قدّم إليهم حزمة من العصي قد اجتمعت عيدانها، فعجزوا عن كسرها، فلما انفك الرباط، وتفرقت الأعواد؛ كسرت واحدًا واحدًا.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا ... وإذا افترقن تكسرت آحادا

ولو عقل المسلمون أحوالهم في هذه المرحلة العصيبة من تاريخهم؛ لأحسوا أن ما

لحقهم من عار يعود إلى انحلال عراهم، وتفرق هواهم.

إن الهجوم الصليبي المعاصر والهجوم الصهيوني الذي جاء في أذياله لم ينجحا في ضعضعة الدولة الإسلامية، وانتهاب خيرها إلا عقب التمهيد لذلك بتقسيم المسلمين شيعًا منحلة واهية، ودويلات متدابرة يثور بينها النزاع، وتتسع شقته لغير سبب، وسياسة الغرب في احتلال الشرق وتسخيره تقوم على قاعدة (فَرِّقْ تَسُدْ).

إن الإسلام حريص على سلامة أمته، وحفظ كيانها، وهو لذلك يطفئ بقوة بوادر الخلاف، ويهيب بالأفراد كافة أن يتكاتفوا على إخراج الأمة من ورطات الشقاق... وأعداء الإسلام يودون أن يضعوا أيديهم على شخص واحد ليكون طرفًا ناتئًا يستمكنون منه، ويجذبون الأمة كلها عن طريقه[١].

- كما أن الاهتمام بأمر المسلمين والتراحم فيما بينهم من لوازم الإيمان، فإن من أهم صفات المؤمنين أنهم رحماء بينهم، يقول الحق (سبحانه وتعالى) واصفًا ذلك الطراز الرباني سيدنا محمد ﷺ وصحابته (رضوان الله عليهم جميعًا): «مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.. ﴾ [الفتح: ٢٩].

والرحمة بين المؤمنين ليست وليدة أمزجة أو موروثات عصبية أو اجتماعية، ولكنها وليدة الإيمان الذي يوجه المشاعر والعواطف، ويعلم الشخص الواحد متى يكون شديدًا؟ ومع من؟ ومتى يكون رحيمًا؟ ومع من؟

كما تتبوأ الرحمة مكانة عليا في أخلاق الإسلام، وهي كذلك في خلق الفرد، وحياة الجماعة، فهي صفة لن يتم الإيمان إلا بها، قال ﷺ: «لَنْ تُؤْمِنُوا حتَّى تَرَاحَمُوا» [رواه الطبراني]، وهي طريق إلى رحمة الله، قال ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ» (متفق عليه)، وفي رواية: «مَنْ لاَ يَرْحَمْ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللهُ» [رواه مسلم].

وفي الحديث المشهور: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» [رواه الترمذي]، وغيابها طريق الشقاء، قال ﷺ: «لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِيٍّ» [رواه البخاري].

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- عمل برنامج داخل الحلقة لتوجيه جهودنا للعمل على نشر دعوة الإسلام، ونصرة أهله، كأن نقوم بالتالي:

- متابعة النشرات الإخبارية من مصدر أو أكثر موثوق به.
- الدعاء للبلاد والشعوب الإسلامية، لاسيما المنكوبين.
- البحث عن الهيئات والمنظمات التي تعمل لخدمة المسلمين ونشر الإسلام، وأخذ دور معهم في هذا العمل الجليل.

٢- الاستفادة من الدعاة العظام وعلى رأسهم محمد ﷺ؛ لمعرفة الطريق العملي لنصرة الإسلام.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- وضحي شرعية الاهتمام بأمور المسلمين.

٢- اذكري بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث المسلم على الاهتمام بأمر المسلمين.

٣- اسردي بعض المواقف من سيرة وحياة الصالحين على مر العصور التي تظهر اهتمامهم بأمور المسلمين.

٤- اذكري بعض المواقف التي عايشتها، والتي رأيتِ فيها اهتمام أصحابها بأمور المسلمين.

٥- وضحي أهمية الاهتمام بأمور المسلمين.

٦- اذكري موقفًا عمليًّا يوضح اهتمامك بأمور المسلمين، والأثر الذي ترتب على هذا الموقف.

* * *

الدرس الرابع

المؤامرات ضد المسلمين

«جذورها في الماضي وشواهدها في الواقع»

يَدْمَى قلب كل من يتابع أخبار المسلمين في هذا العصر؛ فما من بقعة في الأرض إلا وتتفجر بدمائهم، وتزهق فيها أرواحهم، وتنتهك حرماتهم بلا هوادة، وما أصدق الشاعر وهو يصف هذه الحال باكيًا:

فَـأَنَّى التفـتَ فحـقٌّ سَـليبٌ ... وأَنَّى أصخْتَ فرجع النَّحيب نحيبُ
وأَنَّـى سريـتَ فـدربٌ مريـبٌ ... وصـد عجيـب ولـؤم رهيـبُ
أسـير رهـين صروف الزمـانِ ... وأشـعر أني وحيـد غريـبُ

وما أبلغ الشاعر الآخر وهو يؤكد أن هذا الحال أمسى وقفًا على المسلمين وحدهم دون سواهم، فيقول:

قـد اسـترد السـبايا كـل منهـزم ... ولم تبـقَ في أسرهـا إلا سـبايانا
ومـا رأيـت سـياط الـذل داميـةً ... إلا رأيـتَ عليهـا لحـم أسرانـا

ورغم كل هذا، فإن المسلمين يوصفون في عالم اليوم بأنهم (محور الشر)، (ومصدر الإرهاب)، وأسُّ البلاء، ومظنة كل ريبة على أحسن تقدير!! مفارقة عجيبة لا تخطئها عين، تشير إلى صراع مرير بعضه ظاهر، وأكثره خفي مثل جبال الثلج العائمة.

ولا عجب في ذلك؛ فهو الصراع الأزلي الأبدي بين الحق والباطل، طرفاه هما:

حزب الله: وهم عباد الرحمن وأولياؤه بقيادة الرسل الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام، قال الله (عز وجل) عنهم: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وحزب الشيطان: وهم عباد الشياطين وأولياؤهم بقيادة إبليس (عليه لعنة الله).

قال الله (عز وجل) عنهم: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول هذا الدرس في إطار العناصر التالية: جذور الصراع (المؤامرة ضد الإسلام، الصراع بين رسل الله والمكذبين من أقوامهم، صور المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام في حياة النبي ﷺ، صور المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام بعد عهد النبوة.

١- بداية الصراع (جذور المؤامرة):

ففي الملأ الأعلى بدأ الصراع مبكرًا حين استكبر إبليس (لعنه الله) عن السجود لأبينا آدم عليه السلام، فطرده الله من رحمته؛ فأقسم بعزة الله ليغوينه وذريته، قال تعالى على لسان إبليس (لعنه الله): ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤-١٧].

فالصراع بين الكفر والايمان صراع قديم قدم البشرية، وطويل طول الحياة، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وصراع مرير؛ لأنه صراع الأضداد ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وعلى مر العصور، وفي كل قوم يتخذ الشيطان لنفسه أولياء من بعض الإنس والجن يجندهم، ويشكل منهم جيشه الذي يهاجم به المؤمنين، ويجهزهم بأساليبه وحِيَله، قال (سبحانه وتعالى): ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ

إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

٢- صراع الرسل وأتباعهم مع المكذبين من قومهم:

وقد تحدث عنه القرآن الكريم في حوالي ثلث آياته وقصصه، مما يشير بقوة إلى أهمية الوعي بتاريخ ذلك الصراع وخطورته وسننه، قال الله (عز وجل): ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

فهذا إبراهيم (عليه السلام) يدعو قومه إلى الهدى ونبذ عبادة الأوثان، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وهذا موسى (عليه السلام) يتحدى فرعون بالحق، ولا يبالي بالموت ما دام في سبيل الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٣-٢٥].

وهكذا كان شأن الكافرين مع أنبياء الله ورسله أجمعين جاء وصفهم في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧][(١)].

٣- الصراع ضد الإسلام في حياة النبي ﷺ وأصحابه (رضوان الله عليهم):

ظهرت دعوة الإسلام من جديد في عالم يتنازعه قوى عظمى: الفرس في الشرق، والروم في الغرب، كما ظهر في مجتمع كانت الولاية فيه لغير الله إنما يدين بالولاء للأصنام

(١) قوارب النجاة، فتحي يكن.

والكهان والقوة.

وجاء الإسلام ليعلن الولاية لله الحق، فوقفت (قريش) حجر عثرة في الطريق، وحاولت حصار الدعوة في مهدها، وأنزلوا بالمؤمنين أشد ألوان الابتلاء.

أ- **قبل الهجرة:**

كانت المؤامرة على الإسلام مقتصرة أو محصورة في مشركي قريش، واستمرت على مدى ثلاثة عشر عامًا، ومن صور هذا الصراع:

١- السخرية والاستهزاء: قصدوا به تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبي ﷺ بتهم هزيلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، ويصمونه بالسحر والكذب: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]، كما أخبر (سبحانه وتعالى) عن سخريتهم بالمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٣].

٢- والمساومات والمفاوضات: التي حاولوا بها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، فكان الرد عليهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون]. وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

٣- التشويه، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة: فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٤، ٥].

وقالوا عن الرسول ﷺ: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ

الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

٤ - المقاطعة والحصار الاقتصادي: حيث اجتمعت قريش في خيف بني كنانة من وادي المحصب، فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق: [ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل].

واستمر حصار المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، حتى بلغ بهم الجهد، والتجئوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع[١].

٥ - الإيذاء والإخراج من الأرض: قال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٦].

٦ - التربص بالمسلمين، ومحاولة الوقيعة بينهم وبين مَن يُؤْوُنَهم خارج مكة: كما حدث في هجرة الحبشة الأولى والثانية، عندما أرسل مشركو مكة عمرو بن العاص - ولم يكن أسلم حينئذ - لتأليب النجاشي على المسلمين، وتسليمهم لقريش.

٧- التنكيل ومحاولات القتل: قال (عز وجل): ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

عن الخباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟! فَقَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ

---

(١) الرحيق المختوم، المباركفوري.

اللهَ، أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[رواه البخاري].

ب- وبعد الهجرة:

أما بعد الهجرة فقد اتسعت دائرة الصراع، وتنوعت صوره، ودخلت فيه قوى متعددة كلها كارهة للإسلام، وهي:

- اليهود:

وعداوتهم السافرة للإسلام والمسلمين، وللرسول ﷺ خاصة، لا مثيل لها، نكشف عنها في الحديث الذي دار بين حيي بن أخطب- زعيم يهود بني النضير- وأخيه أبي ياسر، عندما شاهدا الرسول ﷺ عند وصوله إلى المدينة:

قال أبو ياسر لحيي بن أخطب: أهو هو؟ (يقصد هل تأكدت من صفاته كما وردت في التوراة؟)، قال حيي: نعم، قال أبو ياسر: فما نويت فيه؟ قال: عداوته ما بقيت!!

بالإضافة إلى دورهم المحوري في تأليب المشركين والأعراب على المسلمين في غزوة الأحزاب، فقد خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكة يحرضونهم على مهاجمة الرسول ﷺ، ويوالونهم عليه، ويعدونهم بالنصر، ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشًا، فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد على قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، وكانت غزوة الأحزاب.

وقد تواصلت مؤامراتهم في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر [يشار إلى مزيد من المواقف عند دراسة السيرة المطهرة بالتفصيل].

بالإضافة إلى الفتن التي أشعلوها بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي تظاهر بالإسلام، وقاد الصراع الماكر ضد الإسلام في عهد سيدنا عثمان وسيدنا علي بن أبي طالب، مما أدى إلى قتلهما غدرًا، وتقاتل المسلمون، وانفتحت أبواب الفتن والفرقة والخلافات على مصارعها على المسلمين، والتي لا زالت تعصف بالمسلمين حتى اليوم.

- المنافقون: ففي حياة الرسول ﷺ كان المنافقون لا يألون جهدًا، ولا يتركون فرصة للإيقاع بالمسلمين إلا استغلوها، حتى إن القرآن الكريم اختصهم بسورة من سوره

(سورة المنافقون)؛ ليلفت المؤمنين إلى شدة خطرهم على الجماعة المسلمة.

وبرز دورهم المثبط المتآمر بعد غزوة بدر في مواطن كثيرة، من أخطرها: غزوة أحد- بنو النضير- غزوة الأحزاب- بني المصطلق (حادثة الإفك)- غزوة تبوك- مسجد الضرار.

- **الأعراب:**

الذين أحسوا بخطورة وجود دولة الإسلام القائمة على الحق والعدل؛ مما يشكل تهديدًا لسلطانهم القائم على السلب والنهب، فقادوا الصراع ضد الإسلام في مواطن كثيرة، منها: بعث الرجيع- بئر معونة- غزوة الأحزاب- غزوة حنين.

- **القوى الخارجية:** متمثلة في الفرس والروم، وقد أحسا بخطورة الإسلام على سلطانهما القائم على العبودية لغير الله، فقادا المؤامرة ضد الإسلام في غزوة مؤتة وغزوة تبوك.

- **خطر مشركي مكة:** الذي ظل قائمًا حتى تم فتح مكة بعد أن قادوا المؤامرة ضد الإسلام في: غزوة بدر- أحد- الأحزاب- الحديبية.

٤- الصراع ضد الإسلام بعد عصر النبوة إلى العصر الحديث:

بعد انتصارات باهرة للإسلام في عهد النبوة والخلفاء الراشدين وصدر الدولة الأموية، وانطلاق المسلمين في شرق العالم وغربه، وتحرير شعوبه من العبودية لغير الله، ودخول أهل هذه البلاد في الإسلام طواعية- ومعظمها مستعمرات رومانية سابقة- لما وجدوا في الإسلام من مساواة وحرية وعدل وتوازن وتوافق مع الفطرة، وقيم إنسانية رفيعة، بالإضافة إلى حسن معاملة الفاتحين لهم.

لمَّا حدث ذلك اعتبرت الجاهلية الشرقية والغربية هذا خسارة كبيرة يستحق عليها الإسلام كل حقد وكراهية، فجابهت الإسلام في أحداث كبرى عظيمة الدلالة، عميقة الأثر على طريق الصراع بين الحق والباطل، هي:

- **الحروب الصليبية:** لم تكن الحروب الصليبية كما يحب أن يصورها مزورو التاريخ ناشئة عن مجرد أطماع اقتصادية في الشرق العربي (الأرض التي تفيض بالعسل واللبن)،

كما يحلوا لهم أن يسموها، وإنما كانت حربًا دينية في المقام الأول، تهدف إلى ضرب الإسلام، ووقف انتشاره تحت راية الدين المسيحي، وتحت شعار الصليب، متخذة من دعوى اضطهاد الحجاج المسيحيين في أرض الإسلام، وإنقاذ المدينة المقدسة حجة زائفة، أو (حربًا عادلة) كما يحبون أن يسموها؛ فقد كان السيف الذي يحمله الصليبي مباركًا من الكنيسة، باعتباره جنديًّا في جيش المسيح.

لقد بدأت أحداث الحركة الصليبية الفعلية في السابع والعشرين من نوفمبر ١٠٩٥م، بالخطبة التي ألقاها البابا أوربان الثاني ١٠٨٨ – ١٠٩٩م، وكانت الدعوة التي وجهها هي شن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين في فلسطين، بزعم حماية الحجاج المسيحيين للقدس من بطش المسلمين، الذين صورتهم الدعاية الكنسية في صورة الكفار المتوحشين، فقال: (لست أنا ولكن الرب هو الذي يحثُّكم؛ باعتباركم قساوسة المسيح، أن تسارعوا لاستئصال شأفة هذا الجنس الشرير من أرضنا)، ويقول أيضًا: (إنه سوف يتم غفران ذنوب كل أولئك الذاهبين إلى هناك، سواء في مسيرتهم على الأرض، أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين «المسلمين»...).

وعلى الرغم من الفشل النهائي الذي منيت به الحركة الصليبية، فإنها تحولت بمرور الوقت تحت تأثير وسائل الإعلام الاستعمارية إلى مثال برّاق يوحي بالشجاعة والتضحية بالنفس في سبيل المثل الأعلى.

لقد كانت الحروب الصليبية سببًا رئيسًا من أسباب تعطل قوى الإبداع والنمو في الحضارة العربية والإسلامية؛ فبعد نهاية النضال ضد الصليبيين دخلت المنطقة العربية في منحنى التدهور والأفول، الذي ابتدأ بتوقف النمو العلمي والحضاري في نهايات العهد العثماني، ثم وصل هذا التوقف الحضاري إلى نهايته المحتومة، التي أدت إلى حالة الاستعمار والتبعية التي لا نزال نعانيها حتى اليوم؛ إذ إن أحدًا لا يمكن أن يتجاهل أن الحملات الصليبية ضد الشرق العربي الإسلامي كانت أولى المشروعات الاستعمارية الأوروبية، التي سبقت مرحلة الاستعمار الحديث، فضلاً عن أنها كانت إلهامًا للتجربة الصهيونية ذات الأهداف الاستيطانية العنصرية المتمثلة في إقامة دولة إسرائيل.

- غزو التتار: في أواخر القرن الثاني عشر، انطلقت قبائل المغول البربرية بقيادة أحد زعماء قبائلها، الذي سَمَّى نفسه باسم «جنكيز خان»؛ لتعيث في الأرض فسادًا.

يقول الشهيد سيد قطب: (عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين في بغداد وقعت المأساة الدامية التي سجلتها الروايات التاريخية، والتي نكتفي فيها بمقتطفات سريعة من تاريخ «البداية والنهاية» لابن كثير، فيما رواه من أحداث عام ٦٥٦هـ: (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والوِلْدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون. وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار، إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة- فإنا لله وإنا إليه راجعون- كذلك في المساجد والجوامع، ولم ينجُ منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومَن التجأ إليهم [ذلك أن اليهود والنصارى من أهل الذمة كانوا ممن كاتب التتار لغزو عاصمة الخلافة، والقضاء على الإسلام والمسلمين فيها، وممن دلُّوا على عورات المدينة، وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة، واستقبلوا التتار الوثنيين بالترحاب؛ ليقضوا لهم على المسلمين الذين أعطوهم ذمتهم، ووفروا لهم الأمن والحماية]... وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة، فقيل: ثمانمائة ألف، وقيل: ألف ألف، وقيل: بلغت ألفي ألف نفس- فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... ولما انقضى الأمر المقدر، بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وانتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدَّى وسرى في الهواء على بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو، وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون).

هذه صورة من الواقع التاريخي حينما ظهر التتار على المسلمين، فلم يرقبوا فيهم إلًّا ولا ذمة. فهل كانت صورة تاريخية من الماضي البعيد الموغل في الظلمات اختص بها التتار

من ذلك الزمان؟.

كلا! إن الواقع التاريخي الحديث لا تختلف صوره عن هذه الصورة!)[1].

- **سقوط الأندلس:**

يقول الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس في كتابه أربعون سببًا لسقوط الأندلس: (مضت خمسمائة سنة ميلادية الآن (١٤٩٢ - ١٩٩٢م) على سقوط غرناطة، وعلى طرد المسلمين من سائر شبه جزيرة أسبانيا (الأندلس الإسلامية)، ولم يلتفت المسلمون إلى معطيات هذا الدرس.. بل لم يقفوا عنده!!

والدرس كله منذ فتح أسبانيا على يد المسلمين بربرًا وعربًا سنة ٩٣هـ (٧١٠م)، وحتى سقوط غرناطة، آخر المعاقل الإسلامية سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢م)، لم يدرس وفق سنن الله الكونية والاجتماعية في قيام الأمم وسقوطها، بل حوله العرب بخاصة، والمسلمون بعامة، إلى صفحة من المجد والازدهار يتغنون بأمجادها في كتب التاريخ المدرسي، التي يغلب عليها الابتسار والتلفيق!!

وكان من نتيجة هذا الضعف ظهور تلك العوامل العامة التي رصدها العلامة المؤرخ أبو عبد الله محمد جعفر الكناني في كتابه (نصيحة أهل الإسلام): وقع اختلاف كلمة المسلمين فيما بينهم، وتشيعوا أحزابًا في داخل الأندلس المسلمة المحاطة بالأعداء، وأهملوا الاستعداد الحربي، بل تركوا الجهاد كله، وأصبحت المعارك بعيدة عن معاني الجهاد، فهي في الخارج معارك دولة لا دعوة، وهي في الداخل صراع على السلطة، أو معارك للاستعلاء العنصري.

وقد أسندت الأمور إلى غير أهلها في شئون الدين والدنيا، ووضع أهل الولاء والثقة في المناصب بدلاً من أهل الكفاية والأمانة، وقد وقعت الموالاة للكفار، والمعاداة للمسلمين؛ خضوعًا للمصالح والأهواء، واتبعت عوائد الكفار وتقاليدهم وقوانينهم حذوك النعل بالنعل، وأصبح الحكام وبطانتهم وعمالهم جبابرة ظالمين، فانهارت الشورى، وانهارت العدالة، وكثر الاشتغال باللهو والطرب وتبديد الأموال، وبناء القصور،

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب.

وأصبح التجاهر بالمنكرات شائعًا، كما خفت صوت الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأصبح القرآن والسنة الشريفة غريبين عن أهل الأندلس، فابن عذارى المراكشي يحكي لنا صورة من صور عصر الطوائف- أي على مشارف القرن الخامس الهجري، وقبل أن تسقط الخلافة الأموية سقوطًا رسميًا- يذكر فيها أن أهل قرطبة بلغ من استخفاف بعضهم بالإسلام في الفتنة التي وقعت أيام ابن عبد الجبار- أن رجلاً نصرانيًا وقف في أعظم شوارع قرطبة، فنال من النبي ﷺ بألفاظ نابية، فلم يكلمه أحد من المسلمين بكلمة، فقال رجل من المسلمين غيرة للنبي: ألا تنكرون ما تسمعون؟ أما أنتم مسلمون؟! فقال له جماعة من أهل قرطبة: «امش لشغلك».

- وهكذا أثمرت الشجرة الخبيثة ثمارها المرة، شجرة الانفلات من الإسلام، والذهول عن سنن الله في بقاء الأمم، وانتهت الأمور إلى غايتها، فتداعت الأندلس منذ عصر الطوائف وسقوط طليطلة، وحتى سقوط غرناطة، التي بقيت هذه المدة تقاوم السقوط بعظمة الإسلام وجهاد بقية من الصالحين، حتى حقت كلمة ربك على الأندلس حقًا وعدلاً. وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم. ولله عاقبة الأمور).

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

١- الحرب على الإسلام دائمة.

٢- نشرح للناس ونبين لهم ذلك من خلال كتب التاريخ الصادقة.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- وضحي جذور الصراع (المؤامرة ضد الإسلام).

٢- اكتبي الآيات التي توضح عداء الشيطان للإنسانية منذ خلق آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة.

٣- اذكري بعض الآيات التي تدل على الصراع بين رسل الله والمكذبين من أقوامهم.

٤- وضحي صور المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام في حياة النبي ﷺ.

٥- وضحي صور المؤامرة (الصراع) ضد الإسلام بعد عهد النبوة إلى العصر الحديث.

الدرس الخامس

الصراع ضد الإسلام في العصر الحديث

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

نتناول موضوع الصراع ضد الإسلام في العصر الحديث من خلال العناصر التالية: استمرار الصراع ضد الإسلام، أنواع الصراع ضد الإسلام في العصر الحديث، نبذة عن قضية فلسطين.

١ - استمرار الصراع ضد الإسلام:

استمرارًا لمسلسل الصراع ضد الإسلام، ومع وجود نفس الأعداء (الشيطان واليهود والمنافقين...) وجدنا مِن رحم اليهودية الحاقدة خرجت مبادئ وأفكار معادية للإسلام (كالصهيونية والماسونية والروتاري والليونز...)، وولدت فرقًا هدامة للإسلام (كالبابية والبهائية والقاديانية...)، وفي كنف النصرانية المشوهة ترعرعت (العلمانية والاستشراق والتغريب...) وإن تنوعت أساليب المؤامرة وصورها، وازدادت شراسة المؤامرة، واتسعت مجالاتها، وتطورت أساليبها، وفاقت كل أساليب الصراع ضد الإسلام في جميع العصور السابقة خبثًا وتعقيدًا وخفاءً وتطورًا، كشأن كل شيء في هذا العصر.

وإن اختلفت تلك المسميات، وتعددت تلك الفرق إلا أنها يجمعها هدف واحد هو المعاداة للإسلام، والسعي للقضاء عليه، وتشويه صورته بشتى الأساليب، والهيمنة على مقدّرات المسلمين وإذلالهم، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال (سبحانه وتعالى): (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ..) [آل عمران: ١١٨]. وقال (سبحانه وتعالى) أيضًا: «وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٢ - أنواع الصراع ضد الإسلام في العصر الحديث:

ودار الصراع في خمسة مجالات رئيسية، وهي:

الصراع

الفكري — الأخلاقي — الاقتصادي — السياسي — العسكري

أخبثها وأعمقها أثرًا (الصراع الفكري).

أظهرها وأعلاها صوتًا (الصراع العسكري).

وبينهما تدور رحا حرب ضروس (أخلاقيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا).

﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أولاً: الصراع الفكري:

نقطة تحول كبرى في تاريخ الصراع:

فبعد أن قهر المسلمون أشرس الغزاة، وأخطر التحديات العسكرية من:

* الصليبيين الحاقدين بعد صراع استمر قرابة مائتي عام (من ٤٨٩ هـ حتى ٦٩٠هـ) أو (من ١٠٩٦م حتى ١٢٩١م).

* والتتار الذين كسر المسلمين شوكتهم في عين جالوت، ثم هداهم الله للإسلام، فأصبحوا قوة ضاربة مدافعة عن الإسلام والمسلمين في وسط آسيا وشرقها [ووجود الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثًا عن روسيا وتركستان الشرقية المسلمة في الصين دليل على جهودهم]، وحيث إن المواجهة السافرة مع المسلمين في الميدان العسكري لم تفتّ في عضد الإسلام والمسلمين، حيث كانت صيحة (وإسلاماه) تجد الاستجابة في كل الديار في العالم الإسلامي، فقد فكَّر قادة الغرب الصليبي في نقل الصراع مع المسلمين من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر [نُسب هذا القول إلى لويس التاسع، ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة والأخيرة، بعد أسره في دار ابن لقمان بالمنصورة].

فبدأت الدوامة الخبيثة: الاستشراق – التبشير (التنصير) – الاستعمار – التغريب –

التبعية- العولمة...)؛ بهدف إبعاد المسلم عن دينه نهائيًّا، وزعزعة العقيدة في نفسه، وتنحية سلطان الدين عن المجتمع، وتشرذم الأمة كلها؛ ليمكن التغلب عليها بتجزئتها، وأكلها قطعة قطعة بسهولة، وهذا ما نجني ثماره المرة الآن!.

وكان لهذا الصراع أهداف متعددة، واتخذ في سبيل تحقيقها وسائل متنوعة، نكتفي هنا بالإشارة إليها إجمالاً:

أهداف الصراع الفكري	أخطر وسائله
تشويه الإسلام تزوير التاريخ تزوير الواقع القضاء على وحدة الأمة الفكرية والثقافية	١- التعليم. ٢- الإعلام (الصحافة والمجلات والإذاعة والتليفزيون...). ٣- الفنون والثقافة (الكتاب- السينما....). ٤- الاستشراق والتبشير.

ثانيًا: الصراع الأخلاقي:

قام الصراع الأخلاقي بين الإسلام والغرب على أساس من تشويه الإسلام وحضارته- التي سعدت بها الدنيا قرابة ألف عام- وإلصاق كل نقيصة بها، وسلب كل ميزة فيها، وفي المقابل تعظيم حضارة الغرب المادية، ومحاولة فرض عاداته وتعاليمه على عالمنا الإسلامي، تلك الحضارة الغربية التي سخرت كل شيء في سبيل المتع والشهوات على حساب القيم الروحية والأخلاقية، وأسوأ ما في هذه الحضارة اللاأخلاقية هو ازدواج المعايير، والكيل بمكيالين. يبدو هذا بوضوح عند مقارنة تعامل الغرب مع قضاياه وقضايا العالم الإسلامي أو العالم الثالث.

- فمثلاً نجد الغرب يقيم الدنيا ولا يقعدها على هدم أصنام أفغانستان، ولا يعبأ بقصف ٨٠٠ أثر إسلامي في البوسنة، وما يفعله (حراس الهيكل) من جمع تبرعات (بابري)، ولا يعبأ بموت ٤٠٠ طفل يوميًّا من البرد في أفغانستان، ولا تبديدها طوال

عشرين عامًا من الحروب، وزرعها بالمخدرات، ثم يولول على أصنام أفغانستان!

نجد العالم الغربي أصبح مهمومًا بمشكلات انقراض وحيد القرن، وحيوان (اللاما)، والفيل الأبيض، ودب (الباندا)، وتجمد المياه حول الحيتان...

• هذه الحضارة الطامعة التي أخمدت في الشعوب نيران حربين عالميتين حركتها الأطماع غير المشروعة في بلدان الآخرين، وهي حضارة لها معطيات تتناقض مع القيم الخلقية في كل دين؛ كالربا، وإباحة شرب الخمر، وإباحة الزنى والشذوذ بنصوص القوانين أو بالأعراف. هذه الحضارة المريضة تريد أن تهيمن بقيمها (وأخلاقها) على العالم، خصوصًا الإسلامي.

من صور الصراع الأخلاقي:

- إشاعة مناخ من الإثارة الغريزية لشغل الشباب، واستنفاد طاقته، وتصريف انفعالاته وهمّته بعيدًا عن أي قضايا جادة؛ ليبقى خارج الصراع على أقل تقدير من خلال [التليفزيون والمسرح والصحافة والمجلات...إلخ].

- تشجيع الاختلاط غير المنضبط، وترسيخه في عقول ووجدان الشباب والبنات، وكأنه حق مكتسب لابد أن يغتنموا نصيبهم فيه.

- هدم مقومات الشخصية القوية في الشباب بإشاعة قيم: انعدام الطموحات– السلبية– الخوف– الأنانية– السطحية– الهزلية– عدم الانتماء...إلخ.

- إشاعة روح اليأس والإحباط من خلال:

• إبراز رموز فنية ورياضية تافهة- على أقل تقدير– لتكون قدوات للشباب.

• حرمان الشباب من الممارسة السياسية الجادة لأي دور حقيقي، إلا إذا كان مؤيدًا مرضيًّا عنه، في رسالة مؤداها: قولوا ما تشاءون، وسنفعل نحن ما نشاء.

ثالثا: الصراع الاقتصادي:

هدفه: السيطرة على المقدرات الاقتصادية للعالم الإسلامي بكل صورها الأولية

والصناعية والحيوانية والزراعية و... حتى المياه العذبة، بحيث يظل العالم الإسلامي في حاجة إلى الغرب لتوفير حاجاته المادية؛ ليعيش من ثم في ذلة وعجز عن أن يقوم بأمر نفسه في هذه الضروريات الحياتية، فضلاً عن السلاح الذي يقاوم به عدوًّا معتديًا، بحيث يسهل فرض القرار السياسي عليه، والتحكم في إرادة الأمة بأسرها بعد ذلك.

إن سياسية الغرب هي أن تمنع العالم الإسلامي بكل الوسائل، الظاهر منها والخفي، من أن ينتج ما يكفيه، أو يجعله غير محتاج للغرب، ويبقى فقط سوقًا كبيرًا للإنتاج الغربي.

رابعًا: الصراع السياسي:

ويهدف إلى منع قيام أي نظام حكم يتخذ من الإسلام منهجًا، ومن شريعته قانونًا، ويحاربونه- لو قام- بكل ما أوتوا من قوة من ممارسة الحكم بالإسلام في ظل ظروف عادية؛ حتى لا تتاح للنظام الإسلامي فرصة النجاح في أي مكان.

ومن وسائلهم في ذلك:

أ- إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين: وتصوير الإسلام على أنه الخطر الأكبر الداهم الذي يهدد الغرب وحضارته، ويوشك أن يقتلع الاستقرار والأمن من العالم كله، والملحظ الهام الجدير بالتأمل أن هذه التهمة للإسلام تُوظَّف حيث يريد الغرب أن يحقق مصالحه ومصالح إسرائيل.

ب- التعاون الوثيق بين الصليبيين الجدد والصهيونية لضرب الإسلام والمسلمين: إذ المعروف بين الناس أن الصليبيين واليهود بينهما عداوات تقليدية قديمة، وكثيرًا ما اصطدما، غير أنهما دائمًا يتحالفان ويتعاونان ويتقاربان كلما كان العدو المشترك بينهما هو الإسلام والمسلمين.

إن تاريخنا وتاريخهم شاهد صدق على ذلك في عديد من المواقف في التاريخ القديم والوسيط والحديث.

وأوضح ما يكون هذا التعاون بين اليهود والصليبيين ما هو واقع اليوم من إنشاء إسرائيل في فلسطين، ومدها بالمال والسلاح المطور والخبراء، ويشير إلى هذا التعاون ما

جاء في لقاء (رابين وكلينتون) في (واشنطن)، من أن إسرائيل ستقوم بالنيابة عن الغرب- كأن الغرب بعيد عن المنطقة العربية بنفوذه وقواعده العسكرية- بصد تيار الأصولية الإسلامية عن العالم كله، بوصفها هجمة بربرية جائحة لو تُرِكتْ لقضت على العالم كله.

وذلك نوع من البحث لإسرائيل عن وظيفة بديلة عن وظيفتها السابقة التي كانت تَدَّعِيها دول الغرب، وهي صد تيار الشيوعية يوم كانت هناك شيوعية.

ج- العمل على تجفيف منابع العمل الإسلامي: والمقصود بالمنابع كل ما له علاقة بتنمية الوعي أو الحركة أو الصحوة أو التمسك بمنهج الإسلام في الحياة، مثل: المدارس الإسلامية، والجمعيات الخيرية، والمستوصفات الخدمية، وخطباء المساجد المؤثرين، والكتاتيب الإسلامية.. وغيرها.

فهم يحاولون القضاء على هذه المنابع تحت شعاراتهم المملة، مثل: الأصولية الإسلامية، والتطرف الإسلامي، والإرهاب الإسلامي، وأكثرهم يعلم أن الإسلام لا يمكن أن يوصف بهذه الأوصاف، وكل ذلك حتى لا يؤدي العمل للإسلام في يوم من الأيام لقيام حكم إسلامي.

خامسًا: الصراع العسكري:

لقد هان دم المسلم وعرضه في شتى بقاع الأرض، فهناك تصفية جسدية للمسلمين أفرادًا وجماعات، وهناك مصادرة للثروة، وتطبيق سياسة الحصار والإفقار والحرمان، وهناك هدم المساجد، وإغلاق الكتاتيب، ومنع التعليم الديني، وهناك الصلب على جذوع الأشجار، وإشعال النار في الكبار والصغار، وحرق قرى وأحياء كاملة بما فيها من إنسان وحيوان، كما يحدث في الهند إلى اليوم وحتى هذه اللحظة، ومثلما يحدث في الفلبين وكشمير والشيشان وفلسطين من إبادة للمسلمين أمام كل ذي عينين.

وفي العصر الحالي يتخذ الصراع العسكري شكلاً آخر:

* اصطناع الخلافات والحروب بين البلدان الإسلامية، واتهام بعضها بالإرهاب لضربها عسكريًّا، وتلك خطة قديمة في الحروب الصليبية، وإلى أن تحالفوا حديثًا مع

اليهود، وعملوا على إسقاط دولة الخلافة في تركيا، ثم تعاونوا على إنشاء إسرائيل على أرض فلسطين، ولا يزالون يصطنعون هذه الخلافات، وتلك الحروب، ويرددون تهم الإرهاب.

وهم يحققون من وراء ذلك أرباحًا ومكاسب نشير إلى بعضها فيما يلي:

أولاً: تفريق كلمة المسلمين وإضعاف شوكتهم.

ثانيًا: تشويه صورة الإسلام والمسلمين الذين يتعادون لأتفه الأسباب.

ثالثًا: تسويق أسلحتهم بأموالنا، والمضي في تطويرها، والسيطرة على اقتصادنا.

رابعًا: التمكين لمخططاتهم المعادية في بلدان العالم الإسلامي بأيدينا وبأموالنا!

٣- نبذة عن قضية فلسطين:

هي القضية المحورية للصراع في هذا العصر الذي نعيش فيه، وهي قضية المسلمين جميعًا، أرض المسلمين (فلسطين)، ومقدسات المسلمين (المسجد الأقصى)، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله ﷺ، يعيث فيها اليهود أعداء الإنسانية فسادًا وخرابًا ودمارًا وتدنيسًا، ولهذه القضية تاريخ طويل مرير نعرج عليه سريعًا:

تبنت بريطانيا المشروع الصهيوني فأصدرت في نوفمبر ١٩١٧م وعد بلفور؛ لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتمكنت من إتمام احتلالها لفلسطين في سبتمبر ١٩١٨م، وتنكرت لوعودها للعرب في أثناء الحرب العالمية الأولى بالحرية والاستقلال، وقسمت دوائر النفوذ في بلاد الشام والعراق بينها وبين فرنسا، وفق اتفاقيات سايكس بيكو في مايو من العام ١٩١٦م، التي خططت لجعل فلسطين منطقة دولية، ثم إن بريطانيا استأثرت بفلسطين وفق اتفاقيات سان ريموه في إبريل من العام ١٩٢٠م، وتمكنت من إدماج وعد بلفور في صك انتدابها على فلسطين، الذي قررته عصبة الأمم في يوليو من العام ١٩٢٢م.

فتحت بريطانيا خلال احتلالها لفلسطين ١٩١٨ حتى ١٩٤٨م الأبواب للهجرة اليهودية، فتضاعف عدد اليهود من ٥٥ ألفًا سنة ١٩١٨م إلى ٦٤٦ ألفًا سنة ١٩٤٨م، أي من ٨٪ من السكان إلى ٣١٪، كما دعمت تملُّك الأراضي، فتزايدت ملكية اليهود للأرض

من ٢٪ إلى ٧, ٦٪ من أرض فلسطين، تسربت إلى اليهود في الغالب من الحكم البريطاني، أو من أيدٍ غير فلسطينية، وتمكن شعب فلسطين- رغم قسوة الظروف والمعاناة- من الصمود في أرضه طوال ثلاثين عامًا، محتفظًا بأغلبية السكان ٦٩٪، وبمعظم الأرض ٩٣, ٣٪.

ثم تمكن اليهود تحت حماية القوات البريطانية من بناء مؤسساتهم الاقتصادية والسياسية والتعليمية والعسكرية والاجتماعية، وفي سنة ١٩٤٨م كانوا قد أسسوا ٢٩٢ مستوطنة، وكونوا قوات عسكرية من الهاجاناه والأرجون واشتيرن يزيد عددها عن ٧٠ ألف مقاتل، واستعدوا لإعلان دولتهم.

رغم أن المؤامرة على فلسطين كانت أكبر بكثير من إمكانات الشعب الفلسطيني، إلا أنه رفض الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني، وطالب بالاستقلال، وقامت التيارات الوطنية والإسلامية، بزعامة الشيخ أمين الحسيني، بالتعبئة الشعبية والثورات العارمة، فكانت ثورات القدس ١٩٢٠م، ويافا ١٩٢١م، والبراق ١٩٢٩م، وأكتوبر ١٩٣٣م، وحركة الجهاد بقيادة الشيخ عز الدين القسام ومنظمة الجهاد المقدس.

وتحت ضغط الثورة الكبرى (من ١٩٣٦م حتى ١٩٣٩م) اضطرت بريطانيا في مايو ١٩٣٩ - بسبب بدء الحرب العالمية الثانية وحاجتها لمساعدات العرب في الحرب- إلى أن تتعهد بقيام الدولة الفلسطينية خلال عشر سنوات، وأن توقف بيع الأرض لليهود بعد خمس سنوات، ولكنها تنكرت لالتزاماتها في نهاية ١٩٤٥م مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعادت الحياة للمشروع الصهيوني من جديد، ولكن برعاية أمريكية.

في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية (نحو ٥٤٪ للدولة اليهودية، و٤٥٪ للدولة العربية، و١٪ منطقة دولية «منطقة القدس»).

وقرارات الجمعية العامة ليست قرارات ملزمة حتى ضمن مواثيق الأمم المتحدة نفسها، والقرار نفسه مخالف للأساس الذي قامت عليه الأمم المتحدة، وهو حق الشعوب

في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها.

ثم إن الشعب الفلسطيني المعنيّ أساسًا بالأمر لم تتم استشارته ولا استفتاؤه، فضلاً عن الظلم الفادح في إعطاء الأقلية اليهودية الدخيلة المهاجرة الجزء الأكبر والأفضل من الأرض.

إعلان قيام الدولة الغاصبة:

أعلن الصهاينة دولتهم «إسرائيل» في مساء يوم ١٤ مايو ١٩٤٨م، وتمكنوا من هزيمة الجيوش العربية التي مثلت نموذجًا لسوء القيادة، وضعف التنسيق، وقلة الخبرة، ووقوع عدد منها تحت النفوذ الاستعماري، واستولى الصهاينة على نحو ٧٧٪ من أرض فلسطين، وشردوا بالقوة ٨٠٠ ألف فلسطيني خارج المنطقة التي أقاموا عليها كيانهم، من أصل ٩٢٥ ألفًا كانوا يسكنون في هذه المنطقة، ودمروا ٤٧٨ قرية فلسطينية، من أصل ٥٨٥ قرية كانت قائمة في المنطقة المحتلة، وارتكبوا ٣٤ مجزرة.

أما بالنسبة لما تبقى من فلسطين، فقد قامت الأردن بضم الضفة الغربية رسميًّا إليها «٥٨٧٨ كم٢» تحت إدارتها، وقد وافقت الأمم المتحدة على دخول الكيان الصهيوني «إسرائيل» في عضوية الأمم المتحدة، بشرط السماح بعودة اللاجئين الفلسطينين إلى أرضهم، وهو ما لم يفعله الكيان الصهيوني مطلقًا.

سادت شعارات «قومية المعركة» و«الوحدة طريق التحرير» في الفترة بين (١٩٤٨ – ١٩٦٧م)، غير أن الأنظمة العربية افتقدت المنهجية الصحيحة والجدية والإرادة الحقيقية للقتال، وتبنت المقاومة الفلسطينية لأسباب تكتيكية مرحلية، وليس ضمن خطة استراتيجية شاملة، وانشغلت بدغدغة عواطف الجماهير بدلاً من إعدادها للمعركة، بينما كان الكيان الصهيوني «الغض» يشتد، ويزداد قوة ورسوخًا.

حتى كانت حرب يونيو ١٩٦٧م هزيمة مرة للأنظمة العربية، ففي بضعة أيام ضاع باقي فلسطين، فسقطت الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة، وتم تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني، كما سقطت الجولان السورية (١١٥٠كم٢)، وسيناء المصرية

(٦١١٩٨ كم٢)، وجنوب لبنان ومزارع شبعا.

وواصل الكيان الصهيوني تهويد أرض فلسطين بشكل حثيث، وسعى لاجتثاث هويتها الإسلامية، وصادر حوالي ٩٧٪ من الأرض التي احتلها سنة ١٩٤٨م ومعظم الأوقاف الإسلامية والكثير من الأراضي التي بقي فيها العرب هناك. وبنى الصهاينة ٧٥٦ مستوطنة في الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨م، وفتحوا أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ فهاجر إليها أكثر من مليونين وثمانمائة ألف يهودي خلال الفترة من ١٩٤٩ حتى ٢٠٠٠م، ليبلغ العدد الكلي لليهود حوالي ٥ ملايين في فلسطين.

وتستكمل حلقات الكيد والمؤامرة مرورًا بمؤامرات السلام المزعوم وأوسلو وشرم الشيخ، حتى مجازر جنين ونابلس واحتلال مدن الضفة الغربية جميعها، والحصار والتجويع والتشريد والإبادة وطرد عائلات الاستشهاديين، ومحاولات تفريغ الضفة الغربية، وضرب غزة بالطائرات الأمريكية، واغتيال قيادات المقاومة الإسلامية من حماس والجهاد وغيرهما، كل ذلك يتم في ظل صمت عربي، وتخاذل دولي. والله من ورائهم محيط.

ركز الصهاينة على تهويد مدينة القدس وملئها بالمهاجرين اليهود ٤٥٠ ألف يهودي، مقابل ٢٠٠ ألف فلسطيني، وأعلنوا أن القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني، وصادروا الحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق)، ودمروا حي المغاربة المجاور له، وصادروا أرضه، وحفروا أربعة أنفاق بشكل يهدد بانهيار المسجد في أية لحظة، وشكلوا نحو ٢٥ تنظيمًا إرهابيًّا يهوديًّا تهدف إلى تدمير الأقصى، وإقامة الهيكل اليهودي مكانه. فهل يفلحون؟. نعوذ بالله من أن يكون ذلك.

وأخيرًا: إن الإسلام لا يزال يقاتل «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» [رواه مسلم].

إن الواقع يشهد أن المعركة لا زالت دائرة، وإنها تشتد ضراوتها مع الأيام حتى يأذن الله بالنصر المبين:

﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

أجْرِي حلقات نقاشية وورش عمل حول: مجالات الصراع (المؤامرة) في العصر الحديث [الأهداف والوسائل في كل مجال، ودور كل منا تجاه هذه المؤامرات]، ثم نخرج بواجبات عملية عن دورنا تجاه المؤامرات.

- التواصي بعمل بحوث عن (إحدى الفرق المعادية للإسلام- الحروب الصليبية- غزو التتار لبلاد المسلمين)، أو قراءة كتاب، أو مشاهدة شريط فيديو أو cd عن مذابح أو مآسي المسلمين في فلسطين والشيشان وكشمير وغيرهم، ثم المناقشة معًا حول ما دورنا؟ وكيف ننصرهم عمليًّا؟.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١- حددي صور الصراع في العصر الحديث، ثم وضحي (أهداف ووسائل) كل صورة من هذه الصور.

٢- (وفي العصر الحالي يتخذ الصراع العسكري شكلاً آخر...). وضحي ذلك.

٣- اكتبي نبذة مختصرة عن تاريخ القضية الفلسطينية موضحة بَعْدَهَا الدور المطلوب منكِ تجاه هذه القضية.

٤- وضحي الدور المطلوب منك تجاه هذا الصراع (الفكري- الأخلاقي- الاقتصادي- السياسي- العسكري).

* * *

الدرس السادس

مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين

الأهداف الإجرائية السلوكية:

١ - أن يحدد الدارس بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٢ - أن يوضح الدارس بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٣ - أن يوضح الدارس دوائر الاهتمام بأمور المسلمين، ومظاهر الاهتمام بكل دائرة.

٤ - أن يقوِّم الدارس مدى اهتمامه بأمور المسلمين.

خطوات عملية للاهتمام بأمور المسلمين

أولاً: المحتوى النظري للموضوع:

يحتوي هذا الدرس على عنصرين أساسيين، هما: مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين، ومظاهر الاهتمام بكل دائرة. وتحت كلا العنصرين نقاط فرعية.

١ - مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين:

أ- التأثر لحال المسلمين: فهذا أهم وأول واجبات (الجسد الواحد)، كما أشار الحديث الشريف، وهي صفة كان ابن عباس يعتز بها، فقد نال منه رجل يومًا فقال له: إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله (عز وجل)، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه، فأفرح ولعلِّي لا أقاضي إليه أبدًا! [أي لا أقف أمامه في قضية]، وإني لأسمع أن الغيث [المطر] قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين، فأفرح به وما لي به من سائمة! [أي دابة

ترعى فيه][(١)].

ويصور الإمام البنا (رحمه الله) حاله وبعض إخوانه فيقول: ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء[(٢)].

فأين نحن من هذا الشعور؟

إن أعدادًا هائلة من المسلمين لم تصل إلى إيجابية (النملة) التي هتفت لتحذر أخواتها من جيش سليمان (عليه السلام)! وأعدادًا أخرى تكتفي (بمصمصة الشفاه)، أو ترديد بعض عبارات التنديد.

إن التأثر المطلوب عمل إيجابي يدفع صاحبه، ويُلح عليه ليشارك ذوي الآلام والمصائب في محنتهم بالنفس والمال والجهد، ونشر الوعي بقضاياهم، ومقاطعة أعدائنا وأعدائهم، وأن نَخْلُفهم في أهليهم، وأقل ما يجب الدعاء الصادق[(٣)].

ب- نصرة المظلومين والمستضعفين:

والرحمة التي بين المسلم وأخيه المسلم تستلزم أن يشارك كل منهما الآخر في آلامه وآماله، وأن يدفع كل منهما عن أخيه غوائل الشر، وأنواع الضرر، وأن يأخذ بيد أخيه لينقذه من أي خطر يتهدده.

لذلك أوجب الإسلام على جميع أهل البلد من رجال ونساء أن يذودوا عن بلدهم إن هاجمه عدو، أو باغت من فيه، ولم تكن قوة الحماية من الرجال كافية، وفرض على المسلمين أن يهبوا لنجدة من يستغيث بهم، ويطلب منهم العون والمساعدة، سواء كانت مساعدة إغاثة من غرق أو حريق أو وحش أو عدو.

---

(١) حياة الصحابة: ٣/ ٤١٥.
(٢) الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس.
(٣) الطراز الرباني، نبيل حامد المعاز.

والإسلام لم يترك أمر النصرة مبهمًا غامضًا، بل أوضحه ونظمه، وجعل له قوانين أوجب على المسلمين اتباعها والعمل بها، فإن لم يفعلوا فهم آثمون مذنبون في حق أخيهم، والذي يقرأ الكتاب والسنة يجد من ذلك الكثير.

فمن أُخِذ ماله سرقةً أو غصبًا؛ وجب على المسلمين في شحص حاكمهم أن يردوا الحق إلى صاحبه، ويعاقبوا السارق بقطع يده، والغاصب بما يناسبه ويوازي جريمته.

ومن قطع طريق الناس، أو تسلط عليهم بالسطو والهجوم على منازلهم وممتلكاتهم، فأخذ الأموال، واعتدى على النفوس، وأخاف الآمنين، فإنما جزاؤه أن يقتّل أو يصلّب، أو تقطّع يده ورجله من خلاف.

ومن أثقلته الديون ولا يستطيع سدادها؛ فله الحق في مال الزكاة، يُعْطَى منه ما يوفي دينه، وكذلك من عضه الفقر وأقعده العجز عن العمل.. وكل ذلك نصرة وإغاثة وإعانة واجبة للمسلم على إخوانه المسلمين.

وأولى بالنصرة وأحق بها من أسره العدو ولم يستطع فكاكًا، فإن من حقه على المسلمين أن يبذلوا كل ما في قدرتهم حتى ينقذوا الأسرى، ولو بدفع كل أموالهم في سبيل ذلك، قال القرطبي: قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد.

ووردت الآثار عن النبي ﷺ أنه فك الأسارى، وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين، وانعقد به الإجماع أنه يجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين[1].

وقد جاء في أحاديث كثيرة بيان حق المسلم على أخيه المسلم، ومن هذه الحقوق «نصرة المظلوم»؛ كما في قول رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ...**»[رواه مسلم]، أي لا يسلمه لأعدائه، ولا يخذله في موضع يحتاج فيه إلى من ينصره، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لأن أستنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحبُّ

(١) تفسير القرطبي، ج٢، ص٢٢.

إليّ من جزيرة العرب.[١]

وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء، بل تناصر المؤمنين المصلحين؛ لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وردع المعتدي، وإجارة المهضوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك، بل لابد من الوقوف بجانبه على أي حال؛ لإرشاده إن ضل، وحجزه إن تطاول، والدفع عنه إن هوجم، والقتال معه إذا استبيح، وذلك معنى التناصر الذي فرضه الإسلام، قال ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ» [رواه البخاري].

إن خذلان المسلم شيء عظيم، وهو- إن حدث- ذريعة خذلان المسلمين جميعًا؛ إذ سيقضي على خلال الإباء والشهامة بينهم، وسيخنع المظلوم طوعًا أو كرهًا لما وقع به من ضيم، ثم ينزوي بعيدًا، وتتقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه.

وقد هان المسلمون أفرادًا، وهانوا أممًا يوم وهنت أواصر الأخوة بينهم، ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتنكر، وأصبح الأخ يُنتقص أمام أخيه فيهز كتفيه، ويمضي لشأنه كأن الأمر لا يعنيه.

إن هذا التخاذل جر على المسلمين الذلة والعار، وقد حاربه الإسلام حربًا شعواء، ولعن من يقبعون في ظلاله الداكنة الرزية، قال ﷺ: «لا يَقِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ أَحَدٌ ظُلْمًا؛ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ» [رواه الطبراني في الكبير].

فإذا رأيت إساءة نزلت بأخيك، أو مهانة وقعت عليه، فأَرِهِ من نفسك الاستعداد لمظاهرته، والسير معه حتى ينال بك الحق، ويرد الظلم، رُوِيَ عن النبي ﷺ: «مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حتَّى يُثْبِتَ لَهُ حقَّهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَومَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ».[٢]

وأخطر أنواع النصرة وأكبرها دلالة على صدق الإيمان أن تنصر أخاك المسلم على

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، للشيخ حسن أيوب.
(٢) خلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي.

نفسك، وأن تنتصف له منها حتى يستوفي حقه منك، أو يسامحك، فإن لم تبدأ بنفسك فلا خير فيك لغيرك[١].

ج- قضاء حوائج المحتاجين:

من الاهتمام بأمور المسلمين أن يكون المسلم حريصًا على قضاء حوائج إخوانه، خفيفًا في خدمتهم، موقنًا أنها تَفضُل كثيرًا من القربات والطاعات؛ فقد

روى البخاري ومسلم، عن أنس، أنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرُنَا ظِلاًّ الَّذِي يَسْتَظِلُّ بِكِسَائِهِ؛ وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ».

وبهذا الفهم يترك ابن عباس (رضي الله عنهما) الاعتكاف في مسجد رسول الله ﷺ، حيث يضاعف الأجر؛ ليمشي مع مسلم مهموم حزين ليقضي حاجته[٢].

وهذا الواجب العظيم يزداد تأكيدًا إذا كنت ذا جاه في المجتمع، أو صاحب منصب تحفه الرغبة والرهبة؛ فإن للجاه زكاةً تؤتى كما تؤتى زكاة المال، فإذا رزقك الله سيادة في الأرض، أو تمكينًا بين الناس، فليس ذلك لتنتفخ بعد انكماش، أو تزدهي بعد تواضع، إنما يسر الله لك ذلك ليربط بعنقك حاجات لا تقضى إلا عن طريقك، فإن أنت سهلتها قمت بالحق المفروض، وأحرزت الثواب الموعود، وإلا فقد جحدت النعمة وعرضتها للزوال، رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ للهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعِمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ، فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ**» [رواه الطبراني في الكبير].

وبعض الموظفين يستهينون بوقوف الناس على أبوابهم، ويحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم، يقول ﷺ: «**مَنْ وَلاَّهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ؛ احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[رواه أبو داود والترمذي].

وفسّر المفسرون «الماعون» في قوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ**

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، للشيخ حسن أيوب.
(٢) خلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي.

سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[الماعون: ٤-٧] بتفسيرات كثيرة، أهمها ما ذكره ابن عباس (رضي الله عنهما)، ترجمان القرآن، أن الماعون هو المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم، وقال ابن مسعود ﷺ: الماعون اسم جامع لمنافع البيت؛ كالفأس والقدر والنار وما أشبه ذلك.

وذكر الزجاج وأبو عبيدة والمبرد أن الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة، حتى الفأس والقدر والدلو والقداحة. وكلها آراء متقاربة يفهم منها أن الماعون، الذي يستحق مانعه العذاب والويل، هو المنفعة التي يقدر المسلم عليها، ويكون أخوه محتاجًا إليها.

وقال تعالى في سبب عذاب الكافر يوم القيامة: ﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِالله الْعَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤]، وعدم الحض موقف سلبي لا يرضاه الله تعالى من مسلم يعلم شدة حاجة أخيه المسلم، فلا يقوم هو بحاجته، ولا يدعو غيره للقيام بها.

وليس المقصود هنا هو الإطعام فقط، فإن العاري من الثياب ومن الغطاء في شدة الحر والبرد لا يقل حاجة عن طالب الطعام، فقد يجمده البرد ويقتله، وقد تشويه الشمس وتضربه ضربة تقضي عليه، ومثله المجروح والمريض والعاجز.

د- الإصلاح بين الناس:

وقد بيّن الله تعالى أن الإصلاح بين الناس من خير الأعمال وأفضلها؛ قال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

والإصلاح بين الناس هو إزالة ما بينهم من النفرة والخصام، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ

الْحَالِقَةُ» (الحالقة: المصيبة التي تهلك وتستأصل) [رواه أبو داود والترمذي].[(١)]

ومن الآيات والأحاديث السابقة يجب على المسلمين أن يعملوا- كما أمرهم الله تعالى- على الإصلاح بين المسلمين، وإزالة أسباب الفرقة والنزاع والخصام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لأنه ليس أضر على المسلمين من وجود النزاع والخصام والشقاق والفرقة، قال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

هـ- حب الخير للمسلمين:

الوحدة بين المسلمين هدف إسلامي من أهم الأهداف، حتى إن القرآن اعتبرها أمرًا بدهيًا وتلقائيًا بين الصادقين في الإيمان، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وحث عليها رسول الله ﷺ حيث قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» [متفق عليه].

ومن أعظم أصول هذه الوحدة وأسبابها حب الخير للمسلمين، بل إن محبة الخير لكل مسلم أمر واجب ولازم لصدق الإيمان، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [متفق عليه].

وأنت ترى أن الحديث صريح في نفي تمام الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وجاء في «سبل السلام» عن هذا الحديث: «لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه من الخير كما يحب لنفسه من ذلك الخير، وكلمة «الخير» جاءت مصرحًا بها في رواية النسائي لذلك الحديث[(٢)].

والفرق واضح بين حب المؤمن لذات أخيه المؤمن لوجه الله تعالى، وهذه منزلة عالية، ودرجة سامية عند الله تعالى، وبين حب الخير لأخيه المؤمن، وهذه درجة أقل.[(٣)]

٢- دوائر الاهتمام بأمور المسلمين، ومظاهر الاهتمام بكل دائرة:

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، للشيخ حسن أيوب.
(٢) سبل السلام، للصنعاني، ج٤، ص ١٦٥، بتصرف.
(٣) السلوك الاجتماعي في الإسلام، للشيخ حسن أيوب.

ونحب أن ننوه أن الاهتمام بأمور المسلمين لا يقف عند حدود دائرة واحدة من المسلمين نوجه لها كل الاهتمام، في حين نغفل باقي الدوائر، بل ويتناقض سلوكنا مع ذلك الاهتمام الذي أوصى به الرسول ﷺ.

بمعنى تحديد الأولويات في التعامل مع دوائر المسلمين المتعددة المحيطة بالإنسان المسلم في توازن وتتابع، بدءًا من الأقرب فالأقرب، كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ كالتالي:

أولاً: الوالدان: وهم أولى الناس بالاهتمام، وأقرب الأقربين، وأعظم أصحاب الحقوق على الإنسان، قال الله تعالى: ﴿.. أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤)، ومن الاهتمام بهم برُّهم، وأداء حقوقهم، وحسن معاملتهم، والمسارعة إلى قضاء حاجاتهم..

ثانيًا: الأشقاء: وواجب المسلم نحوهم: رحمة الصغير ومساعدته، وتوقير الكبير وخدمته، وحسن عشرة الجميع.

ثالثًا: الإخوة في الله: وهم العدة على الأعداء، والزينة في الرخاء (ورب أخ لك لم تلده أمك). [يمكن الرجوع إلى الهدف الخاص بالأُخوَّة ضمن المحتوى].

رابعًا: ذوو القربى والأرحام: قال الله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ (الإسراء: ٢٦)، وقال أيضًا: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١)، ومنهم الأجداد والجدات، والأعمام والعمات وأبناؤهم، والأخوال والخالات وأبناؤهم.

ومن الاهتمام بهم أن تصل رحمهم بالتزاور، ومساعدة المحتاج، والنصح، والدعوة....

خامسًا: الجيران: قال رسول الله ﷺ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» (متفق عليه)، مع العلم بأن الجار أربعون من كل اتجاه، كما ورد ذلك في حديث الرسول ﷺ، وهم جيران المنزل أولاً، ثم جيران المنازل المجاورة في نفس الشارع، ثم أهل مسجد الحي، وجيران الحي من غير أهل المسجد، وزملاء العمل، ورفقاء الطريق.

ومن الاهتمام بهم: كف الأذى عنهم، والتكافل معهم، وقضاء الحاجات لهم، والتزاور، والنصح والدعوة.

سادسًا: **أهل القرية أو الموطن**: ومن الاهتمام بهم: حسن المعاملة، والمشاركة في الأفراح والأتراح والمناسبات العامة، والتعاون على البر والتقوى، والتكافل والنصح والدعوة.

سابعًا: **أبناء الوطن الذي نشأ فيه المسلم وتربى وتعلم، وحمل اسمه، ونهل من خيراته**: ومن الاهتمام بالوطن العمل على رفعته وصيانته من كل سوء بإيجابية واعتزاز؛ فإن (حب الوطن من الإيمان)، والرسول ﷺ حينما خرج من مكة قال: «اللهم إنك أحب بلاد الله إليّ.. ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» [أخرجه أبو يعلى في مسنده].

ثامنًا: **أبناء الأمة الإسلامية في كل مكان**: الذين تجمعهم قبلة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ومن الاهتمام بهم:

١- الدعاء لهم يوميًّا في السر والعلن، خصوصًا أهل البلاء والاضطهاد منهم، وما أكثرهم!
٢- متابعة أخبارهم يوميًّا.
٣- التعريف بقضاياهم لكل من حولك، وبحث السبل العملية لنصرتهم.
٤- المشاركة في الأعمال التي تدعو إلى نصرتهم ودعمهم (المؤتمرات والندوات...).
٥- مقاطعة أعداء المسلمين ومنتجاتهم.
٦- انشغال الذهن بالعمل لخدمة الإسلام.
٧- تفريغ الوقت للعمل للإسلام.
٨- تحديث النفس أسبوعيًّا بالغزو في سبيل الله، وسؤال الله الشهادة يوميًّا.

ثانيًا: جوانب تطبيقية مستفادة:

حاسبي نفسك وشارطيها على الاتسام بالأعمال التالية:

١ - التأثر لحال المسلمين المضطهدين والمستضعفين.

٢ - نصرة المظلومين والمستضعفين (كيف ننصرهم عمليًّا؟).

أ- الدعاء يوميًّا في السر والعلن.

ب- متابعة أخبارهم يوميًّا.

ج- التعريف بقضاياهم لكل من حولنا.

د- المشاركة في الأعمال التي تدعو إلى نصرتهم ودعمهم (المؤتمرات والندوات...).

هـ - مقاطعة أعداء المسلمين ومنتجاتهم.

و- دعمهم ماليًّا ومواساتهم بالمال.

٣- أن تنصري أختك المسلمة على نفسك.

٤- قضاء حوائج المحتاجين.

٥- الإصلاح بين الناس.

٦- حب الخير للمسلمين.

٧- تفقد الغائبات.

٨- النصح للمسلمات.

ثالثًا: أسئلة للتقويم:

١ - حددي بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٢- وضحي بعض المظاهر العملية للاهتمام بأمور المسلمين.

٣- وضحي دوائر الاهتمام بأمور المسلمين، ومظاهر الاهتمام بكل دائرة.

٤- اذكري بعض المواقف التي قمتِ بها وتوضح مدى اهتمامك بأمور المسلمين حولك.

فهرس الجزء الثاني

مقدمة ٣

المحور الأول: **الإيماني والتعبدي** ١١

الباب الأول: في رياض القرآن ١١

مقدمة ١٣

مقدمة جزء (عمَّ) ١٥

سورة البلد ١٧

سورة الشمس ٢٣

سورة الليل ٢٩

سورة الضحى ٣٤

سورة الشرح ٣٨

سورة التين ٤٢

سورة العلق ٤٦

سورة القدر ٥٢

سورة البينة ٥٦

سورة الزلزلة ٦٢

سورة العاديات ٦٦

سورة القارعة ٧١

سورة التكاثر ٧٥

سورة العصر ٧٩

سورة الهمزة ٨٣

سورة الفيل ٨٧

سورة قريش ٩٢

سورة الماعون ٩٦

سورة الكوثر ١٠٠
سورة الكافرون ١٠٣
سورة النصر ١٠٧
سورة المسد ١١٢
سورة الإخلاص ١١٦
سورة الفلق ١٢٠
سورة الناس ١٢٤
الباب الثاني: في رياض السنة النبوية ١٢٩
المقدمة ١٣١
الحديث الأول: النية والهجرة في الإسلام ١٣٣
الحديث الثاني: الإسْلامُ والإيمَانُ والإحْسَانُ وعلامات الساعة ١٣٩
الحديث الثالث: أطوار الخلق والسعادة والشقاوة ١٤٤
الحديث الرابع: رد المحدثات في الدين ١٤٩
الحديث الخامس: الحلال والحرام والمتشابهات ١٥٣
الحديث السادس: منهج المسلمة في اتباع الرسول ﷺ ١٥٨
الباب الثالث: في رياض السيرة ١٦٣
مقدمة السيرة ١٦٥
السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها) ١٦٧
السيدة جويرية بنت الحارث (رضي الله عنها) ١٧٢
السيدة أم حبيبة (رضي الله عنها) ١٧٥
السيدة ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها) ١٧٩
السيدة زينب (رضي الله عنها) بنت النبي ﷺ ١٨٣
السيدة رقية (رضي الله عنها) بنت محمد ﷺ ١٨٩
السيدة أم كلثوم رضي الله عنها بنت النبي ﷺ ١٩٤
السيدة فاطمة(رضي الله عنها) بنت النبي ﷺ ١٩٨

الباب الرابع: باب العقيـــدة: عقيدة المرأة المسلمة ٢٠٧
المقدمة ٢٠٩
الفصـــل الأول: التوحيد ومظاهره ٢١٢
المظهر الأول: الحلف بغير الله ٢١٧
المظهر الثاني: النذر لغير الله ٢٢٢
المظهر الثالث: التوسل غير المشروع ٢٢٦
المظهر الرابع: التعلق بكلام السحرة والدجالين وأشباههما ٢٢٩
الفصـل الثاني: أسمـاء الله الحسنـى ٢٣٥
مقدمة: ٢٣٥
اسم الله (الجبار) ٢٣٧
اسم الله الخالق ٢٤٢
اسم الله الوهاب ٢٥٠
البـاب الخامس: الـفقـــــه ٢٥٥
الدرس الأول: منزلة الصلاة في الإسلام ٢٥٧
الدرس الثاني: أقســــام الصلاة ٢٦٢
الدرس الثالث: أوقات الصـــــلاة ٢٦٧
الدرس الرابع: شروط صحة الصلاة ٢٧٥
الدرس الخامس: المواضع المنهيّ عن الصلاة فيها ٢٨٨
الدرس السادس: فرائض الصــــلاة ٢٩٤
الدرس السابع: ســـــنن الصـــلاة ٣٠٢
الدرس الثامن: سجود الســـــهو ٣١٥
الدرس التاسع: مكروهـــــات الصلاة ٣٢٦
الدرس العاشر: مبطلات الصـــــلاة ٣٣٢
الدرس الحادي عشر: أمور تتعلق بالصـــــلاة ٣٣٨
المحور الثاني: **الأخلاقي والسلوكي** ٣٤٩

الباب السادس: في رياض الأخلاق والقيم الإسلامية ٣٥١
المقدمة ٣٥٣
الدرس الأول: الإنسان مستعد للتوجه نحو الخير والشر ٣٥٧
الدرس الثاني: أهمية التغير إلى الأحسن وضرورته ٣٦٢
الدرس الثالث: صفات النفس وجوانب القصور فيها ٣٦٨
الدرس الرابع: وسائل تربية النفوس ٣٧٥
الدرس الخامس: من وسائل تربية النفس ٣٨٣
الدرس السادس: من وسائل تربية النفس ٣٨٧
الدرس السابع: من وسائل تربية النفس ٣٩٣
الحياة وسط صحبة صالحة (١) الصحبة الصالحة ٤٠٠
(٢) تعميق الصلة بين الأصحاب (الأخوة في الله) ٤٠٦
(٣) طرق تعميق العلاقة بين الأصحاب والأخوات ٤٠٩
بعض الأخلاق والقيم الإسلامية الجود والكرم ٤١٤
العـــزة ٤١٨
المحور الثالث: **الدعـــوي والحركي** ٤٢٣
الباب السابع: واحـــة المعرفة ٤٢٥
المقدمة ٤٢٧
الدرس الأول: حياة المسلمة للإسلام ٤٢٩
الدرس الثاني: العمل للإسلام واجب شرعي ٤٣٤
الدرس الثالث: شرعية الاهتمام بأمور المسلمين وأهميته ٤٣٩
الدرس الرابع: المؤامرات ضد المسلمين «جذورها في الماضي وشواهدها في الواقع» .. ٤٤٤
الدرس الخامس: الصراع ضد الإسلام في العصر الحديث ٤٥٥
الدرس السادس: مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين ٤٦٦
فهرس الجزء الثاني ٤٧٧

مطابع دار الطباعة والنشر الاسلامية - العاشر من رمضان - تليفاكس: ٠١٥٣٦٣٣١٤-٠١٥٣٦٣٣١٣